محمد صادق محمد الكرباسي

الأمين

يوسف

من البئر إلى العرش

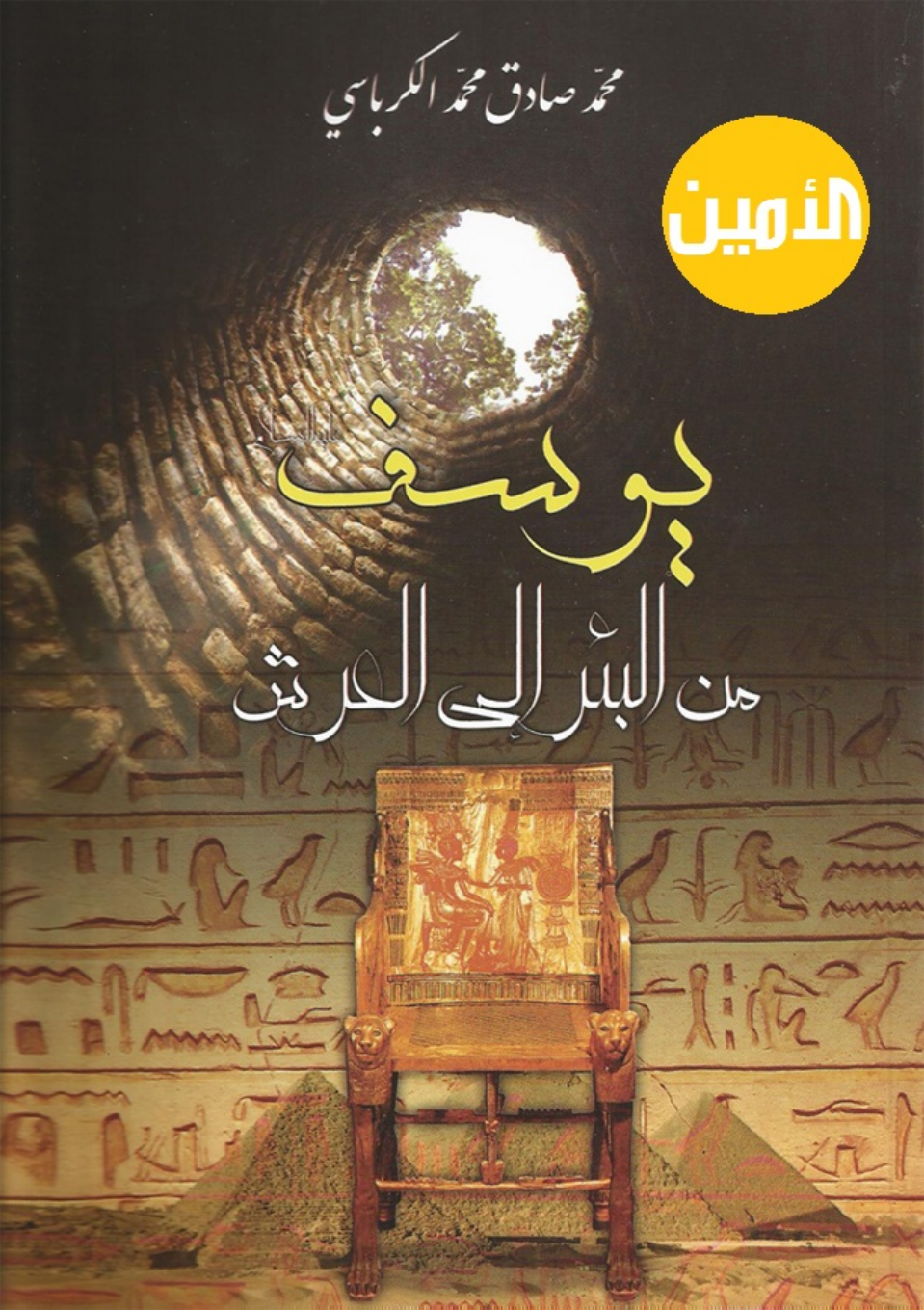

يوسف من البئر إلى العرش

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

بيت العلم للنابهين .....

ص. ب ٥٧٣٣/ ١٤ - المزرعة - بيروت ١١٠٥٢٠٧٠ - لبنان - هاتف : ٠١/٥٥٠٩٩٢

يوسف من البئر إلى العرش

محمد صادق محمد الكرباسي

بيت العلم للنابهين
بيروت - لبنان

Éléments sous droits d'auteur

مقدمة الناشر

وصف القرآن الكريم قصة نبينا يوسف عليه السلام بأحسن القصص (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) ولئن اختلفت التفاسير في تفسير المغزى من تسميتها بأحسن القصص إلا أنها أجمعت على أن قصة النبي يوسف عليه السلام احتوت على الكثير من المعاني والعبر، منها ما يتفق مع قصص أنبياء آخرين، ومنه ما تنفرد به قصة النبي يوسف عليه السلام.

ولقد أحسن الكاتب آية الله الشيخ محمد صادق محمد الكرباسي حفظه المولى باختياره لهذا العنوان لكتابه لأنه في مقاربته من الناحية المادية المكانية يجمع بين نقيضين هما الانحدار والهبوط (البئر) والارتفاع والعلو (العرش) وفي مقاربته من الناحية المعنوية، فهو يجمع بين نقيضين هما القهر متبوعاً بالظلم والوحشة (الإلقاء في البئر) والعز متبوعاً بالملك والحكم (العرش). وهذان الأمران هما محورا القصة الأساسيان تتفرع منهما محاور أخرى هي:

- ليتم (وفاة والدته)
- الاتهام بالسرقة (اتهام عمته له)
- الحسد (حسد إخوته له)
- محاولة القتل

Éléments sous droits d'auteur

ـ إلقاؤه في الجب

ـ الاسترقاق

ـ فراقه لأبيه

ـ الحب (حب زليخا له ومراودتها له عن نفسه)

ـ الحبس

ـ العرش

ـ لقاؤه بأبيه

وكأنه - حفظه المولى - باعتماده لهذا العنوان، يريد أن يقول أن الصبر على وحشة البئر أوصل يوسف إلى عز العرش، فهي الممر الإلزامي إلى عز الدنيا المتمثل بالملك، وإلى عز حمل الرسالة من المولى عز وجل المتمثل بالنبوة.

هذه المراحل التي مر بها نبينا يوسف عليه السلام إضافة الى المحاور التي أشرنا إليها، أبرزها المؤلف حفظه المولى في هذه القصة (قصة النبي يوسف عليه السلام) بأسلوبه الشيق الذي يجمع بين السيرة والأسلوب القصصي، معتمداً على كتب الأحاديث والسيرة وقصص الأنبياء المعتبرة، بما يميّزه عن غيره من الكتب التي تناولت قصص الأنبياء عليهم السلام.

وهذا الامر كان الحافز لنا على إصدار هذا الكتاب ليصل إلى القارىء الكريم، جرياً على عادتنا في تقديم كل جديد ومميز وفريد، والابتعاد عن التكرار والكتب المتشابهة في المضمون والأسلوب، والله من وراء القصد.

٢٧ / شوال / ١٤٣٣ هـ

٣ / أيلول / ٢٠١٣ م

Éléments sous droits d'auteur

مقدمة الدكتور زيدان

السياق القرآني مؤسس لبلاغة الحكاية الحديثة

إن إعادة قصة النبي يوسف بهذا الكم الكبير من الأخبار والتفاصيل الحكائية لتنبئ أن عقلية الدكتور محمد صادق الكرباسي واعية تماماً بالسياق التاريخي للأحداث، والأحداث نفسها، كما توحي بفهم الراوي للسياق النفسي داخل الذوات، سواء كانت أساسية أم ثانوية، وهذا يجعلنا في قلب الحدث التاريخي كما وقع، بل وفي قلب التصور الذهني عن العصر وجوانبه المعرفية والاجتماعية والاقتصادية والإنسانية.

ليس هذا المدخل فقط هو ما يمكن أن نقدم به الحكاية، وإنما يمكن تقديمها من منطق لغوي وثقافي يؤسس فيها الراوي للواقع البلاغي والحكائي العربي من خلال فن قديم جديد هو السرد، والذي يمكن أن نقسمه بين:

- سرد واقعي، كما جاء في أخبار إخوة يوسف ورميه في البئر.

- سرد غيبي، كما جاء في رؤيا يوسف، سواء وهو صغير مع أبيه، أم عندما كان في السجن.

Éléments sous droits d'auteur

- سرد تخييلي، وهو السرد الذي يخبر عنه، ولم يتم وقوعه مثل قوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، وهذا ما لم يحدث في واقع الأمر.

إن قصة النبي يوسف مثال حي وواقعي عن تصورات المجتمعات البشرية، وتقدمها في السلوك والفهم والإدراك والوعي بمتطلبات العصر، وهذا يدل على أن إعادة تقديمها بهذا التشكيل الحي هو إعادة قراءة للتاريخ حتى يصبح أمامنا واقعاً حيّاً يمكن من خلاله الحديث عن إنسان جديد في:

- السلوك الاجتماعي.
- السلوك النفسي.
- فهم الآخر والوعي به.
- الرؤية المستقبلية للسلوك الحضاري القويم.

النبي يوسف - السرد والحكاية

السياق القرآني وعلاقته بالسرد سياق مؤسس لبلاغة الحكاية في العصر الحديث، برغم أنه لم يستخدم كلمة «حكي» أو كلمة «حكاية» واستعاض عنها بكلمة «قصّ» أو كلمة «قصص» ولا يوجد في المعجم ما يدل على فروق جوهرية بين الكلمتين، فالقصة الأمر والحديث، وقصّ أثره تتبعه، والحكي والمحاكاة بمعنى المشاكلة في الفعل أو القول. وهذا يعني أننا أمام سياق متقارب من الناحية الدلالية، يتحدد المعنى في أصله، ويتفرق عندما يرتبط بالمواقف والأحداث، إلا أن طبيعة النص القرآني تدخلنا في نوع من السياقات التي تلتزم الحقائق فيما يخص القصة. أما الحكاية فهي تنحو إلى المجاز والتخيّل وأحياناً الواقع كما هو مفترض أن يحدث، وعلى ذلك تصبح كلمة الحكاية دالة على نوع من الأخبار التي يمكن تأويلها أكثر

Éléments sous droits d'auteur

مما تشير إليه كلمة القصة والتي تلتزم بالحدث كما وقع: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، والتي يمكن تأويل وقائعها بما لا يخرج عن السياق المؤسس لها، ولذلك يمكن أن نستخدم كلمة الحكاية أثناء البحث عن أدوات السرد باعتبارها صورة من صور السرد المتحقق في النص من الناحية الفعلية والقابل لتأويل الفعل من ناحية الأثر الناتج، وعملية تأويل الفعل -أيضاً- تخضع لعلاقته ببقية الأفعال كما تشترك معها في وضع التصور النهائي لمجموع هذه الأفعال وعلاقتها الدلالية المكونة للنص.

يُخضع السياق القرآني السرد المؤسس إلى نوع من التصفية اللغوية التي تجعل الفعل مساوياً للدلالة مساواة محكمة، حتى إن التركيب لا يخرج إلى دلالات أخرى إلا بما سمح من استخدامات لمنطق اللغة ومنطق تأويل الفعل الذي يؤسس للسرد، ولذلك فإنه يتخلى عن كل ما يصيب السياق من انحراف المعنى ثم يتحول السرد من الذوات إلى الحكاية عن الآخر بما يمثل المنظورات الممثلة للنص، وبالتالي يمكن رصد دلالات تحويل السرد في الحكاية على النحو التالي:

١- الخبر المنسوب إلى رواية النص بشكل مباشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ...﴾ [يوسف: ٣]، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ...﴾ [يوسف: ٦]، ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ...﴾ [يوسف: ١٠].

٢- حكاية الذوات داخل السرد والتي تشير إلى دلالة القيمة والموقف: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ...﴾ [يوسف: ١٠]، ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا...﴾ [يوسف: ١١].

٣- حكاية سرد يوسف عليه السلام وهي مبثوثة في السياق بحجب الرؤى التي تمثل المرتكزات السردية.

٤- حكاية سرد الذوات المعرفة، وتمثل خطوطاً متوازية مع سرد

Éléments sous droits d'auteur

الذوات غير المعرفة من ناحية، وسرد يوسف من ناحية أخرى، وتمثل تكملة دلالية لمفردات وعناصر السرد .﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ...﴾ [يوسف: ٤٣]، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ [يوسف: ٨٦] حكاية عن سرد «يعقوب عليه السلام».

وينتمي كل صوت سردي إلى نوع من السياقات التي تمثل بلاغة النص. وتقدم تشكيلاتها الدلالية والأسلوبية التي تحقق نوعين من الإشباع في الحكاية:

الأول: إشباع المنطق القيمي داخل النص بما يتناسب وتأويل المعنى.

الثاني: إشباع المنطق الذاتي في النص من وجهتين:

- وجهة النظر السياقية للذوات في الحكاية.

- وجهة النظر السياقية للمتلقي الذي يكمل دائرة الانسجام في عملية الإدراك الخاص بالدلالة وارتباطها بداخل وخارج السياق.

يحقق السرد في تشكيلات الدلالة في صورة يوسف نوعاً من التكامل الذي يتصل بأدوات السرد وارتباطها بتوظيف أثر هذه الأدوات على عناصر الحكاية والتي تبدو من خلال مجموعة من المرتكزات الحكائية الممثلة للسياق في النص، فنرى أن الحكاية تنقسم إلى مجموعة من الحركات السردية الممثلة للموضوع السردي وتمثل كل حركة حكاية مستقلة من الناحية الدلالية، ولكن الإطار العام الذي يحكم السرد يتمثل في نوعين من المرتكزات الأساسية والمكملة لموضوع الحكاية، مثل السياق الخاص بشخصية يوسف عليه السلام، فهو يمثل التسويغ المعنوي لمجموع الأمداء النصية، كذلك السياق المؤسس لانسجام السرد فيما يختص بيعقوب، أمّا الإطارات المكملة للسرد فهي موجودة في المعاني الموضوعية التي تقدمها الحكايات شبه المستقلة الممثلة لقيمة الدلالة.

Éléments sous droits d'auteur

الحركة الأولى: يوسف وإخوته... السياق المؤسس بين الحضور والغياب

التفكير البلاغي

تجمع البلاغة العربية بين قطبي التشكيل اللغوي؛ فيستأثر جانب منها ببنية الشكل وما يتصل به من علاقات تركيبية مختلفة، ويستأثر الجانب الآخر ببناء الدلالة، وما يتصل بها من مفاهيم تربط وتؤكد على العلاقة بين اللغة والمعنى. كذلك فإن مباحث البلاغة يمكن أن تسهم في طرح بعض الرؤى والتصورات على مستوى النص أكثر مما تطرحُه على مستوى الكلمة أو الجملة، وذلك بما يتفق وآفاق العلوم الحديثة التي تمتزج مع تشكيلات النص الأدبي المعاصر.

فعلم المعاني -على سبيل التمثيل- يطرح قضية المعنى على مستوى التركيب اللغوي وما يتصل بفهم وقصد ما يدخل في تكوينه، وبيان أثر المعنى في تركيب الجملة العربية وما يلحق بأركانها الأساسية، وملحقاتها من تغيير في إطار ما يطرحه التركيب من ناحية وما يطرحه مبدع اللغة من ناحية أخرى.

إن التصور البلاغي ينشأ أولاً في التصور الذهني، ويبدأ في التكون قبل أن يظهر بصورة مادية في تشكيلات الجملة، فإذا كان هذا التصور القار في ذهن العربي منذ ما يربو على ألف وخمسمائة سنة تصوراً متغيراً -وهذا مما لا شك فيه- فإن آليات إنتاج هذا التصور لا بد أن تختلف اختلافاً بيناً عن طور النشأة والتكون وهذا التغير ليس بالضرورة أن يطرح التصور القديم، ولكنه ينمو من داخله، ويمتزج به ليكون نوعاً من التفكير البلاغي الجديد الذي بدوره يستوعب فكر النصوص الجديدة، سواء كانت نصوصاً شعرية أو قصصية أو مسرحية، فلا يمكن ونحن نبحث في بلاغة القصيدة الجديدة، أو القصة أن ينصب اهتمامنا على صورة بلاغية جزئية مبثوثة في النص مهما كان

Éléments sous droits d'auteur

أثر هذه الصورة وعلاقاتها فإنها لن تقدم أكثر من رؤية جزئية بسيطة عن العلاقات التي تقيم البناء النصّي المعاصر، ولذا فإن التفكير البلاغي لا بد وأن يتحول ناحية العلاقات الكلية التي تسمح برؤية النص رؤية مغايرة عن الرؤية القديمة، وهنا يمكن أن نقدم بدائل بلاغية يمكن في التفكير العادي أن يراها البعض غير بلاغية، ويمكن أن نفترض أنها بلاغية، ويتم الاصطلاح عليها، لأن البلاغة بكل ما تقدمه من أدوات جاءت في البداية من الاتفاق على أنها أدوات تسهم في تحقيق النص من وجهة النظر الجمالية، وهذه الأخيرة فضفاضة إلى درجة كبيرة، ويمكن الاختلاف حول أدواتها وتصوراتها.

إن التفكير البلاغي يقوم على مجموعة من الأدوات يبدأ دورها بعد أن يتم بناء النص، ويحاول الدارس أن يقف على كيفية عملها، وهي موجودة بوجود اللغة وتطرح قوتها من فعل القوة الكامن في التفكير اللغوي. أما التصور المفترض فهو يقوم على رؤى تبدأ عملها قبل أن يكتمل وجود النص كصورة ماديّة، ومن هنا فإنها تسهم في بناء النص وتحاور هذا البناء وتغيره جذرياً، لأنها تصورات كلية تتلاقى وتندمج مع العلوم الحديثة من ناحية والتفكير الجديد الذي أوجد أنواعاً أدبية لم تكن موجودة ساعة التفكير في البحث عن تصور بلاغي، ينظر له على أنه هو المشكل لطريقة عمل التركيب من الناحية الدلالية على أن القائم بالإخبار يعد مسنداً إليه، مثل الفاعل ونائبه، والمبتدأ الذي له خبر وما أصله المبتدأ، وأن ما يلحق بالمسند إليه يكمل عملية الإخبار، وبالتالي فإن وظيفة المسند إليه تلحق به، مثل الأفعال التامة والخبر وما أصله الخبر واسم الفعل والمصدر النائب عن فعله وفي هذه الحالة تتم على مستوى المعنى عملية الإخبار (وجود المسند والمسند إليه) وتبقى المكملات أو ما يسمى بالقيود وهي تشكل بقية التركيب كالأدوات والمفاعيل والتوابع والنواتج، وغير ذلك.

Éléments sous droits d'auteur

وفي الأدب المعاصر يمكن أن يطرح وجود المسند والمسند إليه معاني جديدة، وذلك إذا تبادلا المواقع أو إذا أخرجنا عملية الإسناد من دائرة اللفظ الواحد، وفي الجملة الإنشائية يقوم المسند والمسند إليه بدور تكملة المعنى، كما يمكن الاستغناء عن أحدهما، ويفهم الآخر من الكلام في بعض التراكيب، وفي هذه الحالة لا يكون المخاطب مطالباً بالقرائن حتى يستعين على عملية التصديق.

يتضح من ذلك أن الذي يؤدي الدور البلاغي في بعض مباحث البلاغة العربية قرائن نحوية يتحكم النص في وجودها، وكلها تتصل بوضع الكلمة والجملة داخل النص، ولذلك فإن تحويل المفهوم البلاغي من الصورة الجزئية إلى الصورة الكلية، ومن القراءة النحوية الظاهرة إلى التصورات الذهنية، ومن محاورة الصورة إلى النظر إلى المنظور بشكل عام، واللافت أن هذه التصورات الجديدة يمكن البحث عنها في النصوص القديمة أيضاً، ولكنها لا تشكل ظاهرة، والبحث وهو يؤصل لها من داخل السياق القرآني، إنما يحاول أن يقرر أمراً متحققا، ويحتاج فقط إلى التخلي عن طرق التفكير القديمة والتعصب لآراء تضر باللغة العربية في علاقتها مع الواقع المعاصر.

وقد تعامل د. محمد صادق الكرباسي مع حكاية يوسف من منظور الحكاية الواقعية التي تعتمد على رؤية واحدة هي رؤية الحدث الواقعي، وبتفصيلاته المتعددة التي أحياناً ما يأبى السياق العام أن يذكرها، وذلك لأن التأسيس لطرق السرد والبلاغة المعاصرة، والتي تستمد جذورها من السياق القديم للبلاغة العربية لا تحتاج إلى تفصيل، ولكن المؤلف تعامل مع الحكاية باعتبارها قراءة زمانية ومكانية للإنسان والنبي والحدث والقيمة في آنٍ واحد ويدل الاستقصاء في الحدث على ما يتمتع به المؤلف من ذكاء الرؤية المكانية على النحو التالي:

Éléments sous droits d'auteur

- تصور المونولوج الداخلي في حوارات النبي يوسف.

- مطابقة أثر الحوارات مع السياق الحكائي العام.

- الأسماء الدالة على المكان والزمان والشخصيات تربط ذاكرة المتلقي بذاكرة الراوي بذاكرة الفعل الحكائي.

السياق والتفكير البلاغي

الحكاية الأولى في سورة يوسف تحيل إلى عالمين مختلفين تعامل يعقوب معهما من خلال منطقين يبدوان في التفكير العادي أنهما منفصلان، ولكنهما على صلة وثيقة ببعضهما جعلت من الأثر الناتج عنهما أكبر تحول في تفكير الذوات من ناحية، وفي ترتيب الحقائق التي انبنت عليها علاقات السرد.

الأول: العالم الغيبي.

الثاني: العالم المشهود/ الحاضر.

ففي الأول انبنى الموقف على سياق غيبي لم يقدم في بداية الحكاية تحولات ظاهرة، وربما لم يخرج إلى العيان، ولكنه بدا في العلاقة بين يوسف وأبيه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وهذا ما أسس عليه يعقوب العلاقة بين يوسف وإخوته، والتي بدأت تظهر بشكل علني مما جعل الإخوة يدركون أن يعقوب يفضل يوسف عليهم، فهو يدرك أن يوسف نبي، وأن هذا سيكون لدى الأبناء منطقا في التخلص منه، ومن هنا يظهر المنظور الغيبي في عدد من الأبعاد السياقية:

الأول: إنَّ يعقوب يدرك مستقبل يوسف (في كونه نبي).

الثاني: يوسف نفسه أدرك منطق التحول لدى أبيه.

Éléments sous droits d'auteur

الثالث: الكراهية الكامنة لدى الإخوة.

الرابع: منطق السرد منطق غيبي كما بدا في الأفعال.

هذا يعني أن السياق المؤسس لمنطق الأفعال بدا غيبيا من كل الأطراف في الحكاية سواء فيما حكى يوسف وكان سبباً في تحول يعقوب (فلم يكن يعلم الغيب) كذلك فيما فعل الإخوة عندما حاولوا قتل يوسف (فلم يدركوا أنه لم يمت) وهنا بدأت العلاقات في الحكاية في التكيف مع الواقع الجديد، فإن كان يعقوب يفضل يوسف وأخيه لأمور واقعية وغيبية تتصل بمنطق الحياة والنبوة، فإن التفضيل بدأ يأخذ منحنًى جديداً في السياق الغيبي الذي أسس للعلاقات في السرد، وقد بدأت الأفعال تأخذ حيز التحقيق على النحو التالي:

- بداية التمرد الحقيقي على مستوى التصور في قوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨].

- **الفعل يتحول من التصور إلى التحقق** في قوله: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: ٩] وقد واكب ذلك تبرير للفعل من داخل السياق الذهني/ الغيبي الذي يتحكم في منطق الأفعال، وهذا التبرير اتخذ منطقاً معقولاً من وجهة نظر الإخوة.

* ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩].

ثم بدأت الأفعال في تفعيل التصور وأصبح الموقف/ النفسي/ الواقعي/ أثراً من آثار السياق المؤسس المتمثل في الحضور الغيبي عند يوسف ويعقوب. ويتفاوت المنطق بين الإخوة والأب، مع ملاحظة أن حضور يوسف في الموقف لم يكن موجوداً، وهذا يدل على أن السياق الذي أسسه موقف الرؤية هو الذي قدم المبرر المنطقي من وجهة نظر

Éléments sous droits d'auteur

الإخوة، وأوجد سياقاً مصاحباً (حاضراً) للسياق الغيبي بدا في العلاقات السردية التي انبنت عليها الحركة الأولى من القصة:

- **التحول في بعض مواقف الإخوة سياق مصاحب حاضر.**
- **تحقق الفعل في طلب يوسف للعب سياق مصاحب حاضر.**
- **تخوف الأب في البداية سياق ذو بعدين:**

الأول: سياق حاضر.

الثاني: سياق غائب.

وقد مثل السياق الغائب في قوله: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣].

ويمثل حافزاً جديداً على وجود منطق آخر مصاحب لمنطق التخلص من يوسف على صورة ما إلى صورة أخرى، ثم تأكيد المنطق الغائب بعد ذلك: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، مما يمثل تحقيق الحافز السابق من ناحية وتحويل الدلالة من صورة إلى أخرى، إذ بدا السرد ممثلا للسياقات المصاحبة وذلك من خلال وجود منظورات مصاحبة للسياق أيضا تدل على أن الموقف بين يوسف وإخوته لم يكن موقف العداء، وتظهر حركية الفضاء المؤسس للموقف:

* الإخوة في موقف البكاء يمثل نوعاً من التعمية المنطقية للفعل.

* يوسف والإخوة في موقف البهجة يمثل صورة أخرى من موقف البكاء.

* موقف قميص يوسف ويمثل التصعيد الدرامي من ناحيتين:

الأولى: الناحية الأخلاقية - تراكم دلالي.

Éléments sous droits d'auteur

الثانية: الناحية التحفيزية لاستكمال التصور الأول في السياق الغيبي الذي طرحه الأب.

ففي التصور السردي يمكن طرح نوعين من التفكير يشكلان الدلالة بين السكون والحركة:

الأول: التفكير بالحقيقة.

الثاني: التفكير بالغيب.

الأول يقدم الدلالات في حالة الحركة من خلال نسيج العلاقات كما بدا في المدى الأول لقصة يوسف بين:

- الإخوة بعضهم البعض، بدا أن هناك تناقضاً في الفعل وأثره.
- الأب والإخوة، وهما منظوران يمثلان طرفي السياق.
- المنظورات المصاحبة للتفكير بين الأب والإخوة.

والثاني يقدم الدلالة في حالة من السكون لأنها إمّا تعتمد على فعل تم، أو تعتمد على فعل لم يتم، وفي الموقفين تحاول الذوات الظهور بمنطق الأفعال وتوريتها وتكون العلاقات سواء بين الذوات أو بين الذات وفعلها، أو بين المنطق الغائب والحاضر هي المؤسسة للموقف والمحافظة على توازنه من الناحية المنطقية.

وهذا يعني أن السياق المؤسس في الحركة الأولى هو المركزية الحكائية التي ينبني عليها التصور الموضوعي والقيمي لقصة يوسف، وهذه الحركة لا نجدها في صورة جزئية واحدة، وإنما هي رؤية تصويرية تقوم على بناء منظور حكائي، وهذا يعني أن التفكير البلاغي لا يمكن حصره في العلاقات الجزئية للصورة وإنما هو تصور يتوزع على الكثير من المحاور الدلالية، ويقوم المعنى فيه بدور جوهري، فإذا كان التركيب في التصور البلاغي ـ سواء كان تركيباً بسيطاً أم كان تركيباً مركباً ـ هو الأساس في وضع

Éléments sous droits d'auteur

التصور العقلي للتفكير البلاغي، فإن الصورة العامة، أو السياق المصاحب لها - وهو هنا سياق مؤسس- يمكن أن يقدم طرقاً جديدة من طرق التفكير الإنساني، والرؤية البلاغية جزء منه، لأن اللغة العربية لغة تغير مسارها الدلالي بشكل جبري لا يعتمد على السياق الخارجي لها وإنما يعتمد على السياق الداخلي لهذه اللغة، وغالبا ما يؤسس هذا السياق لنوع من التطور داخل اللغة.

وفي النص القرآني - ممثلا- في سرد الحركة الحكائية الأولى لا تقف عند مجرد السياق المؤسس وإنما ترتبط بالحركة الثانية ارتباطاً وثيقاً يجعل منها مرجعية حكائية من جهة، وحافزاً دلالياً يقوم على ربط السياقات المختلفة في النص القرآني.

الحركة الحكائية الثانية: السياق المكون

السياق المكون للنص يقوم مقام المتن الحكائي في التصور السردي إلا أنه لا يقدم الرؤية الدلالية من منظور سابق لها، وإنما يقدم الرؤية الدلالية من منظور بنائي صرف، يعتمد في المقام الأول على الأفعال الحكائية المكونة لهذا البناء، ويمكن أن تقوم أدوات هذا البناء بدور الفاعل في النص كما يمكن أن تقوم بدور المتلقي النصّي، الراوي فيها يقدم الصورة الظاهرة للفعل، والمتلقي يقدم الحافز على بناء هذه الصورة من ناحية، كما يقدم الأثر الناتج عنها من ناحية أخرى.

تبدأ هذه الحركة في قصة يوسف من ربط الفعل الحكائي بالذات الأولى المكونة للحكاية، وهي شخصية يوسف عليه السلام، وهي حركة تقوم على الاختيار الزمني الذي يتحول في الحكاية إلى الصورة الواقعية عن يوسف، لأن هناك فاصلاً زمنياً بين الحركة الأولى التي لم يكن يوسف فاعلا فيها، وبين الحركة الثانية، هذا الفاصل تقدمه الآية الكريمة في قوله تعالى:

Éléments sous droits d'auteur

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ١٩ ـ ٢١].

فحكاية التمكين، ثم حكاية تأويل الأحاديث رؤيتان استباقيتان يقدمهما النص القرآني علامة بنائية على التماسك الدلالي والسياقي الذي يقدم الحكائية في تصورها البلاغي بعيداً عن الإدراك الجزئي لمفرداتها. وعلاوة على ذلك فهي رؤى تنتمي إلى:

- السياق الغيبي المؤسس للحكاية.

وهذا يعني أن تداخل السياقين أمر ظاهر في النص، ودليل على تكامل الرؤية السردية والمنظور الحكائي ليعطيان تصوراً عن مبدأ التكوين الذي تنبني على أساسه الحركة الثانية.

هذا الفاصل الزمني يبدأ في التلاشي بعد دخول مفردات هذه الحركة حيز الفعل لأن تفعيل المنظور الحكائي في الحركة الثانية ينتمي إلى التصور الغيبي عن شخصية يوسف عليه السلام حتى بداية الفعل الذي تخبر عنه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

في منزل العزيز يبدأ إدراك السياق المكون للصورة الحكائية، شخصية يوسف فيه هي محور الحركة على النحو التالي:

أولا: فعل خاص بالسياق المصاحب المكون متمثلا في ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ [يوسف: ٢٣].

ثانياً: فعل خاص بالسياق المكون ذاته ممثلا في رد الفعل.

Éléments sous droits d'auteur

ثالثاً: أفعال أخرى تتصل بالذوات المرتبطة بالفعل الأصلي وهي:

- العزيز، وما يمثله من قوة.

- دلالة الحركة المتبادلة بين امرأة العزيز ويوسف.

- سياق عام مصاحب ممثلا في ردود أفعال -نسوة المدينة- امرأة العزيز وهي تقدم دليل البراءة بشكل كامل.

هذا التفعيل القيمي لا يمكن إدراكه في جزء من الصورة، وإنما يدرك عن طريق فهم العلاقات المختلفة التي تمثلها الحكاية بشكل عام، والسياق المكون لها بشكل خاص، لأن كل مفردة من مفردات الحكاية تعطي دلالة يؤدي إدراكها بشكل منفصل إلى قصور في التصور العام للنص القرآني، لأن الجزء الأول من الحركة الثانية والذي ينتهي عند دخول يوسف السجن بشكل غير مبرر من الناحية القيمية، هو المدخل المنطقي لتصور الجزء الثاني من الحركة الثانية حول علاقاته داخل السجن، كما ترتبط هذه العلاقات ببداية الحركة الأولى؛ إذ حكمت قدرة شخصية يوسف على ارتباط المعنى بينه وبين بقية الشخصيات داخل السجن، وقد قدّم النص القرآني تفصيلات سردية تكمل نظرية المنظور الحكائي وبلاغة الموقف في نظرية السرد بشكل عام، وهي سياقات مصاحبة لا تنتمي إلى السياق المكون الخاص بيوسف، وإنما هي رؤى استبطانية للواقع، والذوات داخل الحكاية الأصلية، مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ...﴾ [يوسف: ٣٦].

وهي رؤى حكائية تنتمي إلى حكاية التأويل عند يوسف، وفيها استباق زمني وترتبط بدلالة التصور العام في القصة إذ يتنبأ بموقفين واقعيين، الأول في رؤية قتل أحد الفتيين، والثاني في ارتباط الثاني بعزيز مصر، لذلك تقدم الحكاية قرائن الارتباط بتصورات منسجمة مع بعضها البعض، ولأن المفهوم الحكائي في النص القرآني يقدم نوعين من الارتباط الدلالي:

Éléments sous droits d'auteur

الأول: ارتباط دلالي يقوم على الفهم الواقعي للحدث.

الثاني: ارتباط دلالي يقوم على الفهم الغيبي للحدث.

ففي الأول تكون الأفعال الحكائية غالباً هي المكون للبناء الحكائي، مثل ما حدث مع يوسف وهو يوصي الفتى في قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

وفي الارتباط الثاني تكون الأفعال مصاحبة للسياق المكون، أو تكون مصاحبة للسياق المؤسس في الحكاية، مثل ارتباط الدلالة في الجزء الأول من الحركة الثانية في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢].

كذلك الارتباط الدلالي في حكاية خروجه من الجب سالماً، وهي ارتباطات لا يمكن تفسيرها في النص القرآني بشكل منطقي، لأنها تنتمي لأحداث غيبية، الفاعل الحقيقي فيها هو الله سبحانه وتعالى، ولكنها في النصوص الحكائية العادية تنتمي أحياناً لمنطق فوق المنطق العادي من باب تفسير الأحداث أو الدلالات.

أما موقف التقاء الدلالات في الحكاية ممثلة في المنظورات المصاحبة للنص الحكائي فتمثل علامة بنائية أخرى من علامات الانسجام الحكائي في النص.

ومن هذه المواقف ما يمثل حركة التقاء بين الحركة الثانية والحركة الثالثة مثل ما حدث مع الملك في حكاية الحلم الذي يمثل لُب الارتباط الدلالي الثاني ممثلا في ثلاثة سياقات مصاحبة:

السياق الرئيس الأول: رؤية الملك.

السياق الثاني المصاحب: الحركة المصاحبة لتذكر يوسف في السجن.

السياق الثالث المصاحب: سياق الرؤية، ويقدمه النص من خلال

Éléments sous droits d'auteur

صورة اجتماعية واقتصادية وسياسية للمجتمع المصري آنذاك، والذي يعتمد على الأرض بشكل مباشر في أقواته.

في نهاية هذه الحركة الحكائية يقدم النص تفصيلات وحوادث ترتبط بمكونات السياق من جهة، وترتبط بالسياقات المصاحبة من جهة أخرى؛ أما ما يرتبط بالسياق المكون ويقدم تفسيرات منطقية لأفعال سابقة مثل حكاية النسوة اللواتي ظهرن في السياق مرتين:

المرة الأولى: عندما قطّعن أيديهن تأثراً بمشهد النبي يوسف عليه السلام، وفي هذه المرة كانت النسوة صورة من صور السياق المصاحب المكون، حاولت امرأة العزيز استخدامهن حتى تقطع الأقاويل التي تشيع حولها.

المرة الثانية: عندما استدعاهن الملك ليبرهن بهن على براءة يوسف من الفعل الأول في الحركة الأولى، وفي الوقت نفسه قدمت المرأة الصورة النهائية للعلاقة المفترضة بين النبي يوسف وامرأة العزيز، وكذلك أظهرت هذه المرة براءة امرأة العزيز نفسها أمام الزوج والقصر وعامة الناس. وهنا تتجلى صورة المنظور القائم على دلالات مركزية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطرق تفكير الشخصيات داخل الحكاية، ومن طرق تفكير مفترضة عند المتلقي، فشخصية الملك جعلت منها الحكاية دلالة مركزية من دلالات الارتباط البلاغي للسياق، وفي الوقت نفسه جعلت منها سياقاً مصاحباً مستقلاً عن أحداث الحكاية.

يأتي الارتباط من كون امرأة العزيز الفاعل المشارك في الحدث، ويأتي الاستقلال من كونه استطاع من خلال رؤية محايدة تقديم أفعال حكائية قدمت ارتباطات سياقية مصاحبة ومن هذه الأفعال:

*** محاولته تحري الحقيقة في موضوع العلاقة المفترضة بين امرأته والنبي يوسف.**

Éléments sous droits d'auteur

* **والشق الثاني من المحاولة استدعاؤه النساء.**

* **طلب يوسف من السجن ومحاورته.**

* **استجابته ليوسف كما تظهر الآية الكريمة في قوله تعالى:** ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٥ ـ ٥٦].

الحركة الحكائية الثالثة: السياق المؤول

السياق المؤول في النص الحكائي يعتمد على مجموعة من الأفعال التي لا تقدم المنظور بشكل بنائي يمكن من خلاله تأويل هذه الأفعال من جهة، أو ارتباطها بوجهات نظر خاصة يعتمد عليها المتن الحكائي في النص، وفي كثير من التصورات السردية يقدم السياق أفعالاً تؤول المنظور من خلال ثلاثة أبعاد رئيسة:

البعد الأول: ارتباط الفعل الحكائي بأفعال أخرى محتملة الوقع في النص.

البعد الثاني: ارتباط الفعل الحكائي بواقع فعلي ومدى حكائي سابق أو لاحق.

البعد الثالث: ارتباط الفعل الحكائي بمدى تخيّلي.

هذه الأبعاد تتجلى في السياق المؤول بتشكيلات أقرب ما تكون إلى تفسير الأحداث أو الأفعال داخل النص، وتعتمد على طريقة التفكير التي تتسم بالرؤية الكلية للواقع، ومن ثم الرؤية الكلية للمنظور بأبعاده الماضية والحالية والاستباقية، فعلى حين كانت الأفعال داخل السياق المؤسس في سورة يوسف لا يمكن تأويلها بأكثر من وجهة نظر، مثل فعل الجسد الذي وقع من قبل إخوة يوسف وأثره الظاهر في الاعتداء، ومن ثم تشكيل السياق الحكائي من خلال فعل نفسي، نجد أن الأفعال المكونة لم تكن إلا رؤية

Éléments sous droits d'auteur

واقعية للأحداث في مقابل رؤية واقعية للذوات الرئيسية والذوات المصاحبة لها، ومن ثم جاء المنظور مكوناً للحكاية، ففي النصوص الحكائية غير النص القرآني، يمكن القول إن الأحداث الرئيسة أنهت الموضوع عندما تبوأ يوسف مكانته، ولكن صورة أخرى بدأت تنحو بالمنظور الحكائي نحواً مغايراً في الحركة الثالثة، وهي التي تمثل صورة من صور السرد الحكائي المؤسس بدوره للسياق الاجتماعي والإنساني النابع من داخل الذات، وهو بالضرورة يعطي قدرة على تحمل الذات لعبء الفعل، وانفتاحه على أفعال أخرى:

السياق المؤول يبدأ بالعلاقة الثانية بين يوسف وإخوته مرة أخرى، علاقة تعتمد على معايير أخلاقية غير التي عرفتها الحكاية في حركتها الأولى؛ وتعتمد على عدد من التصورات الإنسانية للفعل:

- **التصور المحرك للفعل ممثلا في أفعال يوسف.**

- **التصور الممثل للصورة المؤسسة للسياق ممثلا في أفعال إخوة يوسف.**

- **تصور يعقوب عليه السلام لمجمل الحكاية.**

الأفعال ومركزية الدلالة صورة من صور المنظور السردي، إذا اعتبرنا أنه أشمل وأعم من المنظور الحكائي، فالأول يعتمد على عدد من الأمداء النصية التي ترتبط بعالم السرد بداية من الراوي والفعل والشخصيات والفضاء والسياقات المختلفة، أما الثاني فيضيق أو يتسع حسب الحكاية، التي لا تتمثل أحياناً في النص الأدبي إلا عن طريق الأثر الناتج عن العناصر المكونة لها، ولذلك يمكن أن نطلق على نص بأنه سردي، والحكاية فيه لا تبدو إلا ظلالا، وبهذا المفهوم تقوم الأفعال في المنظور السردي بأدوار تختلف عنها في المنظور الحكائي، لأن كل فعل يتصل اتصالاً مباشراً أو غير مباشر بمركزية الدلالة، فيوسف في الحركة الحكائية الثالثة أصبح فاعلا

Éléments sous droits d'auteur

أكثر في المتن الحكائي وأسس سياقه من داخل المواقف الحكائية، ولذلك يمكن تقسيم السياقات المرتبطة بالحركة الثالثة إلى نوعين:

النوع الأول: سياقات داخلية: وهي السياقات التي يقدمها الفاعل في الحكاية من داخل الموقف السردي وبمفردات تتصل به اتصالا مباشراً، وغالباً ما يكون الفاعل هو صانع السياق، وأقول الفاعل في الحكاية، وليس السارد، لأن النص القرآني يقدم النظرية السردية من خلال رؤية ضمير الغائب على اعتبار أن يوسف ليس هو السارد، بل هو الفاعل، وأحياناً يتحول الفاعل في النص الحكائي إلى مسرود له .. حسب التصور التالي:

السارد ≠ الفاعل.

السارد = الفاعل.

الفاعل = المسرود له.

الفاعل ≠ المسرود له.

وفي النصوص الأخرى تتبادل العناصر الحكائية الأدوار فيأخذ السارد دور الفاعل، ويأخذ الفاعل دور السارد، ويتحول الفاعل إلى مسرود له أو يتحول إلى رمز داخل السياق الحكائي ومن داخل الموقف قدم يوسف الأفعال التالية:

الموقف الأول: يوسف يتعرف على إخوته.

الموقف الثاني: يوسف يكيد لإخوته ليأخذ أخاه في حالتين:

١- حالة جعل السقاية في رحل أخيه.

٢- حالة جعل البضاعة في رحل إخوته.

الموقف الثالث: استقباله لأبيه وأمه وإخوته.

هذا السياق الداخلي هو القابل للتأويل بحسب رؤية المتلقي:

Éléments sous droits d'auteur

ففي الفعل الأول: جعل السقاية في رحل أخيه يمكن افتراض مجموعة من ردود الفعل تجاه الدلالة الأولى كالتالي:

* هل يمكن أن يؤدي المشهد المصنوع في النص إلى استسلام الإخوة.
* هل يتمسك الإخوة بموقفهم.
* هل فعل يوسف يقدم منطقاً اجتماعياً محدداً.
* لماذا جاء رد الفعل القرآني على هذا النحو: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

إن تأويل الموقف باختلاف تعدد وجهات النظر داخل الحكاية يقدم في الوقت نفسه سياقاً داخلياً ينبع من الموقف المكون للحكاية، وحتى في السياق الداخلي الثاني الذي قدم فيه الفاعل النصّي مشهداً يتساوى من حيث الدلالة الفنية مع السياق الأول، وهو جعل البضاعة في رحل إخوته، فهو يقدم أيضاً سياقاً داخلياً يؤسس في الوقت نفسه لمزج دلالة الحكاية وتوحيد أثر الفعل (الأفعال) فيها ولأنه وبرؤية استباقية يقدم صورة كلية لسياق يمكن تأويله على النحو التالي:

- **إخوة يوسف يعودون من غير أخيهم.**
- **البضاعة في رحالهم.**
- **يعقوب يؤكد لهم أن يوسف قريب منه.**
- **يعقوب يحثهم على البحث عن يوسف وأخيه.**

وكأنه يؤكد وجود يوسف وفي الوقت نفسه يجعل سياق الحكاية سياقاً واحداً متصلا سواء كان سياقاً مؤسساً أو كان مكوناً أو كان مؤولاً.

النوع الثاني: وتعتمد قدرة الفاعل في الحكاية فيه على تقديم التحفيز المقيد الذي يطرح الفعل ومن ثم يتوقع رد فعل واحد له، كما فعل يوسف

Éléments sous droits d'auteur

لأنه يعلم أن الأب (يعقوب) سيقدم رد فعل بعد فقد الابن الثاني يمكن أن يكون حلا كلياً للموقف وهو يتمثل في إصرار الأب على البحث عن ابنيه، ومن ثم لا يكون أمام يوسف بعد أن يتعرف عليه إخوته إلا أن يأتي بالجميع لبحوث الاتحاد النهائي للفعل الحكائي المتمثل في المواقف السياقية الخارجية وهي:

١- موقف الإخوة من فعل يوسف في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].

٢- موقف الإخوة بين بعضهم البعض ممثلا في ثلاثة مواقف واقعية:

الأول: الموقف القديم العدائي مع يوسف: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف: ٧٧].

الثاني: الموقف الوجداني مع الأخ الأكبر في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

وهي البداية الحقيقية لعملية التحول التي حدثت لإخوة يوسف، حيث بدأ الود الأبوي، والفطرة الإنسانية تحل محل الحسد القديم ومن هنا يأتي دور السياق خارج الفعل المركزي في الحركة الثالثة ليختم حلقة الصراع بين الأبناء على اعتبار أن توهم هذا الصراع لم يكن في بال يوسف على الإطلاق، وإنما كان يحتل كل ذاكرة الإخوة افتراضاً لعلاقة إنسانية قد تؤثر على علاقتهم بالأب يعقوب.

الثالث: ويأتي بعد موقف التحول الوجداني، وهو بينهم وبين يوسف، ويمثل ذروة المشهد الحكائي لا السردي الذي يتحد بالأثر كما سلف من خلال المواقف الحقيقية المؤسسة لمشهد النهاية:

الأول: موقف يوسف وهو يدعو كل أهله.

Éléments sous droits d'auteur

الثاني: موقف الاستجابة المباشرة من الإخوة.

الثالث: عودة بصر سيدنا يعقوب ودخول الجميع على يوسف.

الرابع: مشهد السجود، وهو يعود بنا للحركة الأولى، وللفعل المركزي المؤسس للحكاية منذ بدايتها: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٩٩ ـ ١٠٠].

إن توثيق الدلالة في معنى واحد هو الامتداد الزماني والمكاني للموقف الحكائي بأطرافه المتعددة بالإضافة إلى تحويل الصورة السردية العامة، وهي منظور حكائي خارج الذوات، ومنظور حكائي نفسي داخل الذوات من توزيعها السابق إلى اتحاد في الفعل وأثره، وهنا تتجلى مفردات الحكاية بين السياقات الثلاثة وبلاغة النص، سياق التأسيس وسياق التكوين، وسياق التأويل:

التأسيس = موقف الرؤيا متضامنا مع موقف يعقوب.

التكوين = موقف الإخوة وحياة يوسف في مصر.

التأويل = الموقف الآني في الآية الكريمة، سجود الكل ليوسف، وهو ليس سجود عبادة، إنما تأويل لصدق نبي الله يوسف ونبي الله يعقوب، وتعليم لموقف الإخوة ثم ربط ذلك كله بسياق حكائي واحد.

د. محمد عبد الباسط زيدان

٢٣ رجب ١٣٤٣هـ (٣/ ٦/ ٢٠١٣م)

القاهرة - مصر

Éléments sous droits d'auteur

المقدمة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله العظيم كما هو شأنه

والصلاة على رسوله كما هو أهله

والسلام على آله الطاهرين كما هو حقّه

كانت فكرة القصص تنتابني منذ فترة غير قصيرة ولكن الفرص كانت تطاردني كما لو كان بيني وبينها ثأر قديم فاستغلت ظروفي لتنتصر، وكلما أخذت أُلاعب ريشة بأناملي لأنطلق بمخيّلتي نحو سيرة الصفوة البررةِ والخِيَرَةِ السَّفَرَةِ إلّا وتلاعبَ بي الزمانُ حتى تسلَّمَتْني أمواج عارمة حملتني أجنحتها المتكسرة وحطَّت بي ساحل رحى ليتحكم فِيَّ هواه، فأنفيته متوغلاً أعماقه إلى أن توقفت في قطبها، وأخذت ألتقط أنفاسي وتعود إليّ مشاعري، فلم أرَ نفسي إلا في اغتراب بعد اغتراب وهجرة بعد هجرة، بَيْد أني تعلمتهما ومارستهما منذ أنْ قيل لي أب، إلا أن هذه المرة قد خفَّت بيني وبينها القواسم المشتركة، فالتزمت منزلي بضواحي لندن وانتهزت فرصة اعتكافي لأُكمل تفسيري المَزْجِيَّ للقرآن، كما استغلّت عائلتي هذه الفرصة لتطالبني بأن أُفسِّر لهم القرآن من خلال تدويني هذا التفسير ولكن على شكل دروس يومية، فلبَّيت طلبهم وابتدأت بسورة يوسف، وذلك حيث توقَّفْتُ عنده قبل وصولي إلى هذا البلد، وعند التوغل في تفسير هذه السورة وجدت

Éléments sous droits d'auteur

أن هناك أسئلة عديدة طرحتْ نفسها، والجواب عليها كان يتطلب مِنّي بيانا كاملاً للقصة، فلذلك شرعت بالقصة حسب ما وردت في كتب الحديث والسيرة، فكان هذا السفر الذي بين يديك، وأظنه وافٍ بالموضوع على رَغْمِ قلّة المصادر لديّ وانشغال البال، حيث لم تكن الأمور على ما يُرام، وقد تكالبت عليّ أمور كثيرة أقلّها ضيق اليد والوقوع في متاهات القانون، فكنت كالعائم على الماء وسط أمواج عاتية لا أعرف إلى شرقٍ أتوجه أم إلى غربٍ، تغيرت فيها النفوس، ولكن التَسَلِّي في النهاية هو الملجأ الوحيد الذي يؤوي مَنْ لا مأوى ولا استقرار له لعله يلهو به أو يُبعده عن التفكير بالعوائق ويترك أمره إلى الله توكلاً واستعانة وملاذاً، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، وهو الرجاء والمُعتمد في الشدة والرخاء وهو المولى والنصير.

محمد صادق محمد الكرباسي

لندن: ١٧/ ربيع الأول/ ١٤٠٧هـ

Éléments sous droits d'auteur

تمهيد

لابد من القول بأنني في هذه القصة كما في سائر القصص قد تتبَّعْتُ - حد الإمكان - النصوص الواردة في الروايات وكتب التاريخ والسِّيَر، مضافاً إلى الجمع مهما أمكن بين الروايات والأقوال، وأخذت ما وافقَ منها كتاب الله، كما حاولت أنْ لا أطرح شيئاً منها إلا ما أدى إلى التناقض، وآليت على نفسي بالأخذ بالقول الأقرب إلى الجمع، وما هو المألوف، حسب ما ترتضيه النفس السليمة، وتقتضيه نزاهة الأنبياء، كما نأيت عن التكلّف في الكتابة، لافظاً الاعتبارات الأدبية المطروحة على ساحة القلم، رعاية للأمانة التاريخية وحفاظاً على إيصال الحقائق التاريخية مباشرة إلى خزانة الذاكرة من دون ارتجاج حتى تكون عبرة لأولي الألباب كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

Éléments sous droits d'auteur

يوسف في سطور

اسمه: يوسف.

لقبه: الصِدِّيق.

أبوه: يعقوب بن إسحاق (النبي).

أمه: راحيل بنت لابن (ليّا).

جده لأبيه: إسحاق بن إبراهيم(النبي) بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو.

جده لأمه: لابن (ليّا) بن توئيل بن ناهر بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو.

جد أبيه: إبراهيم(النبي) بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ(النبي هود) بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح (النبي).

جد أمه: ناهر بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ (النبي هود) بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

جدته لأبيه: رفقة بنت توئيل بن ناهر بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ (النبي هود)[1].

---

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم: ١٧٥.

Éléments sous droits d'auteur

جدته لأمه: أم رفقة.

جدة أبيه: سارة بنت بتوايل بن ناحور بن أرغو بن فالغ (النبي هود).

جدة أمه: ملكا بنت بتوايل بن ناحور بن أرغو بن فالغ (النبي هود).

عمّه: عيص بن إسحاق (النبي)[1].

عمّته: سارة بنت إسحاق بن إبراهيم (النبي) وكانت تكنى بأُم إسحاق.

خاله: لا خال له.

خالته: لايا بنت لابن (ليّا) بن توئيل بن ناهر بن تارخ بن ناحور بن أرغو.

إخوته: ١- روبيل. ٢- شمعون. ٣- يهوذا. ٤- لاوي. ٥- يسجر. ٦- ريالون. ٧- جاد. ٨- أشر. ٩- دان. ١٠- بفتال. ١١- بنيامين.

أخته: دينة.

زوجات أبيه: ١- راحيل أمه، ٢- لايا بنت لابن بن توئيل بن ناهر، ٣- زلفة أَمَة (لايا)، ٤- بلهة أَمَة (راحيل).

أولاده الذكور: ١- أفراهيم. ٢- ميشا.

بناته: ١- رحمة.

صهره: النبي أيوب بن موص بن رازخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم.

حفدته:

١- نون بن أفراهيم[2].

٢- موسى بن ميشا (وهو نبي)[3].

---

(١) واسمه في التوراة «عيسو»- الأنبياء حياتهم وقصصهم: ١٧٥.

(٢) عرائس المجالس: ١٤٣.

(٣) عرائس المجالس: ١٤٣.

Éléments sous droits d'auteur

٣- يوشع(النبي) بن نون بن أفراهيم خليفة موسى بن عمران[١].

٤- يعود بن موسى بن ميشا.

من نسله: النبي زكريا ويحيى.

تاريخ ولادته: ٢٤/ ربيع الثاني/ ٢٠٦٣ ق.هـ.

مكان ولادته: العراق (بادية الشام).

تاريخ وفاته: ١٩٤٣ ق.هـ.

مكان وفاته: مصر.

مدفنه: نهر النيل (مصر) إلى سنة ١٥٤٣ ق.هـ، ثم رملة بفلسطين.

مدة عمره: (١٢٠) سنة[٢].

تاريخ نبوته: سنة ٢٠٤٣ ق.هـ.

مدة نبوته: (١٠٠) سنة.

تاريخ ارتقائه لأن يكون رسولا: سنة ١٩٧٦ ق.هـ، وهو يوم وفاة أبيه يعقوب.

مدة قيامه بمسؤولية الرسالة: (٣٣) سنة.

تاريخ ملكه: سنة ٢٠٠٠ ق.هـ.

مدة ملكه: (٥٧) سنة.

تاريخ إلقائه في البئر: ٣٠/ ١٢/ ٢٠٤٣ ق.هـ.

تاريخ خروجه من البئر: ٣/ ١/ ٢٠٤٢ ق.هـ.

مدة بقائه في البئر: أربعة أيام.

---

(١) عرائس المجالس: ١٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٠ عن أمالي الصدوق: ١٥٢.

Éléments sous droits d'auteur

تاريخ انتقاله إلى بيت الملك: ٢٠٤٠ ق. هـ.

تاريخ عشق زُليخا ليوسف: ٢٠٤٠ ق. هـ.

تاريخ دخوله السجن: سنة ٢٠٤٠ ق.هـ.

تاريخ خروجه من السجن: سنة ٢٠٢٠ ق.هـ.

مدة سجنه: (٢٠) سنة.

تاريخ صيرورته خازناً للملك: سنة ٢٠٢٠ ق.هـ.

مدة كونه خازناً: (٢٠) سنة.

تاريخ زواجه من أسنات بنت فوطي سنة ٢٠١٩ ق.هـ.

بدء السنوات السبع المجدبة: سنة ٢٠١٣ ق.هـ.

تاريخ تنازل الملك له بالمُلك سنة ٢٠٠٠ ق.هـ.

وصول إخوته إلى مصر للميرة سنة ٢٠٠٨ ق.هـ.

وصول إخوته ثانية إلى مصر سنة ٢٠٠٧ ق.هـ.

تاريخ لقائه أبيه: سنة ٢٠٠٣ ق.هـ.

تاريخ وفاة الملك سنان ١٩٩١ ق. هـ

مدة فراقه: (٤٠) سنة.

تاريخ وفاة أبيه: سنة ١٩٧٦ ق.هـ، أي عاش مع أبيه خمسين سنة[١].

تاريخ وفاة أمه: سنة ١٩٤٥ ق.هـ.

تاريخ زواجه من زُلَيْخا: سنة ١٩٩١ ق.هـ.

تاريخ وفاة زوجته زُلَيْخا: سنة ١٩٤٣ ق.هـ.

اسم زوجته الأولى: أسنات بنت فوطي فارع.

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٢ بنقل المجلسي عن أبي حمزة.

Éléments sous droits d'auteur

اسم زوجته الثانية: راعيل.

لقبها: زُلَيْخا.

اسم أبيها: جلموس (سلطان المغرب).

ملك مصر الذي عاصره: سنان بن الأشل بن علوان بن العبيد بن عريج بن عمليق بن يلمع بن عامر بن أسليحان بن لوذ بن سام بن نوح(النبي).

خازن الملك قبله: قطفير بن رحيب- وزير الاقتصاد -.

رتبته: نبيٌّ رسولٌ، وهو أول رسول في بني إسرائيل (يعقوب) وزير ثم ملك.

سكنه: بادية الشام - فلسطين - مصر.

Éléments sous droits d'auteur

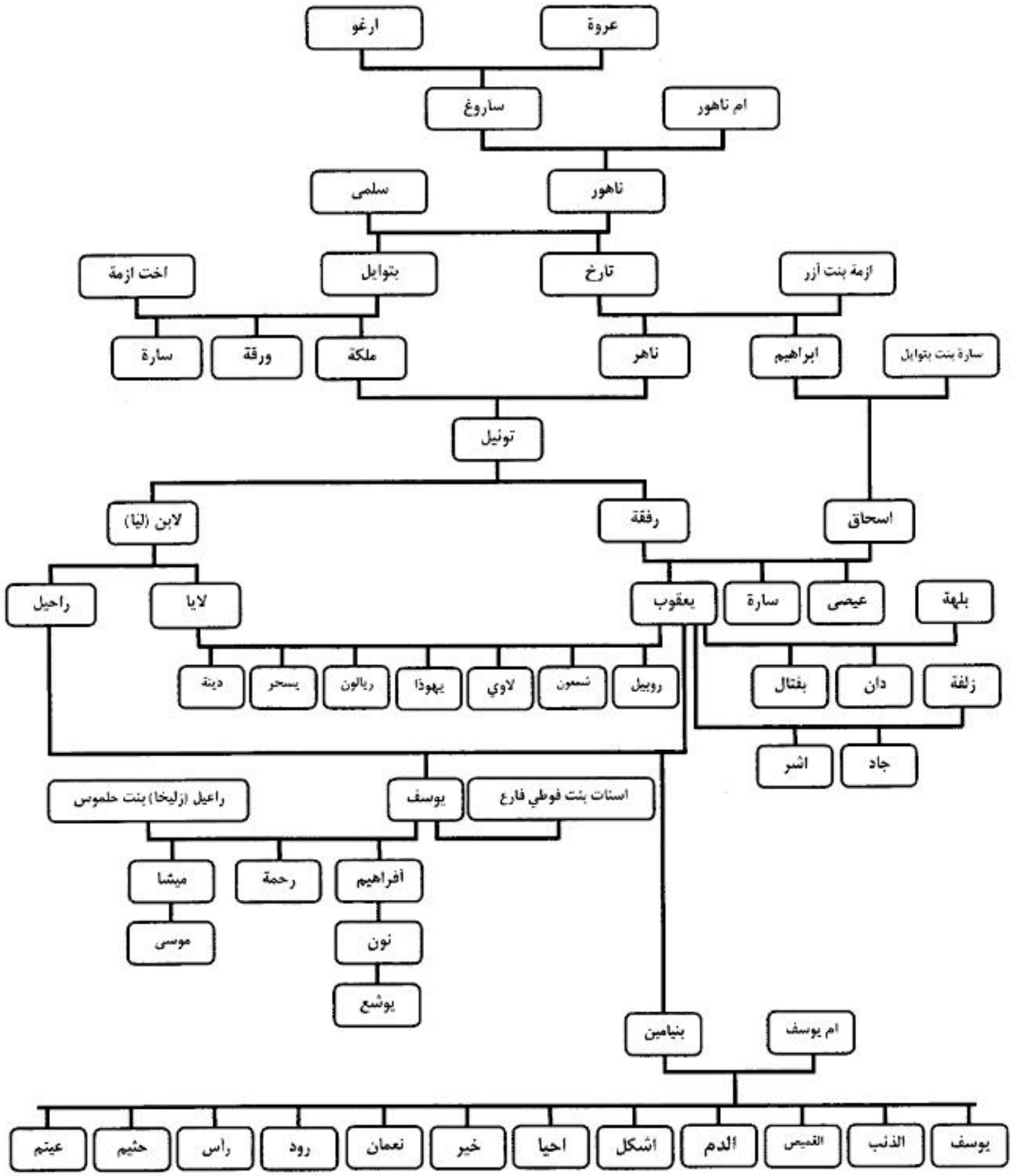

Éléments sous droits d'auteur

(بلد الاغتراب)

كان يسكن هناك في بلد الاغتراب ببادية الشام من أرض العراق[1] النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ففي سنة ألفين واثنتين وستين قبل الهجرة قُبيل شهر رمضان المبارك حينما عرفَ يعقوب أن زوجته راحيل بنت لابن بن توئيل قد حملت منه دخلت الفرحة قلبه - وهو ابن ستين سنة - حيث في البدء كان يريد الزواج منها، ولذلك أصبح يهتم بها وينتظر المولود منها على رغم ما كان له من الأبناء وهم عشرة[2] من أختها لايا ومن جاريتها، ومن البنات واحدة، إلا أنّه عرف أنْ ستكون النبوةُ في أحد أبنائه منها.

(ترقُّب الوليد)

أخذ يعقوب ينتظر ببالغ الصبر كي تمرَّ هذه الأشهر ليكتمل الجنين حتى يرى خليفته «يُوسف»، فما كانت الأيام والليالي إلا انقضت حتى دخلت الثالثة والستون بعد الألفين وكاد الشهر أنْ يقبل على نهايته وكان القمر آخذاً في الانحسار تماماً في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول وكانت دقّات قلب يعقوب قد تعالتْ إذ بُشِّر بالوليد يوسف ذي الجمال الخارق.

ومن الطبيعي أن تشرع كلٌّ مِنْ: زلفة وبلهة، جاريتا يعقوب، لتساعدا

---

(١) كانت تسمى فدان «آرم» كما في كتاب الأنبياء حياتهم وقصصهم: ١٧٥، أو «حران» كما في قصص الأنبياء لابن كثير: ١٩٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢١٧، ذيل ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٦.

Éléments sous droits d'auteur

راحيل في ولادتها، وذهبت لايا أختها والتي هي زوجة يعقوب الأولى [١] لتقوم بواجبها تجاه يوسف.

وسمى يعقوب ولده هذا يُوسُفاً، لعلمه سلفاً بأنه سيؤسِف إخوته منه ويغضبوا عليه، لاختياره نبياً[٢].

(بدء اليُتم)

وأخذت راحيل تهتم بولدها يوسف وترعى شؤونه والتي طالما انتظرته بعد هذا العُقم المرير، وقد أخذ يوسف بمجامع قلبها، إذ كان أجملَ إخوته وأشرقهم وجهاً، إلى أنْ دخل السنة الثانية من عمره، فحملت راحيل ثانية بشقيقه بنيامين[٣] وولد في سنة ألفين وإحدى وستين، وما كاد أن يفرح يوسف بخبر ولادة أخيه بنيامين إلا وانصدع بوفاة أمّه حين ولادة أخيه، فأصبح يتيماً حُرم من حنان الأمومة فكان يتسلى مع أخيه بنيامين، ولما كان بعد في ساعاته الأولى رقَّ عليه أبوهُ يعقوب كما رقَّ على أخيه بنيامين فعوضهما عاطفته ووصّى خالتهما ليّا أن تُعير اهتمامها عليهما وتقوم

---

(١) تزوج يعقوب من راحيل بعد سبع سنوات من أختها لايا، وعمل لأجل ذلك سبع سنوات إضافية في خدمة خاله لابن (ليا) ليكون صُداقها كما الأُولى - راجع تواريخ الأنبياء: ١١٧، وجاء فيه بأن الجمع بين الاختين كان جائزاً عندهم، هذا وقد ورد في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣] بالنقل عن عطاء والسدي ان المراد بالسلف هو ما جمع النبي يعقوب عليه السلام من زواجه بين الاختين لايا وراحيل، ولكن جاء في بعض المصادر أنه انما تزوج الثانية راحيل بعد وفاة الأولى لايا ولكن هذا لا يناسب مع سرد القصة وانها كانت حية عند لقاء العائلة في مصر، وربما التي كانت حية هي جاريتها بلهة وربما اعتبروها بمثابة الخالة، ولكن ورد في حديث الإمام الكاظم عليه السلام كما في وسائل الشيعة: ٢٠/ ٤٧٧، عندما سئل عن علة حرمة الجمع بين الاختين، قال عليه السلام: «لتحصين الاسلام وفي سائر الاديان يرى ذلك».

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٤، ح: ٦٥ عن معاني الأخبار: ١٩.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢١٨، ذيل ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٦.

Éléments sous droits d'auteur

بشؤونهما، لكن يوسف تعلق بأبيه كما تعلَّق هو الآخر به أكثر من أخيه بنيامين، حيث كانت الصدمة أكثر وقعاً على قلب يوسف من بنيامين إذ عاشر أمه سنتين دون أخيه بنيامين.

وأخذ يوسف يزداد جمالاً كلما ازداد ربيعاً من عمره مالئاً بذلك قلب أبيه شغفاً وحباً، وتزوج يعقوب من ليّا خالة يوسف لكي تهتم بشؤون ابني اختها راحيل.

(زيارة يوسف لبيت خاله وجدّه)

وفي ذات يوم ذهب يوسف مع خالته إلى بيت جده لابن (ليا) - والد أمه - وخال أبيه للزيارة، وإذا بصنم هناك يخص جدّه توئيل، فأشارت عليه خالته لايا بأن يأخذ الصنمَ ويكسِّرَهُ ويطرحه في الكنيف، ففعلَ، وفي ما بعد لما افتقدوا الصّنمَ علموا أن هذه من فِعلة يوسف، فاتّهموه بالسرقة.

(انتقال يعقوب الى فلسطين)

ومن ثم عزم يعقوب على الرَّحيل من بادية الشام - بلد الاغتراب - والعودة إلى فلسطين - بلد الآباء والأجداد- مسقط رأسه وذلك عندما أصبح لديه من الأولاد القوة الرادعة لدفع خطر أخيه عيص عن نفسه، فجمع أهله وعياله وترك بادية الشام - بلد خاله لابن (ليا)- ليستقر في رملة بفلسطين.

(ملامح يوسف ومميزاته)

فما أن استقر برملة حتى انتشر خبر جمال يوسف فكانوا يقصدونه ليروا جماله الخارق فأصبحت الفتيات تهوينَهُ وتتمنّيْنَهُ والفتيان يحبونه[1] أو يحسدونه على جماله وحُسنه، إذ فاق جماله جمال مُعاصريه حتى قيل فيه إن

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٩.

Éléments sous droits d'auteur

جمال يوسف يوازي جمال البشرية جمعاء[١]، إذ كان أبيض اللون خميص البطن، له خال أسود على خده الأيمن، واسع العينين، متين العضدين، غليظ الساقين والساعدين، مستوي الخلقة، جميل الوجه، صغير السُّرة، أقنى الأنف، بيضاء شامته التي بين عينيه، مجعّد الشعر[٢]، أهدابه كقوادم النِّسر، وجهه كالبدر[٣]، إذا ابتسم زادَ جمالاً وإذا تكلم فاق كمالاً، وإذا أكل البقول والفواكه كانت ترى حين يزدردها في حلقه.

(رؤيا يوسف الأولى)

والأب يعقوب قد اشتد حُبّه لابنه يوسف حينما أصبح يتطلع إلى مُحَيّاه وقد تَجسَّدَ فيه الذكاء والفطنة والكمال والجمال إلى أن بلغ به العمر سبع سنوات[٤]، وكانت السنة ألفين وستاً وخمسين، فإذا به في صباح يوم يعرض منامه على والده ويقول له: «يا أَبَتِ إنّي رأيت في المنام من لَيْلَتي هذه أَحَدَ عشر عصاً طويلةً كانت مركوزة في الأرض على شكل دائري، وإذا بِعَصاةٍ صغيرةٍ قد أقلعَتِ العصي من مكانها وغلبَتْ عليها»[٥]، وطلبَ من والده أن يعبّرها له، فعندما سمع ذلك يعقوب حذّره من أن يطرح منامه على إخوته[٦] إذ جاء في تعبيرها أنه سيفوق إخوته الأحد عشر عِلْماً وحكمةً، فأصبح يعقوب عند ذلك يُقرّبه أكثر من ذي قبل.

---

(١) إشارة إلى رواية وردت عن الرسولﷺ «أُعطي يوسف شطر الحُسن والنصف الآخر لسائر الناس». هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢١ عن مجمع البيان للطبرسي.

(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢١، عن مجمع البيان للطبرسي نقلاً عن كعب.

(٣) عرائس المجالس: ١٠٩.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢١٩، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١١.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢١٩، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١١.

(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢١٩، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١١.

Éléments sous droits d'auteur

(الشجرة التي في بيت يعقوب)

وكان من قصة الأغصان أنه كان ليعقوب في صحن داره شجرة فكان كلما يرشد واحد من أبنائه يقطع غصناً منها ويدفعه إليه ليستعين بها في أُموره ورَعْيِه، فحينما وُلد يوسف لم يبق في تلك الشجرة غصْن، فعندما رشد يوسف قال لأبيه: «يا نبي الله إنه ليس أحد من إخوتي إلا وله غصن إلا أنا، فادْعُ الله تعالى أنْ يخصَّني بغصن من الجنة».

فرفع يعقوب يديه إلى السماء، وقال: «اللهم إني أسألك أنْ تهبَ ليوسف غصناً من الجنة يفتخر به على جميع إخوته». فهبط جبرئيل ومعه قضيبٌ من الجنة، فقال ليوسف: خُذ هذا. فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع إخوته.

وفي ليلة رأى في منامه أن قضيبه غُرس في الأرض فعلق وتدلَّتْ أغصانه وأثمر من كل الثمرات، ثم أتى بأغصان إخوته فغُرست حوله فلم تَعلق ولم تُفْرع ولم تُثْمِر، وإذا بغُصن يوسف لم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طال على أغصان إخوته، ثم هبَّت الريح فاقتلعت أغصان إخوته من أصولها وألقتها في البحر وثبتَ غُصن يوسف في الأرض، فزع يوسف ونهض مرعوباً، وقصَّ رؤياه على أبيه وإخوته.

قالوا له: رأيت عجباً، يوشك أن تُدعى أنك مولانا ونحن عبيدك[1].

(يوسف عند عمّته)

وكانت عمّة يوسف - أم إسحاق[2] سارة - تحبّ يوسف كثيراً فكانت تأخذه عندها وتطالب يعقوب بأن يتنازل عن يوسف لتتخذه ولداً لها[3] حيث

---

(١) عرائس المجالس: ١١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩٨/١٢، ح: ٨٦ عن الخرائج والجرائح: ١٥٦.

(٣) بحار الأنوار: ٢٩٨/١٢، ح: ٨٦ عن الخرائج والجرائح: ١٥٦.

Éléments sous droits d'auteur

لم يكن لها ولد، فكان يعقوب يأبى ذلك، وكانت عند سارة منطقة[١] ليعقوب ورثها من أبيه إسحاق وهو بدوره ورثها من أبيه إبراهيم، وكانت من ميراث الأنبياء، فبعث إسحاق لأخته سارة طالباً منها أن تُرسل يوسف وقال: إبعثيه إليّ وأردّه إليك.

فاغتمَّت لذلك[٢] وقالت: دَعْهُ عندي الليلة أشمّه ثم أرسله إليك غداةً.

فلما أصبحت[٣] أخذت المنطقة فربطتها في حُقْوِه وألبسته قميصاً[٤] ثم سَدَلَتْ عليه سِرْباله[٥] وأخفَتْها تحت ثيابه وأرسلت يوسف لأبيه، ثم أخبرت يعقوب بأن منطقته التي كانت أمانة عندها قد سُرقت[٦] لكي توجه بذلك التهمة إلى يوسف لتأخذه عبداً لها، حيث كان جزاء السارق عند بني إسرائيل أنْ يُسترقَّ السارق لصالح المسروق منه، فحزن يعقوب على سرقة المنطقة.

فنزل جبرئيل على يعقوب وأخبره بأن المنطقة لم تُسرق وإنما هي عند يوسف[٧].

وجاءت سارة لتتهم يوسف بذلك، ففتَّش يعقوب يوسف فإذا بالمنطقة مشدودة في وسطه.

فقالت سارة: وبما أنه سرقَ من عندي فأنا أحق به منك.

---

(١) المنطقة: حِزام، يُجمع على أحزمة وحُزم، وهو شريط من الجلد وغيره يُلَفّ حول وسط الإنسان أو الحيوان، ما حُزِم به من حبلٍ ونحوه.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠، ح: ١٥ عن تفسير القمي: ٣٣١.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٢، ح: ٢٤ عن علل الشرائع: ٢٨ وعيون الأخبار: ٢٣٢ وتفسير العياشي.
(٤) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٢ عن عيون الاخبار: ٢٣٢.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٨، ح: ٨٦ عن الخرائج والجرائح: ١٥٦.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠، ح: ١٥ عن تفسير القمي: ٣٣١.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٨، ح: ٨٦ عن الخرائج والجرائح: ١٥٦.

Éléments sous droits d'auteur

فعندها حزن يعقوب وقال لها إنه عَبْدُكِ شرطَ أنْ لا تبيعيه ولا تَهَبِيهِ لأحد.

قالت: قَبِلْتُه عبداً، على أن لا تأخذه مِنّي وأنا أعتقه الساعة، فأعطاها إيّاه فأعتقته[1]، وبقي عندها إلى أن استرجعه يعقوب منها.

ومرَّت الأيام والليالي بذكرياتها ويعقوب أصبح لا يقدر على فراق يوسف بعد هذا الذي حصل ولا يتمالك حفظ عواطفه وشغفه تجاه حبيبه يوسف، وكان يُدنيه منه إليه ويقرّبه أكثر من إخوته[2] ويُلاطفه ويُلازمه في كل أوقاته إلى أن اكملَ من العمر تسع سنين[3] وكانت السنة ألفين وتسعاً وخمسين.

(السائل خلف الباب)

وذات عشية خميس من شهر رمضان في ليلة القدر[4] كانت عائلة يعقوب مجتمعة على مائدة الطعام وهموا بتناوُلِ الكبش المُهيأ لهم كالعادة، فإذا بالباب سائلٌ يُقال له ذميال، يطالبهم بما يدحض جوعه ويسد رمقه من صوم نهاره، وجعل يكرر كلامه: أطعموا السائل الغريب المجتاز القانع من فضل طعامكم[5]، ولكنهم غفلوا عنه إذ كانوا يتحدثون فيما بينهم، كما لم يصدِّقوا كلامه، فيئس السائل منهم، فاسترجَعَ واسْتَعْبَر وشكا ما به إلى الله، وأخذ يعالج جوعَهُ في تلك الليلة طاوياً جوعه حامداً ربه وأصبح صائماً يومه.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٩٨ عن الخرائج والجرائح: ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢١٨، ذيل ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٦، وبحار الأنوار: ١٢/٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢١٨، ذيل ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٦، وبحار الأنوار: ١٢/٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢١٨، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/٢٠٩.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٧١، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٧.

Éléments sous droits d'auteur

ذميال على باب دار يعقوب

(تأنيب يعقوب على ردّ السائل)

وانصرفت العائلة الكبيرة في بيت يعقوب ليأخذ كلٌّ مكانه للنوم، فنزل الوحي صبيحة تلك الليلة على يعقوب يؤنِّبهُ على ردِّ السائل وحذَّره الله من نزول بلائه، حيث أُوحي إليه: «لقد أذللت يا يعقوب عبدي ذلّة استجررتَ بها غضبي واستوجبتَ بها أدبي ونزول عقوبتي وبلواي عليك وعلى ولدك، يا يعقوب إنَّ أحب أنبيائي إليّ وأكرمهم عليّ مَنْ رَحِمَ مساكين عبادي وقرَّبهم إليه وأطعمهم، وكان لهم مأوى وملجأ، يا يعقوب أمَا رَحِمْتَ ذميال

Éléments sous droits d'auteur

عبدي المجتهد في عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاءَ أمس لمّا اعترَّ ببابك عند أوان إفطاره وهتفَ بكُم أطعموا السائل الغريب المجتاز القانع، فلم تطعموه شيئاً، فاسترجع واستعبَرَ وشَكَا ما به إليّ وبات طاوياً حامداً لي وأصبح لي صائماً وأنت يا يعقوب ووُلدك شبعى، وأصبحت عندكم فضلة من طعامكم، أو ما علمت يا يعقوب أن العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي وذلك حُسن النظر مني لأوليائي واستدارجٌ مِنّي بعقوبتي، فاستعدوا لبلواي وارضوا بقضائي واصبروا للمصائب»[١].

ففزع يعقوب من ذلك وارتعدت فرائصه والتهبت جوانحه ناراً وندماً[٢]، ثم إنه كان ينادي بعد ذلك كل غداة مِن منزله على فرسخ ألا مَنْ أراد الغداء فليأت آل يعقوب، وإذا أمسى نادى ألا مَنْ أراد العشاء فليأت آل يعقوب[٣].

(رؤيا يوسف الثانية)

وقد كان يوسف قد أخذ مكانه من النوم عند أبيه يعقوب[٤] وإذا به قد نهض من نومه فزعاً مرعوباً من هول ما رآه في منامه، فالتزمه يعقوب وضمّه إلى صدره وَقَبّلَهُ بين عينيه، وقال له: «يا حبيب أبيه، ما الذي أصابك يا بني؟.

قال: يا أبَتِ رأيت رؤيا أفزعتني.

فقال: يا بنيّ خيراً رأيت، ما الذي رأيت؟.

قال يوسف: رأيت كأن أبواب السماء فُتحت وقد أشرق منها النور

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٢، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.

(٢) تواريخ الأنبياء: ١١٨.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٥، ح: ٢٨ عن المحاسن: ٣٩٩، وبحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٤، ح: ٦٦ عن الكافي في فروعه: ٢/ ٢٦١.

(٤) عرائس المجالس: ١١٠.

Éléments sous droits d'auteur

فاستنارت النجوم، وأشرقت الجبال، وزخرت البحار، وعلت أمواجها، وسبَّحت الحيتان بأنواع اللغات، ورأيت كأني أُلبست رداءً أشرقت الأرض من حُسنه ونوره، ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض أُلقيت بين يدي[١] فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكباً هي الطارق وحوبان والذبال وذو الكتفين ووثاب وقابس وعمودان وفيلق ومصبح والصرح والفروغ كلها انقضت ومعها الشمس والقمر[٢] كلّهم انحنوا في الأفق تعظيماً ووقعوا لي ساجدين»[٣].

فما أن أتم يوسف كلامه إلا ازداد يعقوب غمّاً وَهَمّاً، وجعل يبكي خوفاً من نزول البلاء الذي حذَّره الله منه على حبيبه يوسف، فاشتدت رقته عليه[٤] وأخذ يعبر رؤياه ويقول له يا بني هذا أمر متشتت يجمعه الله عز وجل بَعْدُ[٥] وإنك سوف تفوق إخوتك فضلاً وعلماً وحكمة وملكاً وتكون نبياً[٦] وسوف يُعظِّمُكَ إخوتك الأحد عشر كما أُعظِّمك وخالتك لايا فلا تقصص رؤياك هذه على أخوتك أبداً فإنهم إن عرفوا منك ذلك زادهم حسداً عليك فيكيدوا لك كيداً، وحذّره من إخوته[٧]، قيل وقد سمعت لايا زوجة يعقوب مقالة يوسف لأبيه، فقال لها يعقوب: اكتمي ما قاله يوسف ولا تُخبري أولادي بذلك.

فقالت: نعم[٨].

---

(١) عرائس المجالس: ١١٠.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢١٧، ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٦، وكذلك في البحار: ١٢/٢٦٣، ح: ٢٥ و٢٦ عن الخصال: ٢ /٦٣ ولكن باختلاف يسير.
(٣) اشارة إلى الآية ٤ من سورة يوسف.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٧٣، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٧.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٣، ح: ٢٦ عن الخصال: ٢/٦٣.
(٦) اشارة إلى الآية ٦ من سورة يوسف.
(٧) اشارة إلى الآية ٥ من سورة يوسف.
(٨) عرائس المجالس: ١١١.

Éléments sous droits d'auteur

(تعبير الرؤيا ومعرفة إخوة يوسف)

وأخذ يعقوب يحافظ عليه أكثر من ذي قبل ولا يفارقه أبداً ويعطف عليه، وقد كان إخوة يوسف يراقبون كل تصرفات أبيهم تجاه أخيهم يوسف فعرفوا بخلوة أبيهم معه، وجعلوا يلاحظون كل شاردة وواردة وكل صغيرة وكبيرة، فاطلعوا على تعبير أبيهم وهم يعلمون صدق كلام أبيهم في تعبير الرؤيا فأخذتهم الغيرة واستزلَّهم الشيطان واستدرجوا يوسف، فشرح لهم ما دارَ بينه وبين أبيه، وقيل إنَّ امرأة يعقوب أخبرت أولادها برؤيا يوسف بعدما أقبلوا من مراعيهم فانتفخت أوداجهم، واقشعرَّت جلودهم غضباً من يوسف.

وقالوا: ما عنى بالشمس غير أبينا يعقوب ولا بالقمر غيرك أنت لايا ولا بالكواكب غيرنا.

ثم قالوا: إن ابن راحيل يريد أنْ يتملَّك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدي[١].

ثم اجتمعوا فيما بينهم يتشاورون في أمر يوسف وكثرة إيثار أبيهم له دونهم[٢] وقالوا فيما بينهم إن يوسف وأخاه بنيامين أحبّ إلى أبينا منّا ونحن أكثر منهما عدداً وأكثر منهما نفعاً[٣] فما لنا لا نقوم بشيء ليؤْثرنا أبونا عليهما، وكان الاجتماع يضم الإخوة العشرة روبيل وشمعون ويهوذا ولاوي ويسجر وريالون[٤] وجاد وأشر ودان وبفتال[٥]، وأبعدوا بنيامين شقيق يوسف من اجتماعاتهم.

---

(١) عرائس المجالس: ١١١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٣، ح: ٣٨ عن علل الشرائع: ٢٧.

(٣) إشارة إلى الآية ٧ من سورة يوسف.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٩، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١٣.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٠، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١٣، هناك في بعض المصادر اختلاف بسيط في الأسماء.

Éléments sous droits d'auteur

(اجتماع الإخوة لاغتيال يوسف)

وقد ترأس شمعون كعادته الاجتماع وكان روبيل أكبرهم سناً ويهوذا أكبرهم عقلاً ولاوي أكثرهم عطفاً، فاجتمعت كلمتهم على التخلص منه بأي شكل كان، فقال بعضهم اقتلوه، وقال آخرون بل اطرحوه في الصحراء ليموت جوعاً وعطشاً أو تفترسه الوحوش[1] فعندها خالفهم لاوي وقال: إن كنتم لابد وأن تتخلصوا منه فلا تقتلوه - إذ لا يجوز قتله[2] - بل ألقوه في قعر البئر وبذلك تكونوا قد تخلصتم منه ولم ترتكبوا جريمة قتل فيلتقطه بعض القوافل المارّة من هناك فلن تَرَوهُ بعد ذلك أبداً[3].

(طرح فكرة إخراج يوسف للَّعِب)

فوافقوه الرأي واجتمعت كلمتهم على أنْ يأخذوه إلى الصحراء حينما يذهبون لرعي الأغنام كعادتهم كل صباح فيلقوه في البئر، وقالوا: ونكون بذلك قد كسبنا حب أبينا، ولكنهم جعلوا يفكرون كيف لهم ذلك وقد تعلق أبوهم بيوسف فلا يبرح مكاناً إلا يصطحبه ولا يفارقه خوفاً عليه، وبما أن الطقس كان جميلاً والأرض مُعشوشبة والربيع كان مقبلاً فعمدوا إلى طرح فكرة حاجة يوسف إلى اللعب واللهو في مثل هذا الفصل ليقتنع أبوهم بذلك، وكانوا كلهم رُعاة غنم، ولكن روبيل قال لهم: إن أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا إلى يوسف حتى نلعب بين يديه، فإذا نظر إلينا كيف نمرح ونلعب اشتاق إلى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو قاعد يُسبِّح فجعلوا يتلاعبون ويتضاحكون بين يديه، فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى اللعب معهم، فأقبل عليهم.

---

(١) إشارة إلى الآية ٩ من سورة يوسف.

(٢) بحار الأنوار: ٣١٨/١٢، ذيل ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٦.

(٣) إشارة إلى الآية ١٠ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

وقال: يا إخوتاه أهكذا تلعبون في مراعيكم؟.

فقالوا: نعم يا يوسف إنك لو رأيتنا ونحن نلعب في مراعينا لتمنَّيت أن تكون معنا، فشوّقوه إلى اللعب في الصحراء حتى طلب منهم أن ينطلقوا إلى أبيه ويسألوه أن يرسله معهم، فأقبلوا على أبيهم ووقفوا بين يديه صفاً - وكانوا إذا أرادوا حاجة يفعلون كذلك - فلما رآهم يعقوب على هذه الحالة، قال لهم ما حاجتكم؟[1] قالوا: أرسل معنا أخانا يوسف غداً صباحاً عندما نذهب إلى الصحراء لرعي الأغنام[2]، فامتنع يعقوب من ذلك، فأخذوا يلحّون عليه ليسمح لهم بذلك، فامتنع ثانية، فألحّوا عليه أكثر فأكثر حتى شكّ يعقوب بهم، وكان قد علم بحسدهم وبُغضهم ليوسف، فأبى يعقوب أن يرسل حبيبه يوسف معهم إلى الصحراء، فعندها قالوا له: يا أبانا ما لكَ لا تأْمَنّا على يوسف؟ وهل تسيء الظن بنا ونحن إخوته، وما نحن له إلا ناصحون[3] حيث نريده أن يلعب في الصحراء ويلهو مع الأغنام، ونحن سنُحافظ عليه[4].

وعندها أقبل يوسف حتى وقفَ بين يدي أبيه وقال: يا أبت أرسلني معهم، قال: أَوَ تُحبُّ ذلك يا بُنيّ؟ قال: نعم، قال: إذا كان من غد أذنْتُ لك في ذلك[5].

(رؤيا يعقوب في حقِّ يوسف)

وما كانت الليلة إلا ورأى يعقوب في منامه أنه قد شدَّ على يوسف

---

(١) عرائس المجالس: ١١١.

(٢) إشارة إلى الآية ١٢ من سورة يوسف.

(٣) إشارة إلى الآية ١١ من سورة يوسف.

(٤) إشارة إلى الآية ١٢ من سورة يوسف، وجاء في بحار الأنوار: ٢١٨/١٢، في ذيل ح: ١ عن تفسير القمي: ٢١٨.

(٥) عرائس المجالس: ١١٢.

Éléments sous droits d'auteur

عشرة ذئاب ليفترسوه، وإذا بذئب منها يحميه، فانشقت الأرض، فوقع يوسف فيه، فلم يخرج منه إلا بعد ثلاثة أيام[١] فلما أصبح الصباح جاؤوا أباهم ليأخذوا منه يوسف، فامتنع ثانية، فألحّوا عليه، فلم يشأ يعقوب أن يصارحهم بالأمر وقال إني ليحزنني من أن تذهبوا بيوسف إلى الصحراء وأخاف أن يأكله الذئب - حيث إن تلك الصحارى المحيطة بهم كانت كثيرة الذئاب[٢] - فتقوموا برعي الأغنام وتغفلوا عنه وهو بعدُ صغير لا يمكنه الذَبُّ عن نفسه[٣].

قالوا: كيف يكون ذلك ونحن جماعة، إنِ اشتغل بعضنا بالرعي فهناك مَن يحافظ عليه فلا يمكن ذلك أبداً، إذ بفقدِه نكون نحن الخاسرين وقوماً فاشلين[٤] لا يمكنهم الدفاع عن أخيهم. أيكون ذلك وفينا شمعون؟ إذا غضبَ لا يسكن غضبه حتى يصيح، فإذا صاحَ لا تسمعه حامل إلا وضعت ما في بطنها، ومعنا يهوذا إذا غضبَ شق السَبع نصفين[٥]، فعندها سكت يعقوب.

(وداع يوسف ويعقوب)

وفي نهاية الحوار وافقهم يعقوب مُكرهاً على ذلك، حيث خافَ أن يزدادوا عليه حسداً وحقداً، ولكنه وَطّن نفسه للبلاء الذي كان ينتظره من قبل الله تاركاً أمره إلى الله. وأخذ حبيبه يوسف فغسل رأسه وسرَّح شعره وألبسه أفخر ثيابه فألبسه ثوباً مخططاً[٦] وكان عند يعقوب قميص إبراهيم الذي أتى

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٠، في ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١٦.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٠، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١٦.
(٣) إشارة إلى الآية ١٣ من سورة يوسف.
(٤) إشارة إلى الآية ١٤ من سورة يوسف.
(٥) عرائس المجالس: ١١٢.
(٦) الأنبياء حياتهم وقصصهم: ١٨١.

Éléments sous droits d'auteur

به جبرئيل وكان من حرير الجنة وقد ألبسه إيّاه حين قذفه نمرود في النار ليقيه حرّها، فَجُعِلتْ في شيء كالتميمة وكان قد قلّدها على ابنه يوسف[1] خوفاً عليه من إصابة العين والحسد[2] وكانت من مواريث الأنبياء.

كما شدَّ يوسف عليه منطقته وأخذ عصاه بيده ليخرج معهم، ثم عمد يعقوب إلى السلة التي حمل فيها إبراهيم زاد إسحاق فحمل فيها زاداً ليوسف[3] لخروجه إلى الصحراء مع إخوته.

ثم أخذ يعقوب يُقبّل فلذة كبده يوسف ويبكي بكاءً عالياً ويودعه إذ كان قلبه يُنبئُه بالشر والبلاء، فجعل يوصي أولاده واحداً واحداً ويُلِحُّ عليهم في المحافظة عليه وحراسته وإطعامه إن جاع، وسقيه إن عطش، وحمله إن تعب، وحمايته من الشمس، وهم يتعهدون له بكل ذلك ويتظاهرون بالموافقة عليه إلى أن استلموه من أبيهم ولما أخذوا بالخروج من البيت، عندها بكى يعقوب بكاءً شديداً، وكان ذلك في الثلاثين من شهر ذي الحجة من سنة أربعٍ وأربعين بعد الألفين.

(يوسف في الصحراء مع إخوته)

وعندما خرجوا إلى الصحراء لم يتمالك يعقوب على فراق ابنه وقُرّة عينه فخرج من البيت مسرعاً وأخذ يشيّعهم إلى أن رآهم فناداهم، فوقفوا له حتى لَحِقَ بهم، وضمّ يوسف إلى صدره وجعل يُقبّله ويعتنقه ويبكي[4] بكاء الثكلى حتى كادت نفسه أن تزهق، فقالوا له: يا نبي الله ارجع، فقال لهم يعقوب: يا بَنيَّ أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف، أسألكم بالله إنْ جاع

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤ عن مجمع البيان.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٨، ح: ١٤ عن تفسير القمي: ٣٣١ وعلل الشرائع: ٢٩ وتفسير العياشي، وإكمال الدين: ٨٥.
(٣) عرائس المجالس: ١١٢.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٣، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٧.

Éléments sous droits d'auteur

فأطعموه، وإن عطش فاسقوه، وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه، وكونوا متواصلين متراحمين، قالوا: نعم يا أبانا، كلنا لك ولد وهو أخونا كأحدنا، بل له الفضل علينا بحبك إياه، فقال: نعم يا بَنيَّ، الله خليفتي عليكم مع أني خائف أن أكون قد ضيعته، ثم أقبل على يوسف فالتزمه وضمّه إلى صدره وقبَّل بين عينيه، ثم قال: استودعك الله رب العالمين[1]. فلم يقدر على فراقه إلى أن اجتمعوا حوله وانتزعوه منه ولم يرحموا حزنه وبكاءه، فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ولا يدفعه إليهم[2]، فوقف ينظر إليهم نظرة حسرة وعبرة ودموعه تجري على خديه وهم يلاطفونه[3] ويحملونه على أكتافهم ويكرمونه بمرأى والدهم كي لا يشك بهم، إلى أن اختفوا عن عينيه، فرجع يعقوب إلى البيت حاملاً همومه وحزنه وجلس يبكي طيلة النهار، وهم قد أخذوا يوسف إلى عمق الصحراء على بعد ثلاثة فراسخ (١٦,٥ كيلومتراً) من دارهم[4] وقالوا بسخرية عن يوسف: «لقد جاء صاحب الأحلام لابِساً ثوبه المُخطط»[5].

(البدء في تنفيذ المُخطَّط)

ورَموه على الأرض طريحاً وأخذوا يضربونه ضرباً مبرحاً حتى كاد أنْ يفارق الحياة وهو يبكي من شدة الألم ويستغيث بهم ويناديهم بأسمائهم واحداً واحداً[6]، فلم يردّوا عليه، وأخذوا زاده وأطعموه للكلاب[7] وجعلوا يشتمونه ويلكمونه كلما استنجد بهم حتى علا صراخه وجعل يوجّه

---

(١) عرائس المجالس: ١١٢.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٣، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٧.
(٣) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤ عن مجمع البيان.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٠، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١٦.
(٥) الأنبياء حياتهم وقصصهم: ١٨١ عن التوراة.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٧) عرائس المجالس: ١١٣.

Éléments sous droits d'auteur

كلامه نحو أبيه كي يحرك مشاعرهم نحوه، فنادى «يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك» ولكنهم أبوا إلا أن يسحبوه على الأرض حتى أتوا به على مقربة أشجار كانت على قارعة الطريق ليقضوا عليه وقد أخذ الجوع والعطش منه مأخذاً عظيماً[١] فهمّوا ليقتلوه ويتركوه تحت الأشجار طُعمة للذئاب في هذه الليلة، فقال لهم اسقوني جرعة من ماء قبل أن تقتلوني، فلم يسقوه[٢]. فإذا بروبيل قد ألقى به على الأرض وجلس على صدره ولوّى عنقه ليكسرها فعندها استنجد يوسف بأخيه يهوذا ولما نظر يهوذا إلى ما هو عليه أخذته الرقة وخلّصه من يدي روبيل.

(إلقاء يوسف في الجُب)

وذكّرهم لاوي بما اتفقوا عليه من أن لا يقتلوه بل يلقوه في البئر[٣] فعندها بحثوا عن بئر عميقة ذات فوهة ضيقة وقعر واسع كي لا يمكنه التخلص منها، فإذا ببئر بمنأى عن طريق مصر[٤] قد اجتمعت فيها المواصفات فانطلقوا به إليها وكان عمقها لا يقل عن ثلاثين متراً وفيها شيء من الماء[٥]، وطلبوا منه أن ينزع قميصه، فبكى وطلب منهم أن لا يُجرِّدوه من قميصه كي يتوارى به، وقال: أسألكم بوجه يعقوب أن لا تنزعوا قميصي ولا تبدوا عورتي، فَسَلَّ أحدهم سكينةً وقال له: لئن لم تنزعه لأقتلنّك[٦]، وجعلوا يجرّدونه من قميصه وهو يتوسل بهم وهم يستهزئون به ويقولون له: ادعُ الشمسَ والقمرَ والكواكبَ الأحد عشر يوارونك ويؤنسونك[٧] يا

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٣، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٧.
(٢) عرائس المجالس: ١١٣.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢١، ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٧.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٠، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/ ٢١٦.
(٥) قيل كان قد حفرها سام بن نوح وكانت تسمى جُب الأحزان كما في العرائس: ١١٣.
(٦) بحار الأنوار ج ١٢ ص ٢٢١، ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٧.
(٧) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤، ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٧.

Éléments sous droits d'auteur

صاحب الرؤيا الكاذبة، أين الكواكب التي رأيتها لك ساجدة حتى يخلّصوك من أيدينا؟ فجرّدوه من قميصه وربطوه بالحبل وجعلوا يدلونه في البئر عارياً وهو يتعلق بشفيرها[١]، فربطوا يديه إلى عنقه[٢] وأدلوه في الجُب وهو يستنجد بهم ويقول: يا إخوتاه ردّوا عليّ قميصي استُر به عورتي ويكون لي كفناً بعد مماتي، وأطلقوا يدي أطرد بهما عنّي هوام الجُب[٣] فلم يزدادوا إلا سخرية به إلى أن بلغ منتصف البئر، فقطع أحدهم الحبل[٤] ليقضي عليه بسقوطه هذا، إلا أنَّ البئر كانت تحتوي على قدر قليل من الماء، فسقط في الماء ولم يغرق لقلّته، فآوى بمساعدة جبرئيل إلى صخرة كانت على جانب البئر، وظنّوه ميتاً، وإذا به يناديهم «إن لكل ميّت وصيّة، ووصيتي إليكم إذا رجعتم اذكروا وحدتي، وإذا أمنتم فاذكروا وحشتي، وإذا طعمتم فاذكروا جوعي، وإذا شربتم فاذكروا عطشي، وإذا رأيتم شاباً فاذكروا شبابي يا إخوتي» وما زال يناديهم بمثل هذه الكلمات إلى أن انتهى بمقالته «يا ولد رومين اقرأوا يعقوب عني السلام»[٥]. فعندها نادوه، فظن أنها رحمة لحقَتْهُم، فأجابهم، فهمّوا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه، فمنعهم يهوذا، فقال: لقد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه[٦]، ثم عندما سمعوا مقالته، قال بعضهم لبعض: لا تبرحوا مكانكم هذا حتى تعلموا أنه قد مات[٧]، فأحاطوا بالبئر طول النهار ينتظرون موته بالجوع أو بلدغ الحشرات التي كانت البئر مأواها إلى أن خفتَ صوته وقد حلّ المساء عليهم فتيقّنوا هلاكه

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤.
(٢) عرائس المجالس: ١١٣.
(٣) عرائس المجالس: ١١٣.
(٤) إشارة إلى الآية ١٥ من سورة يوسف، وهامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٣، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٧.
(٦) عرائس المجالس: ١١٣.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٣ عن علل الشرائع: ٢٧.

Éléments sous droits d'auteur

وتركوه في ظلمة البئر ووحشته، فهنالك خاطب يوسف ربه قائلاً: «يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إرحم ضعفي وقلّة حيلتي وصغري»[1].

أخوة يوسف يغادرون المرعى الى البيت

(مُناجاة يوسف في الجُب)

وناجى ربه أيضاً بقوله «اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً ولن تستجيب لي دعوة فإني أسألك

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢١ عن تفسير القمي: ٣١٨.

Éléments sous droits d'auteur

بحق الشيخ يعقوب فارحم ضعفه واجمع بيني وبينه، فقد علمت رقته عليّ وشوقي إليه»[١]، فجاءه مَلَكٌ من قبل الله فحلَّ قيده وناوَلَه سفرجلة من الجنة وأطعمه إياها، فلما أمسى هَمَّ المَلك بالانصراف، فقال له يوسف: إذا تركتني لوحدي استوحشت، فقال له المَلك: قُل إذا هِبْتَ شيئاً[٢] «يا صريخ المستصرخين، ويا غياث المُستغيثين، ويا مُفرّج كرب المكروبين، قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري»[٣].

فلما دعا يوسف بهذا الدعاء، بعث الله إليه سبعين ملكاً حفّوا به وآنسوه ثلاثة أيام[٤].

(نزول الوحي على يوسف)

وعندها نزل عليه جبرائيل فحافظ عليه من الموت والهلاك إذ فتح قلادة يوسف وهي من قصبة فضة[٥] وأخرج قميص إبراهيم وألبسه إياه[٦]. ولما كان اليوم الرابع من بقائه في الجب أتاه جبرائيل[٧] وقال له يا غلام: مَن طرحك في هذا الجُب؟.

فقال له يوسف: إخوتي لأبي.

قال: وَلِمَ؟.

قال: حسدوني على منزلتي من أبي، لقد حسدوني[٨] ولذلك في الجُب طرحوني.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٥ عن أمالي الصدوق: ٢٤٢.
(٢) عرائس المجالس: ١١٣.
(٣) بحار الأنوار: ٩٢/ ١٧١ عن مهج الدعوات: ٣٨٣ وعرائس المجالس: ١١٤.
(٤) عرائس المجالس: ١١٣.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٩، ح: ٥٦ عن علل الشرائع: ٢٩ وتفسير العياشي.
(٦) عرائس المجالس: ١١٤.
(٧) عرائس المجالس: ١١٤.
(٨) عرائس المجالس: ١١٤.

Éléments sous droits d'auteur

قال: أفَتُحب أن تخرج منها؟.

فقال له يوسف: ذاك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

قال: فإن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب يقول لك: قُل: «يا صانع كل مصنوع، ويا جابر كل مكسور، ويا حاضر كل ملأ، ويا مشاهد كل نجوى، ويا قريباً غير بعيد، ويا مؤنس كل وحيد، ويا غالباً غير مغلوب، ويا حيا لا يموت، ويا محيي الموتى، لا إله إلا أنت سبحانك[1]، اللهم إني أسألك بأن لك الحمد كله، لا إله إلا أنت، الحنان المنان بديع السماوات والأرض، يا مالك الملك ويا[2] ذو الجلال والإكرام صل على محمد وآل محمد واجعل لي من أمري ومن ضيقي[3] فَرَجاً ومخرجاً وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب»[4].

وأخذ جبرائيل يؤنسه ويُسلّيه من وحشته ويُبشره بالسلامة والانتصار على إخوته، وجعل يُنبِّئه بما كانوا يريدون فعله[5] وأنه سيفضّله الله، وبذلك أصبح نبياً»[6].

(الاجتماع الثاني لإخوة يوسف)

أما إخوة يوسف ففكروا في أمر يوسف ملياً فيما يقولون لأبيهم عند رجوعهم إليه فاقتبسوا من كلام أبيهم[7] ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾.

---

(١) عرائس المجالس: ١١٤.

(٢) عرائس المجالس: ١١٤.

(٣) عرائس المجالس: ١١٤.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٩، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠ وبحار الأنوار: ٩٢/١٧٠ عن قصص الأنبياء ومهج الدعوات: ٣٨٣.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢١٨، في ذيل ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٦.

(٦) إشارة إلى الآية ١٥ من سورة يوسف.

(٧) بحار الأنوار: ١٢/٢٢١، ذيل ح: ١ عن مجمع البيان: ٥/٢١٦، والعرائس عن الثعلبي، وبحار الأنوار: ١٢/٢٨٣، ح: ٦٢ عن علل الشرائع: ٢٠٠.

Éléments sous droits d'auteur

قالوا فيما بينهم سوف نقول له: كنا نستبق فأكله الذئب، وكانوا يبحثون عن دليل يثبت صدق كلامهم، فأخذوا جدياً وذبحوه[1] وشَوَوْهُ وأكلوا لحمه[2] ولطخوا ثوب يوسف بدمه[3]، واتفقت كلمتهم على أن لا يبيحوا لأبيهم بالحقيقة، فعندها قال لهم لاوي: يا قوم ألسنا أبناء يعقوب نبي الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله؟ أتظنون أن الله يكتم هذا الخبر عن أبينا[4] - يعقوب نبيه - فإنه سوف يكشف له عن حقيقة الأمر؟ فعندها قالوا له: ما الحيلة وماذا نفعل؟.

قال: نقوم ونغتسل ونصلي معاً جماعة[5].

فقالوا إن عددنا أقل من نصاب الصلاة، فإن السُنّة كانت عند أبيهم يعقوب وإسحاق وإبراهيم أن لا يقل عدد المؤتمّين عن عشرة، فإذا أمّ أحدهم أصبح عدد المؤتمّين تسعة.

فقال لاوي: نجعل أمامنا الله ونسأله سبحانه أن يكتم هذا الأمر على أبينا فإنه سبحانه جواد كريم[6]، فوافقوه الرأي وقاموا واغتسلوا وصلّوا وتضرعوا وبكوا إلى الله تبارك وتعالى يسألونه ذلك إلى أن تأخروا عن الرجوع إلى وقت العشاء وذلك لانشغالهم بأمر يوسف وتدبير المكيدة مضافاً إلى التمويه على أبيهم في هلاك يوسف واهتمامهم به، وتمرير تزويرهم للحقائق في الظلمة[7].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٤، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٨.
(٢) عرائس المجالس: ١١٤.
(٣) إشارة إلى الآية ١٨ من سورة يوسف.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٤، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٨.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٤، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٨.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٤: ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٨.
(٧) عرائس المجالس: ١١٥.

Éléments sous droits d'auteur

(لقاء الإخوة بأبيهم يعقوب)

وكان يهوذا قد ألقى في البئر طعاماً لأخيه يوسف قبل أن يغادرها خفية عن إخوته وجاؤوا في العشاء إلى أبيهم يبكون[١] وهو جالس على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف، فلما دَنَوا منه صرخوا صراخ رَجُلٍ واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء[٢] وبيدهم قميصه مُلطّخٌ بالدم[٣]، فعلم يعقوب أنهم قد أُصيبوا بمصيبة، فلما وافَوْهُ اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقّوا جيوبهم وبَكَوا، ففزعَ يعقوب[٤] وقال: ما لكم تبكون وتدعون بالويل؟ ومالي لا أرى فيكم حبيبي يوسف؟ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق فيما بيننا وتركنا يوسف عند متاعنا فجاءه ذئب وافترسه فأكله[٥]، وما إن انتهوا من كلامهم هذا إلا ورفع يعقوب صوته بالبكاء والعويل وشقَّ ثوبه[٦] وأخذ يكرر من قول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ فأخذته العَبْرة وجرَتْ دموعه على خَدَّيه، فتذكَّر وحي ربّه الاستعداد للبلاء، فأرغم نفسه على الصبر وأذعن على البلاء[٧] وشكرَ ربه وهو يعلم بكذب أبنائه، فنظر إلى قميص يوسف لم يُمزَّق.

(مناقشة يعقوب مع أبنائه)

فقال مُلمحاً لهم كذب مقالتهم: «ما كان أشد غضب الذئب على يوسف وأشفقه على قميصه حيث أكل يوسف ولم يمزّق قميصه»[٨].

---

(١) إشارة إلى الآية ١٦ من سورة يوسف.

(٢) عرائس المجالس: ١١٤.

(٣) إشارة إلى الآية ١٨ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٤، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٨.

(٤) عرائس المجالس: ١١٤.

(٥) إشارة إلى الآية ١٧ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٦، ح: ٧٠ عن إكمال الدين: ٨٥.

(٦) قصص الأنبياء لابن كثير: ٢٠٦ عن التوراة.

(٧) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٣ ح ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٧.

(٨) بحار الأنوار ١٢/ ٢٢٤، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٨.

Éléments sous droits d'auteur

فقالوا له إن كنت لا تؤمن بكلامنا، وإن كنا صادقين في مقالتنا[1]، فهذا قميصه قد أتيناك به، فقال ألقوة إليّ، فألقوه إليه، فوضعه على وجهه، فخرَّ مَغشيّاً عليه، فلما أفاق من غشوته قال لهم: يا بَنيَّ ألستم تزعمون أن الذئب أكل حبيبي يوسف؟.

قالوا: نعم.

قال: «مالي لا أشمّ ريح لحمه؟ ومالي أرى قميصه صحيحاً[2]؟ فلم يشق له جيباً ولا خرق له شقاً[3]، هَبوا أن القميص انكشف من أسفله، أرأيتم ما كان في منكبيه وعنقه كيف يخلص إليه الذئب من غير أن يخرقه؟ إن هذا الذئب لمكذوب عليه، وإن ابني لمظلوم[4]، وأدرك بكلامه معترضاً عليهم: «اللهم لقد كان ذئباً رفيقاً حين لم يشق القميص»[5].

ثم خاطبهم وقال: «بل إنكم قد سوَّلت وزيَّنت لكم أنفسكم أمراً ومكراً، وما كان الله ليطعم لحم يوسف الذئب من قبل أن أرى تأويل رؤياه الصادقة[6]، فصبر جميل على البلاء، والله المستعان على البلاء، والله المستعان على ما تصفونه من المكر والخداع[7].

(بدء حُزن يعقوب على يوسف)

وتولّى عنهم ليلتهم تلك وأقبل يرثي حبيبه يوسف آخذاً بقميصه ووضعه على وجهه وهو يبكي، وخضَّب وجهه ولحيته بدم القميص وهو يقول:

---

(١) إشارة إلى الآية ١٧ من سورة يوسف.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٨٦، ح: ٧٠ عن إكمال الدين: ٨٥.
(٣) عرائس المجالس: ١١٥.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٨٦، ح: ٧٠ عن إكمال الدين: ٨٥.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٩٩، ح: ٨٩ عن تفسير العياشي.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٧، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٧) إشارة إلى الآية ١٨ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

«حبيبي يوسف الذي كنت أوثره على جميع أولادي فاختلس مني حبيبي يوسف الذي كنت أؤنس به وحشتي وأصل به وحدتي، فاختلس مني حبيبي يوسف ليت شعري في أي الجبال طرحوك أم في أي البحار غرقوك، حبيبي يوسف ليتني كنت معك فيصيبني الذي أصابك»[1]، فلم يكد يطيق فراق إبنه وفلذة كبده، فجعل يبكيه ليل نهار، وكان بصره يخف يوماً بعد يوم وأصبح ظهره ينحني من تعاظم المصيبة.

(محاولة اغتيال يوسف وهو في الجُب)

وعندما أصبح إخوة يوسف وذهبوا للرعي قال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة، فإن أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمرّوا بنا على الجُب فنُخرج يوسف منه ونفرّق بين أضلاعه ولحمه ونجيء به، فقال لهم يهوذا يا إخوتاه أين العهد الذي بيني وبينكم، والله لئن فعلتم ما تقولون لأخبرنّ يعقوب مما كان منكم إليه ثم لأكونَنَّ لكم عدواً ما بقيت حيّاً، فتركوه[2].

وقيل إنهم أخذوا ذئباً وأوثقوه وحملوه لأبيهم ليثبتوا بذلك صحة كلامهم، فقال لهم يعقوب: حلّوا عقاله، وأمره أن يتكلم بإذن الله، فسأله يعقوب قائلاً: أيها الذئب أكلت ولدي وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادي؟ لقد أورثتني حزناً طويلاً وألماً عظيماً، فتكلم الذئب وقال: لا وحق شيبتك يا نبي الله ما أكلت لك ولداً، وأن لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء لَمُحرَّمة علينا، وإني لمظلوم مكذوب عليّ، وإني لَذِئبٌ غريبٌ من بلاد مصر[3].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٨٦، ح: ٧٠ عن إكمال الدين: ٨٦.
(٢) عرائس المجالس: ١١٨.
(٣) عرائس المجالس: ١١٦.

Éléments sous droits d'auteur

يعقوب يستنطق الذئب المتهم

(الملائكة تؤنس يوسف)

وأما ما كان من أمر يوسف أن الله وكَّل به ملكاً فآنسه من وحشته وأضاء ظلمته وكان يطعمه من ثمار الجنة، وجعل ماء البئر له عذباً بعدما كانت أُجاجاً[1].

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤.

Éléments sous droits d'auteur

(إخراج يوسف من الجُب)

وبقي يوسف في البئر ثلاثة أيام، فلما كان الصباح من اليوم الرابع من بقائه والثالث من شهر محرم[١] من سنة ألفين وثلاثٍ واربعين، فإذا بقافلة قادمة من مَدْين تريد مصر، فنزلوا بقرب البئر، ولم تكن من عادة القوافل أن تَمُرَّ من هنا حيث لا عمران بأطراف البئر إلا انها كانت قد ضلَّت الطريق وأخطأته[٢]، فعندما رأت البئر ألقوا رحلهم وأرسلوا مالك بن ذعر[٣] ليطلب لهم الماء، فجاء مع جماعة وأنزلوا دلوهم في البئر فتشبث يوسف بالدلو[٤]، فلما سحبوه وجدوه ثقيلاً، فإذا بغلام في غاية الجمال وبالغ الحُسن، فنادى فيمن معه: يا بُشرى هذا غلام استخرجناه من البئر مع الدلو[٥]، وعزموا أنْ لا يُخبروا مَن في القافلة من التجار عن ذلك كي لا يشاركوهم في تملّك يوسف، بل اتفقت كلمتهم على أنْ يقولوا لمن في القافلة إنَّ أصحاب البئر دفعوه لنا[٦].

(مجاذبة إخوة يوسف والقافلة)

وكان إخوة يوسف يأتون إلى الصحراء كعادتهم كل يوم ويهوذا يأتي إلى البئر ويلقي بالطعام ليوسف بالخفاء عن إخوته، فعندما توجه نحو البئر رأى القافلة على مقربة من البئر، رجع وأخبر إخوته[٧]، فجاؤوا إليها ليتفقَّدوا أمر أخيهم يوسف، وإذا به عند مالك بن ذعر، فهجموا عليه وانتزعوه منه،

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٦، ح: ٢١ عن مصباح المُتهجِّد: ٥٠٩، وبحار الأنوار: ١٢/٢٦٨، ح: ٤١ عن إقبال الأعمال: ٥٥٤.

(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٢١ عن مجمع البيان للطبرسي.

(٣) وقيل زعر بالزاي المعجمة، هو ابن زعر بن نولت بن مديان بن إبراهيم.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٢ عن تفسير القمي: ٣١٨.

(٥) إشارة إلى الآية ١٩ من سورة يوسف.

(٦) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٢٢ عن مجمع البيان للطبرسي.

(٧) بحار الأنوار: ١٢/٢٢٣ ذيل ح ٢.

Éléments sous droits d'auteur

وقالوا: هذا عبدنا سقط منا أمس في هذه البئر وجئنا اليوم لنخرجه، وأخذوا بيوسف إلى ناحية[١] واختلوا به وهددوه بالقتل إن لم يعترف لهم بالعبودية[٢]، وتكلموا معه بالعبرية[٣] كي لا يفهم غيرهم مقالتهم، حتى يتم بيعه لهم ويتخلصوا منه بدلاً من قتله، فقال لهم يوسف: «يا إخوتي لا تقتلوني واصنعوا ما شئتم»[٤].

(بيع يوسف لمالك بن ذعر)

فعندها جاؤوا به للقافلة وعرضوه للبيع بثمن بخس[٥] كي يتخلصوا من الفضيحة التي تلاحقهم، حيث إنه إذا بقي في فلسطين لانتشر خبره وإلا فما كانت لهم حاجة بثمنه فرخَّصوا ثمنه[٦] كي لا يتردد أحد في شرائه وإنما أخذوا ثمنه كي تثبت عبوديته، فقالوا مَن منكم يشتري منّا هذا العبد؟[٧] فتقدم مالك بن ذعر ليشتريه ويتخذه ولداً حيث لم يخلف، فاشترطوا عليه أن يحمله معه إلى أرض مصر[٨] ولا يبيعه في فلسطين، فَقَبِلَ ذلك، وأتى مالك ليوسف وسأله عن صحة مقالتهم فيه، أهُوَ عبدٌ لهم، فأقرَّ يوسف بالعبودية[٩]، وكانوا قد حددوا ثمن يوسف بعشرين درهماً[١٠]، فدفعها مالك مستغرباً ذلك منهم، إذ لم يكن هذا ثمناً لعبد عادي فكيف بهذا العبد

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٢، ذيل ح: ٢ عن تفسير القمي ص ٣١٨.
(٣) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٢ عن مجمع البيان للطبرسي.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٤، ذيل ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٥) إشارة إلى الآية ٢٠ من سورة يوسف.
(٦) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٢ عن مجمع البيان للطبرسي.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ذيل ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٨) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٢، ذيل ح: ٢ عن تفسير القمي: ٣١٨.
(٩) يمكن أن يوسف قصد بالعبودية «العبودية لله».
(١٠) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٢، ذيل ح: ٢ عن تفسير القمي: ٣١٨.

Éléments sous droits d'auteur

الخارق الجمال، حيث وازى ثمنه دِية كلب الصيد[1]، فلذلك لم يتردد مالك في أخذ يوسف وشرائه منهم بل كان سعيداً في صفقته هذه.

وأخذ كل من إخوة يوسف دِرْهَمَين من ثمنه[2]، ثم إنَّ مالكاً عندما أراد الرحيل قال إخوة يوسف لمالك ومن معه: استوثقوا منه فإنه آبق سارق كاذب، وقد برئنا إليكم من عيوبه[3].

(مرور يوسف على قبر أُمِّه)

فحمل مالك يوسف معه إلى مصر، وفي طريقهم إلى مصر مروا على قبر راحيل[4] - أم يوسف - فلما رأى قبر أمه لم يتمالك نفسه، وألقى بنفسه من على ناقته على قبر أمه مخاطباً لها: يا أُمي، يا راحيل حلّي عنكِ عقدة الرَّدى، وارفعي رأسك من الثرى، وانظري إلى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلا، يا أماه لو رأيت ضعفي وذُلّي لرحمتني، يا أماه لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدّوني وفي الجُب ألقوني وعلى حُرّ وجهي لطموني، وبالحجارة رجموني ولم يرحموني، وكما تُباع العبيد باعوني، وكما يحمل الأسير حملوني، فسمع منادياً من خلفه يقول: «إصبر وما صبرك إلا بالله».

ثم إنَّ مالكاً افتقد يوسف في القافلة فلم يجده على ناقته، فصاح في القافلة ألا إنَّ الغلام قد رجع إلى أهله، فطلب القوم يوسف فرأوه قد أقبل عليه رجل منهم وقال: يا غلام قد أخبرنا مواليك بأنك آبق سارق فلم نصدِّق حتى رأيناك تفعل ذلك، فقال والله ما أبقتُ ولكنكم مررتم على قبر أمي فلم

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٢، ذيل ح: ٢ عن تفسير القمي: ٣١٨ والبحار أيضاً: ١٢/ ٣٠٠، ح: ٩٠١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٣، ذيل ح: ٢.

(٣) عرائس المجالس ص ١١٧.

(٤) يمكن أنْ يكون الطريق المألوف والآمن كان يمر من قبر راحيل لانها توفيت في بادية الشام ويعقوب ارتحل من بادية الشام بعد وفاتها إلى فلسطين التي تتوسط بادية الشام ومصر.

Éléments sous droits d'auteur

أتمالك أنْ رميت نفسي على قبرها، قيل ورفع مالك يده ولطم حر وجهه وجرّه حتى حمله على ناقته وقيّدوه حتى لا يأبق[1].

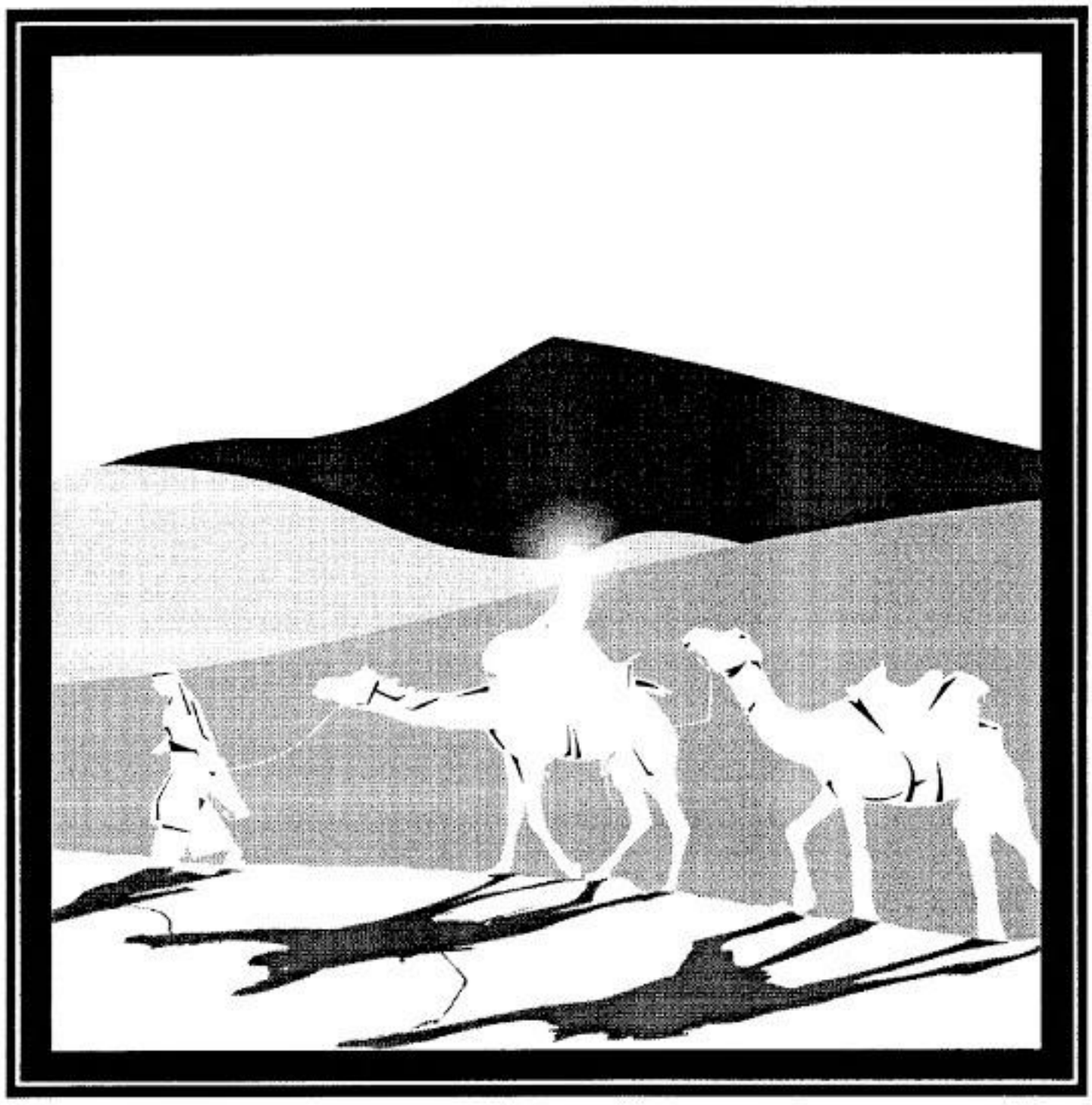

يوسف يساق الى مصر بعدما استعبد

(ظهور كرامات ليوسف)

ثم إنهم ساروا به إلى مصر فشاهدوا فيه كرامات وقد تواترت عليهم البركات في سفرهم هذا فأعادوا اهتمامهم به وازداد مالك ليوسف حُباً

(١) عرائس المجالس: ١١٧.

Éléments sous droits d'auteur

واحتراماً حيث طال السفر بهم إثنا عشر يوماً[١] وقد انتصف شهر محرم وهم في مصر في مدينة صمان[٢] ولا زالوا هم في أول سنة ألفين وسبع وستين، قيل إن السببَ في استرقاق يوسف في مصر أن إبراهيم الخليل جاء مصر ذات مرة وعندما أراد الخروج منها شيّعه زُهّادهم وعبّادهم حفاة مشاة إلى أربعة فراسخ تعظيماً له وإجلالاً، ولم يترجَّل لهم إبراهيم، فأوحى الله إليه إنك لم تنزل لعبادي وهم يمشون معك حفاة، لأُعاقبنَّك بأنْ يُباع ولدٌ من أولادك في هذه المدينة[٣].

وقد بكى يوسف على فراق أبيه سبعة أيام متتاليات[٤] مما رقّت عليه قلوب مَن في القافلة، وكان مالك قد اتخذه ولداً، وفي ذات يوم سأله مالك عن نسبه فقال له: أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان، فتأثر مالك عليه وجعل يبكي لما فيه ويضمّه إلى صدره وقد زاد في احترامه، وحيث علم أنه من سلالة الأنبياء والأولياء طلب منه أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقه ولداً، فأجابه يوسف على ذلك ودعا ربَّهُ وطلب منه أنْ يرزقه بنين، فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه يوسف، فحملت زوجته إثنتى عشرة مرة، كل مرة ولدت له توأمين، فأصبح بذلك مالك أباً لأربعٍ وعشرين إبناً من بركة دعاء يوسف[٥].

(مصر وانتشار خبر جمال يوسف)

وأقام يوسف مع مالك بن ذعر مدة في مصر إلى أن اشتهر عند الناس

---

(١) بحار الانوار: ١٢/ ٢٧٥.

(٢) قصص الأنبياء، للنجّار: ١٢٢، ومدينة صمان كانت عاصمة الملك، وكانت في شرق مصر قرب بحيرة المنزلة.

(٣) عرائس المجالس ص ١١٧.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٣٢٠، ذيل ح: ١٤٨ عن سعد السعود: ٤٣.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٣ عن مجمع البيان: ٥/ ٢٢٠.

Éléments sous droits d'auteur

أنَّ مالكاً له غلام لا يضاهيه أحد في الجمال والكمال، فكانوا يأتون إليه ليشاهدوه، فكان يأخذ بقلبهم فيدفعوا لمالك ثمناً مُغرياً ولكنه يأبى بيعه، وكلما طلبه أحد وامتنع مالك زادَ في ثمنه حتى بلغ حدّاً خرجت عن قدرة الملوك، وانتشر خبره هذا حتى بعث عليه قطفير بن رحيب - خازن ملك مصر الفرعون سنان[١] والذي كان بيده أرزاق البلاد -، ليكشف الأمر بنفسه، فإذا به فاقَ البدر في جماله[٢]، فتعلّق قلبه به، فعندها أرغم مالك على بيع يوسف من قطفير، وجعل قطفير ثمنه عدة أضعاف وزنه فضة ومسكاً وحريراً[٣] مضافاً إلى عشرين ديناراً[٤] وكان عمره حين ذاك عشرين سنة وكانت السنة ألفين وثلاثٍ وأربعين.

(انتقال يوسف إلى بيت قطفير)

وعندما استقر يوسف عند قطفير هنالك شاهده الملك (فرعون) سنان بن الأشل[٥] وزوجته زُلَيْخا راعيل[٦] بنت جلموس، وكانا قد سمعا بجماله من ذي قبل، فعندما نظرت إليه زُلَيْخا تذكرت رؤياها وهي في بيت أبيها مِن قبل أن يخطبها الملك سنان، وكان أبوها السلطان جلموس سلطان المغرب.

(زُليخا في بيت أبيها وحلمها الأول)

ففي ذات ليلة رأت في منامها غلاماً يتلألأ وجهه نوراً من الحُسن

---

(١) هو سنان بن الاشل بن علوان بن العبيد بن عريج بن عمليق بن يلمع بن عامر بن اسلحات بن لوذ بن سام ابن النبي نوح عليه السلام.

(٢) في حديث رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة المعراج يوسف في السماء الثانية وصورته صورة القمر ليلة البدر». هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٦.

(٣) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥ عن مجمع البيان للطبرسي روى عن ابن عباس.

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٠٧.

(٥) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٦ عن المحبر للبغدادي.

(٦) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥ عن مجمع البيان للطبرسي.

Éléments sous droits d'auteur

والجمال، فسألته عن اسمه فقال: أنا عزيز مصر وملكها، فلما استيقظت من نومتها جعلت تفكر فيه ولا تفارقُ صورتُهُ ذهنَها ومخيّلتها وأصبحت مفتونة به، فلم تغمض لها عين ولم يستقر لها رأي حتى أنها لم تستطع أن تخفي ذلك على ملامحها، إلى أن لازمت غرفتها وسكن الهم والغم قلبها، فأحست بذلك بعض جواريها وخادماتها وأخذن يتذاكَرْنَ فيما بينهنَّ في أمرها، فأبدت كل منهنَّ رأيها، فقالت إحداهن: إنها أصيبت بالعين لجمالها، وقالت أخرى: أصيبت بالسحر لمكانتها، وقالت ثالثة: بل قد أصابها الجِنّ ومسّها، وقالت رابعة: إنها قد بُليت بالعشق وما فيها، ولم يكدْنَ أن يصبرْنَ على رؤية سيدتهن على ما فيها ففاتحنها بذلك، وَعَلِمْنَ أنها وقعت في غرام ملك مصر، فأخبروا أباها الملك جلموس بذلك.

(خطبة ملك مصر لزُليخا)

ثم إنه أوصل الخبر إلى ملك مصر فخطبها من أبيها فطارت زُلَيْخا بذلك فرحاً حيث ظنت أن حِلْمَها قد تحقق وعذابها قد ارتفع، فلذلك استجابت لطلب ملك مصر من غير تأنٍ، وقام البلاط بتجهيز ابنة الملك جلموس بشكل يليق بالملكين جلموس وسنان، فَزُفَّت زُلَيْخا مع العبيد والجواري والجواهر والأموال ورافقها حواشي الملك وخواصه فقدمت مصر وَمِلْءُ قلبها شغف، وكان الملك سنان قد استعدّ لاستقبالها بما يليق بالمملكتين، فكان استقبالاً عظيماً حيث خرج الملك محاطاً بالوزراء والحواشي والخدم والحشم، فما أن التقيا وقع نظرها إليه إلا وانهارت قواها وظهرت عليها آثار الكآبة والحزن لأنها لم تُشاهد فيه معشوقها الذي رأته في منامها فدهشت من ذلك، ولكنها أضمرت خيبة أملها وحسرةَ قلبها وَبَانَ عليها الهم والغم، وكانت تبكي بلهفة عليه، وقد اشتد لذلك حزنها أكثر مما كانت في بيت أبيها إلا أنها فرحت حينما عرفت أنَّ زوجها عِنِّين

Éléments sous droits d'auteur

لا يقدر على مقاربة النساء، وزادها فرحاً إذ سمعت بهاتف يقول لها لا تحزني يا زُلَيْخا فإن مقصودك سترينه وتصلين إليه بواسطة هذا العزيز فخفَّ عنها بعض الشيء الا انهّا يئست من جديد من حياتها وما آل إليه عيشها إلى أنْ رأت يوسف عند قطفير فنظرت إليه فإذا هو بالصفات التي رأتها في المنام ونظرت إليه ثانية لتتأكد من ذلك ولكنها استغربت كونه عبداً مملوكاً بينما أخبرها في المنام إنه عزيز مصر ومليكها إلا أنه استولى على قلبها فمَلَكَه.

(انتقال يوسف الى بيت الملك)

وكان الملك سنان قد أُعجب بجمال يوسف وحُسن أخلاقه وذكائه فطلبه من قطفير ليتبنّاه ولداً[١] - حيث لم يكن له ولد - فانتقل يوسف من عند قطفير خازن الملك إلى قصر الملك سنان فرعون مصر وعزيزها ليكون إبناً له ولزوجته زُلَيْخا[٢] وكانت السنة ألفين وثلاثاً واربعين وليوسف من العمر عشرين سنة، فأخذ الملك يوصي زوجته بإكرامه والاعتناء به[٣]، فقامت هي بتربيته وإكرامه[٤] لثلاث سنوات[٥] وكانت زُلَيْخا تسكن قصراً واسعاً جميلاً يضمه بستان عظيم وجميل، فاتخذ يوسف زاوية منه لعبادته وتضرعه وتهجده، وكان على هذا الحال وزُلَيْخا يتولَّع قلبها لهفاً ويتوقَّد ليوسف حُباً ويزداد يوماً بعد يوم كلما اقترب يوسف من سنِّ المراهقة[٦] إلى أن بلغ يوسف مبلغ الرجال[٧] فكانت السنة ألفين وأربعين وكان يوسف قد

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٩.
(٢) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة يوسف.
(٣) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة يوسف.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٩.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٠، ح: ٤٥ عن دعوات الراوندي.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٧) إشارة إلى الآية ٢٢ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

أكمل من العمر ثلاثاً وعشرين سنة[1] فلم تطق زُلَيْخا الصبر إذ كانت فتاة في مُقتبل عمرها وزوجها كان عِنّيناً، وقد أحبّته من ذي قبل وانتظرته كي تستغل غريزته بإكماله السنة الثالثة والعشرين لتصل إلى مرادها ويحس معها كما تحس هي.

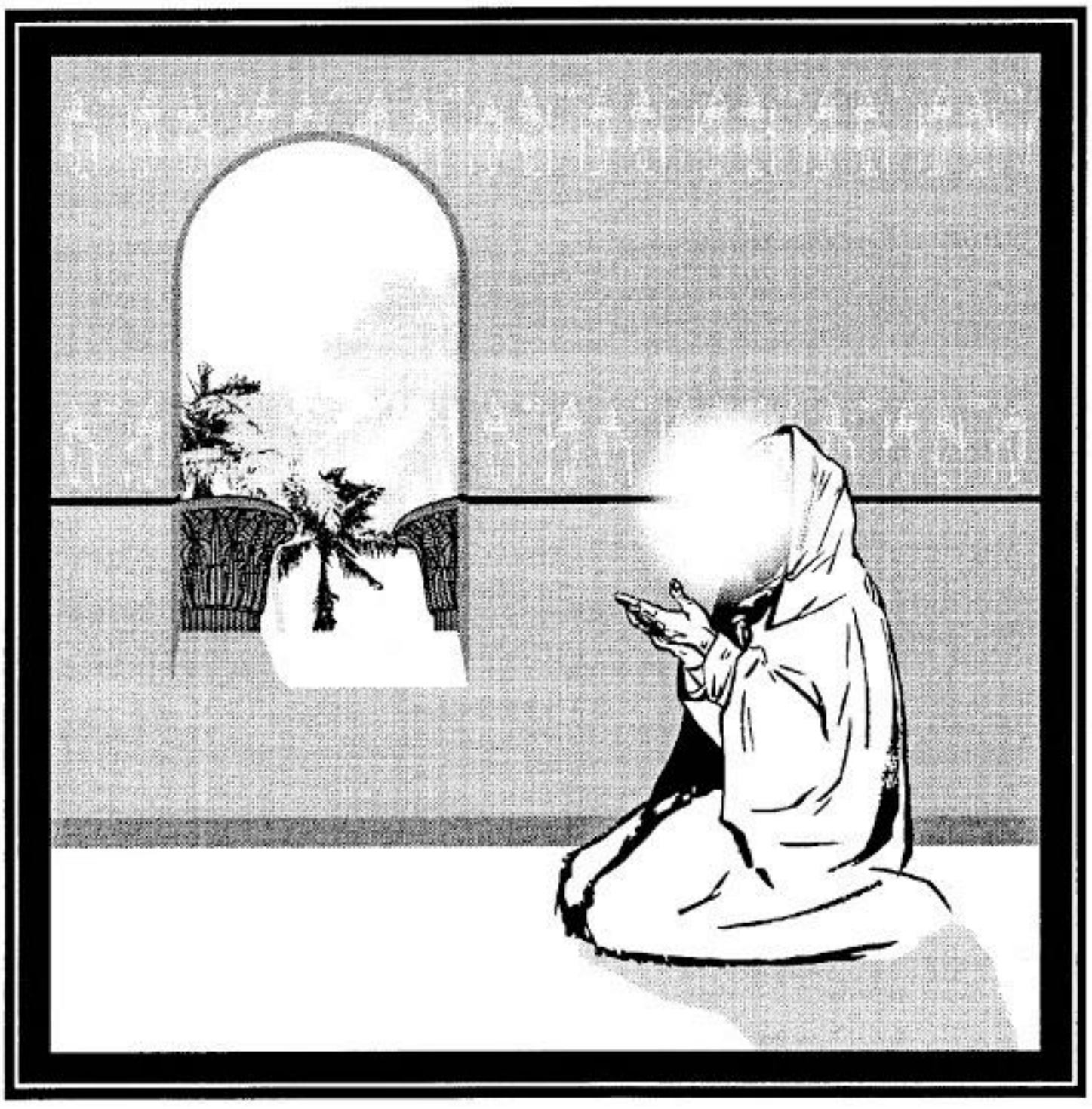

يوسف يتعبد في البلاط الملكي

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٤، ح: ٦٨ عن معاني الاخبار: ٦٨، وقيل إنها وقعت في حُبّه سنة ٢٠٥٨ ق. هـ وليوسف من العمر عشرون سنة.

Éléments sous droits d'auteur

(مُراودة زُليخا ليوسف)

فجاءته يوماً وأبدت ما بنفسها من الحُب وما يحمل قلبها من عشقه، وطلبت منه أنْ يجتمع معها ويمارس معها الجنس فاستوحش يوسف منها[1] واستغرب من مقالتها، وكانت زُلَيْخا تحمل جمالاً دون جمال يوسف ولكنها في غاية الجمال وزاد في جمالها شامة قد نقشت خدها وكانت قد خصلت شعرها بأربع ذوائب، ونظّمتها بالدُرِّ والياقوت لتغريه بها.

وعندما سمع يوسف منها هذه المقالة أخذته الرجفة من خوف الله وأبى إباءً شديداً، ولكنها جعلت تلح عليه وتتوسل إليه وهو يزداد خجلاً ووحشة فلم تتمكن من إغوائه فيئست منه وخاب أملها وبدَتْ مهمومة مغمومة حتى مرضت من فرط الحُب وعدم إمكان يوسف نفسه لها وشكت أمرها إلى داية لها، وجعلت الداية تفكر بطريقة تخدم بها سيدتها وتخلِّصها من محنتها هذه فأشارت عليها بأن تبني بيتاً فائقاً في الجمال والعظمة وتجعله ليوسف وتغريه به، فأمرت ببناء قصر يناسب مقامها وأودعت فيه كل وسائل الإغراء والزينة وأطلقت عليه «قصر السرور» وكان فيه سبع غرف متداخلة، جعلت في كل واحدة منها ما يُغري الإنسان، وكلما كانت الغرفة في العمق كلما كانت مُغرية أكثر فأكثر، وكانت هي من عبدة الأصنام فنصبت في هذا القصر صَنَماً تتبرك به وكان مُكللاً بالدُرّ والياقوت[2].

(اللقاء الأول بين يوسف وزُليخا)

وفي ذات يوم أمرتْ بأن يُزَيّن يوسف بأحسن الزينة وقامت هي بتزيين

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة يوسف.

(٢) قصص الأنبياء للجزائري: ٢٢١.

Éléments sous droits d'auteur

نفسها بما يليق بها من الزينة ولبست سبع حلل وأرسلت قلائدها على صدرها ودخلت القصر ثم استدعت يوسف إلى القصر بحجة أن تُرِيه القصر وكانت هي في الغرفة الأولى، فلما دخل يوسف قامت وأغلقت الباب وراءَهُ فتعجب يوسف من فعلتها وجعلت تراوده وتظهر له حبها وأبدت له ما أمكنها من وسائل الترغيب والتحبيب ولكنه لم يستجب لطلبها، فأدخلته الغرفة الثانية لتريه ما أعدته من الزينة وأغلقت الباب خلفه فلم يستجب يوسف لدعوتها ثم أدخلته الغرفة الثالثة وأغلقت الباب عليه وهي تراوده ويوسف مطرقٌ برأسه الأرض فلم يؤثر كل ذلك فيه ثم أدخلته الغرفة الرابعة وأغلقت الباب خلفه وجعلت تتوسل إليه، فقال يوسف: معاذ الله، إنا من أهل بيت لا يزنون[1]، ثم أدخلته الغرفة الخامسة وأغلقت الباب خلفه وكانت قد اشتعلت شغفاً وحُباً له ولم تكد تتمالك نفسها ونسيت ما عليها من البهاء والملك فجعلت تستعطفه وهو لا يزداد إلا إباءً وامتناعاً، فأدخلته الغرفة السادسة وأغلقت الباب خلفه وكررت مقالتها وطلبت منه أن يواقعها[2] فقال يوسف: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون، وكان قد تذكَّر[3] كلام أبيه في جملة من نصائحه ووصاياه التي جاء فيها: «يا بني لا تَزْنِ فإنَّ الطير لو زنى لتناثر ريشه»[4]، ثم أدخلته الغرفة السابعة فأغلقت الباب خلفه فأصبحا في عمق القصر والأبواب السبعة[5] موصدة خلفهما[6] بعيدين عن مرأى الناس فلا يستمع إلى حديثهما أحد، ولا يراهما أحد، وكانت الغرفة هذه قد نصبت فيها المرايا من كل جوانبها الست فما كان

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.

(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥ عن مجمع البيان للطبرسي، روى عن ابن عباس.

(٣) قصص الأنبياء للجزائري: ٢٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٦، ح: ٣٢ عن من لا يحضره الفقيه: ٤٧١.

(٥) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥ عن مجمع البيان روى عن ابن عباس أن الأبواب سبعة.

(٦) إشارة إلى الآية ٥٣ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

ليوسف أن يطرق برأسه إلى الأرض إلا ويراها، فعندها قامت لتغطي الصنم الذي كان في زاوية الغرفة، فسألها يوسف عن فعلتها، فقالت: ألقي على هذا الصنم ثوباً حتى لا يرانا، فإني استحي من إلهي هذا أن يراني على المعصية[١] فاستغل يوسف كلامها وقال: أنت تستحين من صنمك هذا وهو لا يسمع ولا يبصر[٢] ولا يفقه ولا يأكل ولا يشرب[٣] وأنا لا أستحي من رَبِّي السميع البصير[٤]؟ الذي خلق الإنسان وعلَّمه[٥]، القائم على كل نفس بما كسبت، فوالله لا أفعل أبداً[٦]، فانصدمَتْ من كلامه وجعلت تستعطفه.

(بناء قصر السرور)

وقالت: إنما صنعتُ هذا القصر الجميل وزينّته بأحسن الزينة وسمَّيتهُ قصر السرور لأجلك وبسببك، فأجابها يوسف: يا زُلَيْخا إني أخشى أن يكون هذا البيت بيت الأحزان والأتراح بدلاً من بيت المسرات والأفراح، أو يكون بقعة من بقاع جهنم.

(مغازلة زُليخا ليوسف)

ولكنها قامت تغازله وتقول له: إرفع طرفك إليّ.

قال: أخشى العمى في بصري.

---

(١) قصص الأنبياء للجزائري ص ٢٢١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٩ والبحار أيضاً: ١٢/ ٣٠١، ح: ٩٧ عن تفسير العياشي.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٦، ح: ٣٥ عن عيون الاخبار: ٢٠٩ وصحيفة الرضا: ٣٧.

(٤) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة يوسف وبحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٥، ح: ٣ عن تفسير القمي ص ٣١٩.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٦، ح: ٣٥ عن عيون الاخبار: ٢٠٩ وصحيفة الرضا: ٣٧. ولكنه ذكر «ممن خلق الأشياء وعلمها».

(٦) قصص الأنبياء للجزائري: ٢٢١.

Éléments sous droits d'auteur

قالت: ما أحسن عينيك يا يوسف.

فأجابها يوسف: هما أول شيء ساقط إلى الأرض من جسدي في قبري[1].

فقالت: ما أحسن وجهك، فأجابها: ربي تعالى صَوَّرني في الرحم[2] وهو للتراب يأكله.

قالت: ما أحسن شعرك؟.

قال: هو أول ما ينثر من جسدي[3].

ثم قالت: ما أطيب ريحك؟.

قال: لو شممت رائحتي بعد ثلاث من موتي لهربتِ مني.

قالت: يا يوسف قد أنحلت جسمي بصورة وجهك.

قال: الشيطان يعينك على ذلك.

قالت: يا يوسف الجُنينة قد التهبت ناراً، قُم فأطفئْها.

فقال: إن أطفأتها فمنها احتراقي.

ثم قالت: يا يوسف الجنينة قد عطشت قُم فاسقها.

قال: مَن كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها مني[4].

فعندها صارحته أكثر من ذي قبل وقالت: لِمَ لا تقترب منّي؟.

قال: أرجو بذلك القُرب من ربي.

قالت: إن فراشي الحرير[5] مبسوط فقُم واقض حاجتي.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٠، ح: ٤٥ عن دعوات الراوندي.

(٢) عرائس المجالس: ١١٩.

(٣) عرائس المجالس: ١١٨.

(٤) عرائس المجالس: ١١٩.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٠، ح: ٤٥ عن دعوات الراوندي.

Éléments sous droits d'auteur

قال: إذاً يذهب نصيبي من الجنة[1].

قالت: يا يوسف: أُدخل معي تحت الستر فاستُركَ به.

قال: ليس شيء يسترني من ربي تعالى إن عصيته.

قالت: يا يوسف ضع يدك على صدري تشفني بذلك.

قال: سيدي أحق بذلك مني[2].

فقالت: إن طرفي سكران من محبتك فارفع طرفك إلى حسني وجمالي، قال: صاحبكِ أحق بحسنكِ وجمالكِ.

قالت: أما سيدك فأسقيه كأساً فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمه، ثم ألقيه في الاستبرق وألقيه في القيطون لا يعلم به أحد من الناس وأولِّيكَ مُلكه قليله وكثيره.

قال: فإن الجزاء يوم الجزاء.

قالت: يا يوسف إني كثيرة الدر والياقوت والزمرد، فأعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء.

فأبى يوسف[3].

قالت: أُسلِّمك إلى المُعذِّبين، قال: إذاً يكفيني ربي[4].

(هروب يوسف ولحوق زُليخا به)

قالت لا تخف، ومدَّت يدها لتعانقه وهمَّت لتلقي بنفسها عليه[5]،

---

(١) إشارة إلى آية ٢٣ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٠، ح: ٤٥ عن دعوات الراوندي.

(٢) عرائس المجالس: ١١٩.

(٣) عرائس المجالس: ١١٩.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٠، ح: ٤٥ عن دعوات الراوندي.

(٥) إشارة إلى الآية ٢٤ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.

Éléments sous droits d'auteur

فازداد يوسف وحشة واضطراباً من فعلتها هذه حيث لم يعرف أنها تريد إكراهه، وَهَمَّ أن يقتلها إلا أنه تذكر الله وتذكَّر أباه يعقوب وما له من مقام النبوة، فعدلَ عن قتلها[١] ولكنه دفعها عن نفسه وأفْلَتَ منها هارباً نحو الباب ففتحه فلحقته وجعل يفتح الأبواب ويهرب من القصر إلا أنها أدركته وجذبت قميصه من خلفه فانشقَّ قميصه، ولكنه ظل هارباً[٢] وهي تلاحقه حتى وصلا إلى الباب السابع للقصر ففوجئا بالملك يهمُّ بالدخول ومعه ابن عمها[٣]، فعندها تقدّمت زُلَيْخا من زوجها وسبقته بالشكوى[٤].

(زُليخا تَتَّهِم يوسف بحضور الملك)

واتهمت يوسف تنكيلا به وتبرئةً لساحتها، وقالت: ما جزاء مَن أراد بأهلك سوءاً إلا أن يُعاقب على فعلته[٥]، فسألها الملك عن الأمر، فقالت: كنت نائمة في فراشي فداهمني هذا الغلام العبري - مشيرة إلى يوسف - وكشف عنّي ثيابي وراودني عن نفسي، فهَمَّ الملك بالقبض على يوسف وإنزال العقوبة به، فهنالك تكلم يوسف ودافع عن نفسه وقال: «وإله يعقوب ما أردت بأهلكَ سوءاً، بل هي راودتْني عن نفسي»[٦]، ولكنها أنكرتْ مقالة يوسف وجعلت تصرُّ على اتهامها ليوسف وهو يدافع عن نفسه بإلحاح.

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٤ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٣) عرائس المجالس: ١٢٠.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٦، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٩.
(٥) إشارة إلى الآية ٢٥ من سورة يوسف.
(٦) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.

Éléments sous droits d'auteur

(تكلّم الصبيّ في المهد)

وفجأة جلب انتباه يوسف - بإلهامٍ من الله[١] - بكاء صبي كان في جانب البيت لم يتجاوز الشهر الثالث من عمره[٢] وكان إبناً لأخت زُلَيْخا فأشار يوسف إلى الصبي وخاطب الملك.

وقال: «سل هذا الصبي[٣] أيُّنا راودَ صاحبه عن نفسه فإنه يشهد أنها راودتني عن نفسي».

فقال العزيز: «الصبي»؟ مستغرباً الأمر، فأنطقَ الله الصبيَّ[٤].

وقال: أُنظر أيها الملك إلى قميص يوسف المقدود، فإن كان مقدوداً من قُدامه[٥] فهو الذي راودها لأنها تكون قد دفعته عن نفسها وهو تجاهها وجهاً لوجه[٦]، وإن كان قميص يوسف مقدوداً من خلفه فهي التي راودته وذلك لأنها كانت تلاحقه فمسكت بقميصه وهو يفر منها، فَقُدَّ قميصه[٧]، فلما رأى الملك تكلم الصبي وسمع كلامه وفصله بين المتخاصمين أفزعه ذلك المنظر فزعاً شديداً[٨] فجيء بيوسف لينظر إلى قميصه فإذا به مقدوداً من خلفه[٩] مضافاً إلى أنه قد سمع جزءاً من مجاذبتها إياه على الباب[١٠].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٢٦، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٩.
(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٢٦.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٢٦، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٩.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٢٦، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣١٩.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.
(٦) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة يوسف.
(٧) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة يوسف.
(٨) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع ص ٢٨.
(٩) إشارة إلى الآية ٢٨ من سورة يوسف.
(١٠) بحار الأنوار: ١٢/٢٢٨، ح: ٤ عن تفسير القمي: ٣٢١ وقصص الأنبياء للجزائري: ١٨٧.

Éléments sous droits d'auteur

(براءة يوسف من التُهمة)

فعندها عرف الملك سنان براءة يوسف وتأكد من نزاهته، فنظر إلى زوجته زُلَيْخا نظرة الغضب وأخذ يعاتبها بعنف وقال: إن هذا من مكرك وإن مكر النساء لعظيم[١]. ثم توجه ليوسف يستميحه التغاضي عن الأمر وتناسيه وكتمانه حتى لا يسيء لسمعة البلاط الملكي وقال: «أعرض عن هذا ولا يسمعه منك أحد واكتمه»[٢]، وأمر الملك زوجته زُلَيْخا بأن تعتذر من يوسف وتظهر الندامة على فعلتها[٣] بعدما اعترفت بالخطأ حين انكشف أمرها، فانتهى القضاء بذلك على أن يبقى الأمر مُكتماً.

(تسرُّب الخبر الى خارج القصر الملكي)

ولكن تسرَّب الخبر عن طريق زوجات المستخدمين في البلاط، حيث كُنَّ يراقبن الأمر من قريب، وكانت امرأة ساقي الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة السجان وامرأة الحاجب[٤] يسكنَّ على مقربة من قصر الملكة، فشاع الخبر في المدينة وجعلت النساء يتحدثن عن مراودة زُلَيْخا ليوسف[٥] وقُمْنَ يُوَبِّخْنَها على فعلتها الدنيئة التي لا تليق بمقامها إذ إن يوسف بمثابة ابنها فكيف يمكن أنْ تعشقه بهذا الشكل وتحبه من صميم قلبها وتطالبه بإطفاء شهوتها منه[٦] وبلغها ذلك، فاستاءت من تعيير النساء لها[٧].

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٨ من سورة يوسف.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨
(٣) إشارة إلى الآية ٢٩ من سورة يوسف.
(٤) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٦.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٧، ح: ٣ عن تفسير القمي: ٣٢٠.
(٦) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة يوسف.
(٧) إشارة إلى الآية ٣١ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

(دعوة النسوة إلى قصر زُليخا)

فدبَّرت لهنَّ مكيدة كي لا يلُمْنها بعد ذلك وسعت لكي توقعهنَّ فيما وقعتْ هي فيه وترينهُنَّ ما فيهنَّ من الضعف أمام هذا الجمال الخارق، فدعت أربعين امرأة من كبار نساء المدينة في قصرها على مائدة وأعدَّت لهنَّ ما يليق بها وبهنَّ من النَّمارق والوسائد والفواكه كالأترنج والبطيخ والموز والرُّمان[١] وقدمت لهنَّ الفواكه، فأخذت كل واحدة منهنَّ أترنجة وسكيناً لتقطيعها بها[٢] وأخذت بقطع الأترنجة[٣]، وكانت قد حبست يوسف في بيت ينفذ إلى مكان جلوسهنَّ، فأمرت بيوسف ليدخل عليهن[٤] فما كان له إلا أن يطيعها حيث كان مملوكاً عندها، فعندما دخل عليهن بذلك الجمال والوقار وما عليه من الزينة وكانت قد ألبسته ثياباً خضراً من حرير وديباج ونَعْلَين مُرصَّعين بأغلى المجوهرات، وقد أرسلت شَعْرَهْ على صدره من جانبيه وطيبته بأحسن الطيب فزاده جمالاً وبهاءً.

(وقوع النسوة في حُب يوسف)

وفوجئت النسوة بدخول يوسف وما عليه من الجمال والزينة إذ لم يتوقعن أنهنَّ سيرْينه في مجلسهنَّ هذا، فدُهِشْنَ من شدة جماله وفرط كماله، فأصبحت عيونهن نحوه شاخصة وعقولهن بجماله مشغولة، وقلوبهن بحبه مشغوفة، فجرحن أيديهن بالسكين ولم يَعِينَ ذلك، وقُلن حاشا لله أن يكون هذا بشراً بل هو مَلكٌ نزل من السماء[٥]، حيث لم يعهد أن يكون على وجه

---

(١) عرائس المجالس: ١٢١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٧ عن تفسير القمي: ٣٢٠.

(٣) إشارة إلى الآية ٣١ من سورة يوسف.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٧ عن تفسير القمي: ٣٢٠.

(٥) إشارة إلى الآية ٣١ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

الأرض بشر يحمل كل مواصفات الجمال ومميزاته، وعظَّمن يوسف ولم يشعرن إلا والدماء تسيل من أيديهن[1] حتى قيل إن سبعاً منهن وقعن مغشيات عليهن[2].

فعندها وجهت زُلَيْخا الكلام لهن وقالت: فذلكنَّ الذي لُمتنَّني فيه[3] فأنتنَّ لم تتمالكن أنفسكنّ بمجرد رؤيته مرة واحدة فكيف بي وأنا أراه ليل نهار، وأُعاشره كل أوقاته فَلِمَ لُمتنَّني على حُبِّي له، ولم تتمالك زُلَيْخا من إظهار حبها له وما طلبته منه من إطفاء شهوتها، واعترفت بإبائه وطهارته على رغم ما هيّأتْهُ من المغريات ولكنه أبى واستنكر ذلك ولم يبق لي إلا أن أهدده بالسجن والذل[4].

(اجتماع النسوة للنَّيل من يوسف)

ثم إنَّ النسوة قُلْنَ ليوسف أطِعْ مولاتك واقضِ حاجتها فإنّها مظلومة تجاه هذا الجمال وأنتَ الذي ظلمتها بعدم استجابتك لرغبتها، ثم إنَّ كل واحدة منهن استأذنت زُلَيْخا لتخلو به وتتكلم مع يوسف لينْصحْنَهُ حتى يستجيب لرغبة زُلَيْخا فسمحت لهن بذلك ولكنهن عندما اختلين به دعته كل منهن إلى نفسها دون زُلَيْخا وهو يأبى كل ذلك[5]، وعندما خرجن أدلتْ كل واحدة منهن بامتناع يوسف، ومن ثم تركن القصر وأرسلت كل واحدة منهن رسولاً ليوسف تسأله الزيارة[6] وتطالبه بقضاء حاجتها وذلك بالخفاء عن الآخرين كما لم يُمسِ يوسف ليلته إلا وقد تواترت رسلهن إليه يُلْحِحْنَ عليه

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٢٦.
(٢) عرائس المجالس: ١٢٢.
(٣) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة يوسف.
(٤) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة يوسف.
(٥) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٧٦ عن الطبرسي.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/٢٧٦، ح: ٤٨ عن علل الشرائع ص ٢٨.

Éléments sous droits d'auteur

بذلك، وهو لا يزداد إلا إباءً وامتناعاً، إلى أنْ ضاق به الأمر من شدة إصرارهن[1] وتهديدهن ومكرهن، فطلب من الله سبحانه وتعالى أن يجنّبه منهن ويبعده من ساحتهن، فاختار لنفسه السجن حيث المكان الأبعد من كيدهن[2].

وكان إذا أتته امرأة لحاجة غطّى وجهه مضافاً إلى أنه كان في الغالب مبرقعاً لئلا يراه الناس من كثرة حُسن وجهه وجماله[3].

وكان الملك قد أعزّه كثيراً حينما عرف إخلاصَهُ وصفاتَهُ وطهارتَهُ ونزاهتَهُ فقرّبه من نفسه وجعله مرافقاً له ومحط أسراره وخدماته الخاصة، فبذلك يئست زُلَيْخا والنسوة من التقرب إليه واستجابة لرغبتهن وبلوغ آمالهن منه، فاجتمع النسوة عند زُلَيْخا وأشرن عليها بحبس يوسف أياماً لعله يستجيب لرغبتها بعد الحبس والذل الذي سيواجهه في الحبس، فاستحسنت زُلَيْخا رأيهن، وبما أنها كانت تعرف منزلتها عند الملك ومقدار حبّه لها وتعلم أنه لا يَرُدُّ لها طلباً إذا كان محفوفاً بقناعات يقتنع الملك بها.

(المكيدة في إدخال يوسف السجن)

فجاءت إليه تطلب حبس يوسف بحجة أنه هو السبب المباشر في فضح الأمر وأنه هو الذي نشر الخبر بين الناس، والآن وبعدما عرف الجميع بذلك ولست أُطيق أن اعتذر بعذري، فأما أن تأذن لي فأخرج واعتذر أمام الناس أو تحبسه كما حبستني[4] - حيث كان الملك قد منعها من مغادرة القصر- ولكنه أبى أن تخرج للناس خوفاً من ازدياد الفضيحة وتفاعلها،

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٧ عن تفسير القمي: ٣٢٠.
(٢) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة يوسف.
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير: ٢١٠.
(٤) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٦ عن الطبرسي.

Éléments sous droits d'auteur

فعلمت أن كلامها قد أثّر فيه، فأشارت عليه أنْ أحْبِسْهُ كي يظهر للناس أنه المذنب دوني، وبذلك يرتفع العار عنك ويعلو مقامك وتخفيه عن أعين الناس، فينسوا ما دار بيني وبينه، فلم يزل الملك يمتنع من حبسه وهي تصرُّ على ذلك إلى أنْ فكَّر الملك ملياً فوافقها الرأي[1] على رغم ما سمعه من الصبي[2] واعتراف زُلَيْخا بذلك، فعندما عرف يوسف بإلقاء التهمة عليه توجه إلى الله بالصلاة ثم دعا وهو مرفوع الرأس إلى السماء وقال: «اللهم ارحم صغر سني، وضعف ركني، وقلة حيلتي، فإنك على كل شيء قدير، فاذكرني بصلاح يعقوب، وصبر إسحاق، ويقين إسماعيل وشيبة إبراهيم، برحمتك يا أرحم الراحمين» وبكى فبكت معه الملائكة[3].

(دخول يوسف السجن)

فعندها أمر الملك صباح يوم الأربعاء سنة ألفين وأربعين بإدخال يوسف إلى السجن[4] وبذلك استجاب الله دعاء يوسف حين قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[5]، بعد ثلاث سنوات من الامتحان العسير الذي تمكن يوسف من اجتيازه بنجاح فائق ولم يستجب لرغبة زُلَيْخا وسائر النسوة. وبما أن زُلَيْخا كانت ولا تزال تحب يوسف وتطمع في أن يتنازل لها، فلذلك أشارت على الملك أن لا يلقى به في سجن الموت الذي أُنشىء تحت الأرض بعمق أربعين ذراعاً حيث كان يلقى فيه - من يراد القضاء عليه- من الأعلى على أم رأسه، ومن فرط حبّها له لم توافق أيضاً على

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٥ من سورة يوسف.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٧٦، ح: ٤٨ عن علل الشرئع: ٢٨.

(٣) بحار الأنوار: ٩٢/ ١٧٢ عن مهج الدعوات: ٣٨٤.

(٤) اشارة إلى الآية ٣٤ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/٣١٦، ح: ١٣٤ عن الخصال: ٢ /٢٩٨، وعلل الشرائع: ١٩٩، وعيون الأخبار: ١٣٧.

(٥) اشارة إلى الآية ٣٣ و٣٤ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

سجنه في سجن العذاب الذي كان مظلماً بشكل لا يميز فيه الليل عن النهار - حيث أُنشىء أيضاً تحت الأرض- ويمارس فيه تعذيب المسجونين.

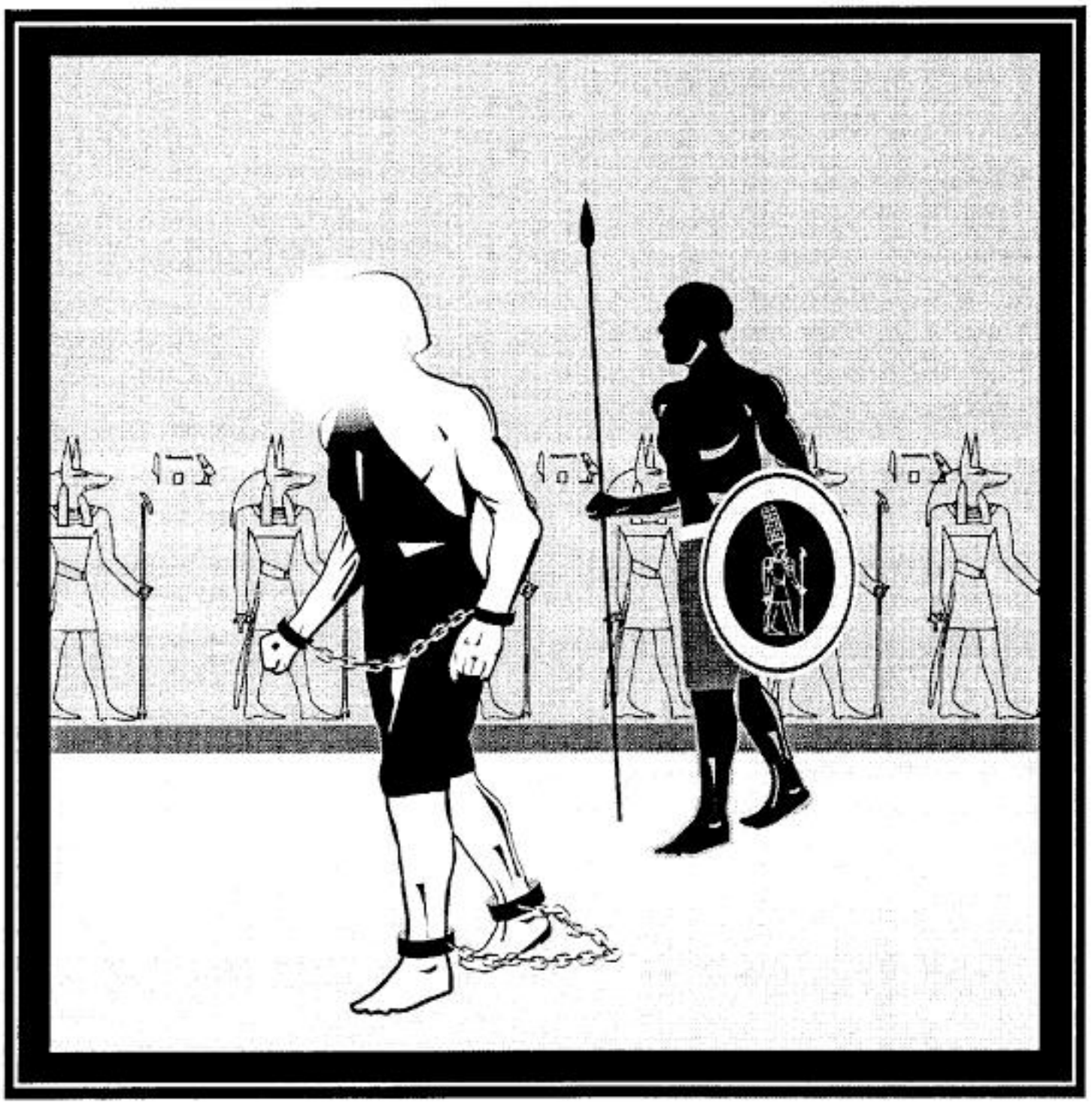

يوسف يساق الى السجن

(السجن الانفرادي)

وإنْ كانت هددته بهذا السجن إلا أنها أشارت على الملك أنْ يسجنه في سجن العافية، حيث أُنشىء على وجه الأرض بجنب القصر الملكي، وكان خاصاً بالمغضوب عليهم من حاشية الملك وخدمه وحشمه، كما أشارت

Éléments sous droits d'auteur

عليه أنْ يحبسه في السجن الانفرادي كي يُتاح لها أنْ تزوره في السجن متى شاءت[1].

وعندما أرادوا سجن يوسف طلبته زُلَيْخا وقالت له: لقد أعييتني وانقطعتْ فيك حيلتي، فلأُسلِّمَنَّك إلى المُعذِّبين يعذبونك كما عذّبْتَني، فلم يردَّ على كلامها وأخذت تجرده مما كان عليه من الألبسة الفاخرة والحلل والمجوهرات الثمينة، وألبسته ملابس خشنة كانت محاكة من الصوف واكتفت بالجُبة، وقالت له: لأُقَيِّدَنَّ رِجْلَيْكَ بقيود من حديد حتى تأكلهما، وهو لا يزال صامتاً، فقيَّدوه بالقيود، وساقوه إلى سجن العافية، في المكان الذي أعدّوه له، وهو مُنكَّس الرأس لا يتكلم بشيء.

(يوسف وعلم تعبير الرؤيا)

وبما أنَّ يوسف طلب من الله السجن كي يتجنب معصية الله، وكان قد حُكم عليه به ظُلماً، فقد كافأه الله على عدم انزلاقه في المتاهات التي وضعتها زُلَيْخا له بتعليمه تأويل الرؤيا، فأصبح من حينه يعبر الرؤيا للسجناء[2].

(مؤامرة لاغتيال الملك)

وكان للملك عَبْدان أحدهما اسمه عالب وهو مسؤول عن طعام الملك ومائدته، والآخر اسمه أبروها وهو مسؤول عن شراب الملك[3]، وكان قد اتصل بهما جماعة من مناوئي الملك فأغروهما بالمال إن قاما باغتيال الملك ووضع السم في مأكله ومشربه، فأبدوا الموافقة على ذلك واتفقا على

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٦ عن الطبرسي.

(٢) اشارة إلى الآية ٢٢ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٠، ح: ٧٢ عن قصص الأنبياء، أيضاً بحار الأنوار: ١٢/ ٣٠١، ح: ١٠٠ عن تفسير العياشي.

(٣) وقيل كان اسم الخباز مجلباً، والساقي اسمه بيوص. عرائس المجالس: ١٢٢.

Éléments sous droits d'auteur

موعد الاغتيال معاً، فارتبط الأول بوعده ووضع السم في طعام الملك، وعدلَ الساقي عن رأيه ولم يضع السم في شراب الملك، بل أخبر الملك بذلك حينما همَّ الملك أن يأكل من الطعام المسموم، وكان الخباز واقفا فارتعدت فرائصه خوفاً من الملك، فكشف عن صاحبه الساقي أنه هو الثاني الذي وضع السم في شرابك فلا تشرب منه، فغضب الملك منهما وأمر الساقي بالشرب مما أحضره فشرب ولم يضره شيء، ثم أمر الخباز بأن يتناول مما أحضره فأبى، فأمر بأن يُطعم لبعض الدواب فأطعم فماتت من حينها بالسم، فأصدر الملك قراراً بسجن الساقي والخباز معاً، حيث تأخر الأول عن إخبار الملك، وحاول الثاني اغتيال الملك، وصادف ذلك يوم دخول يوسف السجن[١]، وقد أوكل الملك إليهما أمر يوسف داخل السجن[٢].

(ندم زُليخا من سجن يوسف)

وعندما أخذ يوسف مكانه من السجن شعر بالغربة والوحدة فتذكر أباهُ يعقوب ومدى حبه له، فجاشت نفسه بالبكاء واشتد به الحزن حين عرف أنه لم يحظ بمكان خاص لينفرد فيه بالعبادة لله سبحانه وتعالى، فأحاط به السجناء من كل جانب يتطلعون عليه وعلى جماله ورقَّ قلبهم عليه من كثرة بكائه وسألوه عن صناعته، فقال: أعبر الرؤيا[٣]، وقد بقي يوسف في السجن يملأ فراغه ويعزّز من وحدته بعبادة ربه وهداية الناس وكانت زُلَيْخا تراقبه من قصرها من خلال شرفة لها[٤] ويذكر أنها كانت توصي الحرس أنْ

(١) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة يوسف. بحار الأنوار: ١٢/٣٠١، ح: ١٠٠ عن تفسير العياشي.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٩، ح: ٥ عن تفسير القمي: ٣٢١.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٢٩، ح: ٥ عن تفسير القمي: ٣٢١.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٤.

Éléments sous droits d'auteur

يضربه ليرتفع صوته لتستمتع به إلا أنَّ السجان لِحُبِّهِ له كان يضرب على الأرض وهو يرفع من صوته[1] لكي لا يقع السجان في مخمصة.

هذا وندمت زليخا على سجن يوسف، فجاءت للملك تطلب منه الإفراج عنه ولكنه أبى، فسألت السجّان أن يرفع عنه الأغلال والقيود وأرسلت له ملابس من الحرير والاستبرق، وكانت تأتي لزيارته بين حين وآخر فتموت عليه حسرة حيث لم تزل تحبه والشغف مِلْء قلبها، وكلما حاولت أن تقترب منه كان يبتعد عنها إلى أنْ يئست من الفوز بحبيبها والنيل من جماله وعطفه والملك غافل عن يوسف، فبقي يوسف في السجن خمس سنين[2]، اي في سنة خمسٍ وثلاثين بعد الالفين مشغولاً بهداية الناس وعبادة ربه والتضرع إليه والبكاء على أبيه إلى أنْ نفدَ صبرُ مَن معه في السجن، فطلبوا منه إما أنْ يبكي ليلاً أو نهاراً[3] كي يأخذوا راحتهم فصالحهم على أنْ يبكي يوماً ويسكت يوماً، وكان في اليوم الذي يسكت أسوأ حالاً[4]، وكان يفضي لهم بالعلم والحكمة ومعرفة الله وتأويل الرؤيا، فأحبه كل مَن في السجن، وكانوا يتشوقون إلى كلامه وحديثه، فكانوا ينادونه بالصدِّيق لصدق مقالته وصحة تأويله للرؤيا ويقولون له بارك الله عليك، ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك، لقد بورك لنا في جوارك، وعندما عرفوا أنه ابن يعقوب نبي الله زادوا في احترامه وإكرامه حتى أن السجّان أخذ يُحسن المعاملة إليه ويكرمه.

(يوسف يهدي السُجناء)

وكان يوسف يُحسن لمن حوله ويُعين الضعيف منهم ويعود المريض

---

(١) شجرة طوبى: ١/ ٢٤.
(٢) تواريخ الأنبياء: ١٣٢.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٤، ح: ٢٧ عن الخصال: ١/ ١٣١.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٣٠٣، ح: ١٠٣ وح ١٠٤ عن تفسير العياشي.

Éléments sous droits d'auteur

منهم ويسعفه ويساعده على مرضه ويلتمس المحتاج منهم ويعزّي المحزون منهم[1] ويؤوي الحيران منهم ويوسع على المحبوس منهم[2]، فآنسوا به لأخلاقه وعلمه وفضله، فكان كهفاً وملاذاً لهم، وكان إذا أرسل الملك لأحدهم طعاماً مسموماً ليقضي عليه أخبره بذلك.

ومما رأى يوسف عندما دخل السجن رأى قوماً قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم، فجعل يقول لهم: أبشروا واصبروا تؤجروا، إنَّ في هذا لأجراً وثواباً، فقالوا له يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك، لقد بورك لنا في جوارك، إنا لا نحب أن نكون في غير هذا المكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من الأجر والكفارة والطهارة في ذلك، فمن أنت يا فتى؟.

قال: أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم.

فقال له عامل السجن: والله يا فتى لو استطعت لخلَّيت سبيلك، ولكن سأُحسن جوارك وأُحسن إيثارك، فكن في أي بيت شئت[3]، وفي يوم من الأيام بعد انقضاء السنوات الخمس.

قال الفتيان: عالب وأبروها الخباز والساقي إنّا أحببناك منذ رأيناك.

فقال: ناشدتكما الله لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حُبه بلاءٌ، وما أصابني هذا إلا من الحُبِّ، لقد أحبَّتني عمّتي فدخل عليّ من حُبها بلاءٌ، ثم أحبّني أبي فدخل عليّ مِنْ حُبِّه بلاءٌ، ثم أحبّتني زوجة

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٣.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٠، ح: ٥ عن تفسير القمي: ٣٢١.
(٣) عرائس المجالس: ١٢٣.

Éléments sous droits d'auteur

صاحبي فدخل عليّ من حُبها بلاءٌ، فلا تُحبّاني، بارك الله فيكما، ولكنهما أبَيا إلا حُبه وألفاه، فأعجبهما عقله وفهمه[١].

(حُلم الساقي والخباز)

ثم قال أبروها الساقي ليوسف: إني قد رأيت في منامي البارحة كأني في بستان عند أصل كرمة حسنة فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد عنب وقد اقتطفتها وكان كأس الملك بيدي ورأيت أني عصرت العنب في الكأس كي يصبح خمراً وسقيته للملك[٢]، وعندما رأى عالب الخباز أن الساقي قد ذكر ليوسف ما رآه في المنام ادعى هو أيضاً أنه رأى في المنام كأني في مطبخ الملك وأحمل فوق رأسي ثلاث سلال ملئن خُبزاً وأنواع الأطعمة وسباع الطير تأكل وتنهش منه، فطلبا من يوسف أن يعبر لهما الرؤيا[٣]، وكان الساقي صادقاً في رؤياه بعكس الخبّاز حيث كان كاذباً في رؤياه، فاغتنم يوسف هذه الفرصة لكي يدعوهما إلى عبادة الله وينتهيا عن الشرك بالله وعبادة الأصنام ولكنه كره أنْ يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما[٤] ولذلك جعل يوسف يذكرهما بما كان يخبرهما بالغيب عندما كان يطلعهما على ما يقدم لهما من وجبات الطعام قبل وصوله إليهما[٥] كما ذكّرهما بما كان ينبه مَن في السجن حين كان يوضع في طعامه السم ليتخلص الملك منه، كي يكون لكلامه وتأويله وقع في نفوسهما لعلمه أنَّ الخباز قد كذب عليه، وكانا قد نسبا إليه الكهانة والسحر[٦] فأراد أن يبيّن

---

(١) عرائس المجالس: ١٢٣.
(٢) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة يوسف.
(٣) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة يوسف.
(٤) عرائس المجالس: ١٢٣.
(٥) إشارة إلى الآية ٣٧ من سورة يوسف.
(٦) عرائس المجالس: ١٢٤.

Éléments sous droits d'auteur

أنه يعلم الغيب عن طريق العبودية لله وأنه لم يصل إلى مقام النبوة إلا لإخلاصه في العمل لله وعبوديته الكاملة لله سبحانه وتعالى مضافاً إلى ما بيّنه من نسبه الشريف وانتمائه إلى سلالة الأنبياء وإلى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وما عليهم من الفضل والعلم[1] وإخباره لهما عن أحوال الكفار والمشركين في عصره وفي العصور الماضية[2] وذكَّرَهُما بأنَّ ذلك الذي وصل إليه من العلم والحكمة هو من عند الله[3]، وجعل ينصحهم وينهاهم عن الشرك وعبادة الأصنام حيث كان بين أيديهم أصنام يعبدونها[4]، فقال لهم: هل الله الواحد القهار خير أم آلهة متعددة عاجزة لا تدرك شيئاً ولا تعي، فما هذه الأصنام التي تعبدونها إلا من خلقكم أنتم، فهل من المعقول عبادة المخلوق، بل علينا عبادة الخالق القادر[5].

ثم بعد ذلك ألحّا عليه أنْ يفسِّر لهما رؤياهما[6]، فوجّه كلامه إلى أبروها الساقي وقال: ما أحسن ما رأيت، أما الكرمة فهو الملك، وأما حُسنها فهو حُسن حالك عند الملك، وأما الأغصان الثلاثة فثلاثة أيام تمضي عليك في السجن ثم يرسل إليك الملك في اليوم الرابع[7] ويردُّك إلى عملك - السقاية - فتصير كما كنت بل أفضل[8].

ثم وجّه كلامه إلى عالب الخباز وقال: بئسما رأيت[9] فإن السلال الثلاث هي ثلاثة أيام تقضيها في السجن ثم يُخرجك الملك فيقتلك ويصلبك

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٨ من سورة يوسف.
(٢) إشارة إلى الآية ٣٧ من سورة يوسف.
(٣) إشارة إلى الآية ٣٧ من سورة يوسف.
(٤) عرائس المجالس ص ١٢٤.
(٥) إشارة إلى الآية ٣٩ - ٤٠ من سورة يوسف.
(٦) عرائس المجالس ص ١٢٤.
(٧) بحار الأنوار ج ١٢ ص ٢٢٩، ح: ٤ عن تفسير القمي ص ٣٣٤.
(٨) إشارة إلى الآية ٤١ من سورة يوسف.
(٩) بحار الأنوار ج ١٢ ص ٢٢٩، ح: ٤ عن تفسير القمي ص ٣٣٤.

Éléments sous droits d'auteur

وتأكل الطيور السود من دماغك[1]، فعندما سمع الخباز ذلك من يوسف ضحك استهزاءً بيوسف وتأويله للرؤيا، حيث كان كاذباً في رؤياه، بل طرحه على يوسف ليجرِّبه ويستهزىء به[2]، فقال ليوسف: إني لم أر ذلك الحلم، فقال يوسف: تم الأمر، وسيقع ما قُلته لكما، ولا رادَّ لما ذكرتُ، وأنه نازل بكما وهو كائن لا محالة[3].

(الإفراج عن الساقي وقتل الخباز)

وكان ما كان من أمر الساقي والخباز حيث بعث الملك في اليوم الرابع من إخبار يوسف لهما عمّا سيحدث لهما، فأخرجهما من السجن حيث ثبتت براءة الساقي، فخلعَ عليه الملك جائزة، وأحسن إليه، وردَّه إلى وظيفته، وأمرَ بالخباز فجُلد بالسِّياط عارياً حتى مات، ثم صَلَبَهُ على قارعة الطريق - عِبرة للآخرين - حتى نَتِنَ ريحُهُ وتلاشى جَسَدُهُ، فأقبلت الطيور السودُ فنهَشَتْ من رأسه.

وبما أن يوسف قد ضاق ذرعاً من السجن، قال للساقي حين خروجه من السجن، حيث علم أنه ناجٍ من السجن، وراجعٌ إلى عمله ووظيفته: «لا تنساني يا أبروها من أن تذكرني عند الملك ليُخلّصني من هذا السجن، وقل له: «في السجن غلامٌ محبوسٌ ظُلماً»[4]، فوعَدَهُ خيراً، إلا أنه نسيَ أنْ يُذكِّر الملك بأمر إخراج يوسف من السجن[5].

---

(١) إشارة إلى الآية ٤١ من سورة يوسف.
(٢) بحار الأنوار ج ١٢ ص ٢٢٨، ح: ٤ عن تفسير القمي ص ٣٢١.
(٣) بحار الأنوار ج ١٢ ص ٢٢٩، ذيل ح: ٤ عن تفسير القمي ص ٢٣٤.
(٤) عرائس المجالس ص ١٢٤.
(٥) إشارة إلى الآية ٤٢ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

(عتب جبرائيل على يوسف)

وعندما اعتمد يوسف على الساقي في نجاته من السجن وهو نبيٌّ مرسل، نزل عليه جبرائيل معاتباً من قبل الله، وقال له: يا يوسف إنَّ رب العالمين يُقرِئك السلام ويقول لك: مَن أراك الرؤيا التي رأيتها[١]؟

ومَن خلقك[٢] وجَعلكَ أحسن خلقه؟.

فصاح يوسف ندماً ووضع خده على الأرض، ثم قال: أنت يا ربِّ.

ثم قال جبرائيل: ويقول لك مَن حَبَّبَكَ إلى أبيك دون إخوتك؟ فصاح ثانية، ووضع خده على الأرض وقال: أنت يا ربِّ[٣].

ثم قال جبرائيل: ويقول لك فمَن آنَسَكَ في البئر وأنت عريان، ونَجّاكَ من كُرَبِ البئر؟[٤]، ومَنْ وجّه إليك السيارة التي رأيتها؟.

قال يوسف: أنت يا ربِّ.

ثم قال جبرائيل: فمَن عَلَّمك الدعاء الذي دعوتَ به حتى جعل لك من الجُبِّ فَرَجاً[٥] بعد أن طُرحت فيها وأيقنْتَ بالهَلَكَة؟.

فصاح يوسف صيحة ووضع خدّه على الأرض ثم قال: أنت يا ربِّ[٦].

وقال جبرائيل فَمَن جعل لك مِنْ كيد المرأة مَخْرَجاً؟.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٦ ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠، أيضاً البحار: ١٢/٣٠٢ ح: ١٠٠ عن تفسير العياشي.
(٢) عرائس المجالس: ١٢٥.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٠، ح: ٥ عن تفسير القمي: ٣٣٢.
(٤) عرائس المجالس: ١٢٥.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/٢٣١، ح: ٥ عن تفسير القمي: ٣٢٢.

Éléments sous droits d'auteur

قال يوسف: أنت يا ربِّ[1].

وقال جبرائيل له: فَمَن أنطق لسانَ الصَّبيِّ بِعُذْرِكَ؟.

قال يوسف: أنت يا ربِّ[2].

قال جبرائيل: فَمَن صرفَ عنك كيد امرأة العزيز والنسوة؟.

قال يوسف: أنت يا ربِّ[3].

قال جبرائيل: فَمَن ألهمك تأويل الرؤيا؟.

قال يوسف: أنت يا ربِّ[4]، ثم ضربَ جبرائيل برجله الأرض حتى كشط له عن الأرض السابعة.

فقال له جبرائيل: يا يوسف أُنظر ماذا ترى؟

قال يوسف: أرى حجراً صغيراً، ففلقَ الحجرَ.

فقال جبرائيل: ماذا ترى؟.

قال يوسف: أرى دودة صغيرة.

قال: فَمَن رازقها؟.

قال: الله.

قال: فإن ربكَ يقول: لم أنسَ هذه الدودة في ذلك الحجر في قعر الأرض السابعة، أظننت أني أنساك حتى تقول للفتى أُذكرني عند ربِّك؟[5].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣١، ح: ٥ عن تفسير القمي: ٣٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣١، ح: ٥ عن تفسير القمي: ٣٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.

Éléments sous droits d'auteur

ثم قال له: فكيف استغثتَ بغيري[1] ولم تستغث بي[2] وتسألني أنْ أُخرجك من السجن واستغثْتَ[3] وأمَّلْتَ عبداً من عبادي ليَذَرَكَ إلى مخلوق مِن خلقي في قبضتي ولم تفزع إليّ؟[4]، لتلبثنَّ في السجن بمقالتك هذه، وبإرسالك عبداً إلى عبد بضع سنين[5].

قيل إن جبرائيل عندما نزل على يوسف في السجن عَرَفَهُ يوسف.

وقال له: يا أخا المنذرين ما لي أراك بين المُخطئين؟.

فقال له جبرائيل: يا طاهر يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك: ما استحييت منّي أنِ استشفَعْتَ بالآدميين؟ فَوَعِزَّتي لألبثنَّكَ في السجن بضع سنين.

قال يوسف: يا أخي يا جبرائيل، وهو في ذلك راضٍ عنّي؟.

قال: نعم.

قال: «إذاً لا أُبالي»، فبكى يوسف عند ذلك بكاءً شديداً[6].

فقال يوسف: أسألك بحق آبائي عليك إلا فَرَّجْتَ عنّي.

فأوحى الله إليه يا يوسف: وأي حق لآبائك عليَّ؟ إنْ كان أبوك آدم خلقتُه بيدي ونفخْتُ فيه من روحي وأسكنْتُهُ جَنَّتي، وأمرتُهُ أنْ لا يقْرَبَ شجرة منها، فعصاني، وسألني فتُبْتَ عليه، وإنْ كان أبوك نوح انتجبْتُهُ مِن بين خلقي وجعلته رسولاً إليهم، فلما عصوا، ودعاني، فاستجبْتُ له وأغرقتُهُمْ، وأنجيْتُهُ ومَنْ معه في الفلك، وإنْ كان أبوك إبراهيم اتخذتُهُ خليلا

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٣٠٢، ح: ١٠٠ عن تفسير العياشي.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/٣٠٢، ح: ١٠٠ عن تفسير العياشي.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.

Éléments sous droits d'auteur

وأنجيته من النار وجعلتها برداً وسلاماً، وإنْ كان أبوك يعقوب، وَهَبْت له اثني عشرَ ولداً، فغيَّبْتُ عنه واحداً، فمازال يبكي حتى ذهبَ بصرُهُ وقَعَدَ على الطريق يشكوني إلى خلقي، فأي حق لآبائك عليّ؟.

فقال له جبرائيل: قل يا يوسف: «أسألك بمنِّك العظيم، وإحسانك القديم، ولُطفك العميم، يا رحمن يا رحيم، فقالها: فرأى الملك بعد ذلك رؤياه[1].

ولبث يوسف في السجن سبع سنين مضافاً إلى السنوات الخمس التي قضاها من ذي قبل فكان سنة خروج الفتيان من السجن سنة ألفين وخمسٍ وثلاثين، وكان ليوسف من العُمر ثمانٍ وعشرون سنة.

(أدعية يوسف في السجن)

وخاطبَ يوسف ربه قائلاً: «سكنَ جسمي من البلوى، وسبقَني لساني بالخطيئة، فإن يكن وجهي خلق عندك، وحَجَبَتِ الذنوب صوتي عنك، فإني أتوجه إليك بوجه الشيخ يعقوب»[2].

وظل يوسف السنوات السبع في السجن متضرعاً إلى الله باكياً مستغفراً عما صدر منه إلى أن قال له السجان ذات يوم: «إني لأُحبك، فقال له يوسف: ما أصابني إلا من الحُب، إن كانت عمّتي أحبَّتْني سَرَقَتْني، وإن كان أبي أحبني فحسدني إخوتي، وإن كانت امرأة العزيز أحبَّتني فحَبَسَتْني»[3].

وسأل يوسف ربه وقال: يا ربِّ بماذا استحققت السجن؟ فأوحى الله

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٦، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.
(٢) بحار الأنوار: ٩٢/١٩٤، ح: ٢٥ عن فلاح السائل: ١٩٤.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٧، ح: ١٢ عن تفسير القمي: ٣٣٠.

Éléments sous droits d'auteur

إليه: أنت اخترته حين قلت: ربّ السجنُ أحبُّ إليّ مما يدعونني إليه، هلا قُلْتَ العافية أحب إليّ مما يدعونني إليه»[1].

وعندما تضايق يوسف من السجن جاءه جبرائيل قائلاً له: قُل في دبر كل صلاة فريضة ثلاث مرات «اللهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً، وارزقني مِن حيث أحتسب ومِن حيث لا أحتسب».

فما كانت نهاية السنة الثانية عشرة من وجود يوسف في السجن وذلك سنة ألفين وثمانٍ وعشرين وليوسف من العمر خمس وثلاثون سنة، أتاه جبرائيل وقال له: «إن الله ابتلاك وابتلى أباك، وإن الله يُنجيك من هذا السجن فاسأل الله بحق محمد وأهل بيته أن يخلّصَكَ مما أنت فيه».

فقال يوسف: «اللهم إنّي أسألك بحق محمد وأهل بيته إلا عجَّلت فرجي، وأرَحْتَني مما أنا فيه».

فقال له جبرائيل: فأبْشِر أيها الصديق، فإنَّ الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيام ويملِّكَكَ مصرَ وأهلها، ويخدمك أشرافها، ويجمع إليك إخوتك وأباك، فأبشر أيها الصديق، إنك صفيُّ الله وابن صفيّه»[2].

وشكا يوماً يوسف إلى ربه عز وجل أكل الخبز وحده وسأل إداماً يأتدم به، وقد كان كثُرَ عنده قطع الخبز اليابس، فأمره أنْ يأخذه ويجعله في إجانة ويصبّ عليه الماء والملح، ففعل، فصار مرياً وجعل يأتدم به[3].

وقال له جبرائيل قبل خروجه بيوم: يا بن يعقوب، ما أسكنك مع الخطّائين؟.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٦، ح: ٢٠ عن أمالي الصدوق: ٣٤٤ والبحار أيضاً: ١٢/٣٠١، ح: ٩٩ عن تفسير العياشي.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٩١، ح: ٧٦ عن قصص الأنبياء.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٨، ح: ٤٠ عن فروع الكافي: ٢/١٧٣.

Éléments sous droits d'auteur

قال جُرمي. قال جبرئيل فاعترِفْ بجرمك فاخرج.

فاعترف بمجلسه، منها مجلس الرجل من أهله.

ثم قال له: ادْعُ بهذا الدعاء: «يا راحم المساكين، ويا رازق المتكلمين، يا رب العالمين، ويا مالك يوم الدين، ويا غياث المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، ويا أسرع الحاسبين، ويا خير المسؤولين، ويا ذا الجلال والإكرام[1]، يا كبير كلّ كبير، يا مَن لا شريك له ولا وزير[2]، يا مَن هو على كل شيء قدير، يا مَن هو عليم خبير، يا مَن هو بكل شيء بصير»[3]. «يا خالق الشمس والقمر المنير، يا عِصمةَ المُضطر الضرير، يا قاصم كل جبار عنيد، يا مُغنيَ البائس الفقير، يا جابر العظم الكسير، يا مُطلقَ المُكبّل الأسير»[4]، «يا مُدبِّر الأمر ثم إليه المصير، يا مَن لا يُجار عليه وهو يجير، يا مَن يُحيي الموتى وهو عليه يسير، يا عصمة الخائف المستجير، يا مُغنى الفقير الضرير، يا حافظ الصغير، يا راحم الشيخ الكبير، يا مَن لا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض، يا غافر الذنوب، يا علّام الغيوب، يا ساتر العيوب»[5]، أسألك بحق محمد وآل محمد أن تجعل لي مِن أمري فرجاً ومخرجاً، وترزقني من حيث أحتسب ومِن حيث لا أحتسب»[6].

وعندما اشتدَّ عليه الحبس خَرَّ لله ساجداً وقال: «اللهم إن كانت الذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً فأنا أتوجه إليك

---

(١) بحار الأنوار: ٩٢/ ١٧١، ح: ١٤٧ عن مهج الدعوات.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٩، ح: ١٤٧ عن تفسير العياشي.
(٣) بحار الأنوار: ٩٢/ ١٧١ عن مهج الدعوات: ٣٨٣.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٩، ح: ١٤٧ عن تفسير العياشي.
(٥) بحار الأنوار: ٩٢/ ١٧١ عن مهج الدعوات: ٣٨٣
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٣٢٠، ح: ١٤٧ عن تفسير العياشي.

Éléments sous droits d'auteur

بوجه الشيخ يعقوب»[١]، ووضع خدّه على الأرض ثم قال: «اللهم إنْ كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإني أتوجه إليك بوجوه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب[٢]، وأسألك بِمَنِّك العظيم وإحسانك القديم إلا ما فَرَّجْتَ عني»[٣].

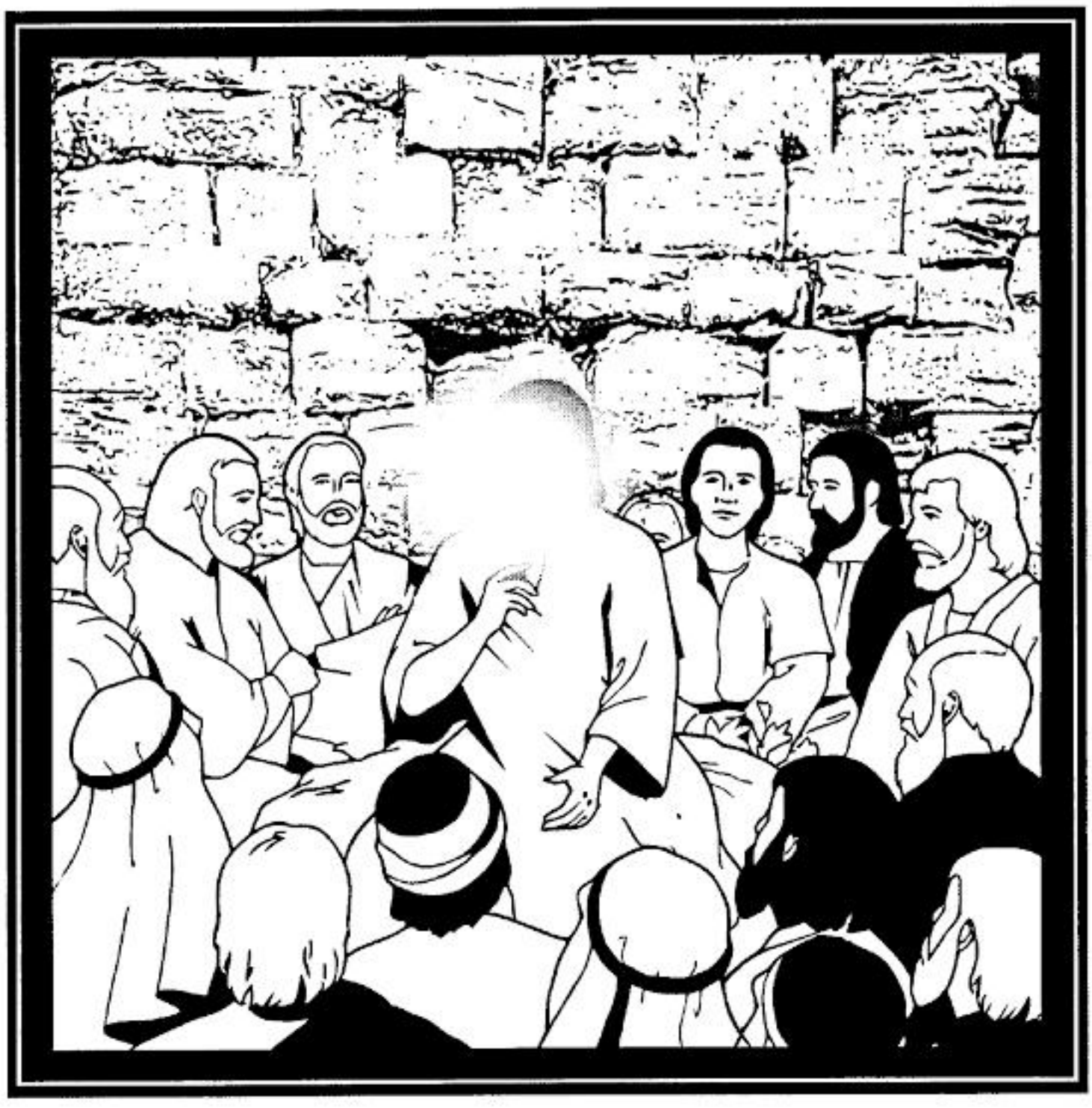

يوسف يعظ السجناء

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٨، ح: ٣٩ عن أمالي الطوسي: ٢٦٤.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٣١، ح: ٥ عن تفسير القمي: ٣٢٢.
(٣) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٣٢ عن مجمع البيان للطبرسي.

Éléments sous droits d'auteur

(منام الملك وفزعه)

فلمّا أصبح الصباح، فَرَّجَ الله عنه حين جاءه رسول المَلِك يدعوه إلى سيّده وذلك أنَّ المَلِكَ أفاق صباحاً من ليلته على رؤياً قد أرعبته، إذ تصوَّر زوال ملكه، فأحضر كلاً من العلماء والحكماء والسَّحَرَة والكَهَنَة[1] والمُنَجِّمين والمُعَبِّرين وكل مَن يمكن أن يعطيه فكرة عن رؤياه ويعبرها له، فعندما اجتمعوا عنده بمحضر وزرائه[2]، طرح عليهم رؤياه قائلاً: «إني رأيت البارحة في منامي سبع بقرات سمان قد خرجْنَ من نهر النيل، ثم بعد ذلك رأيت سبع بقرات ضعاف هزيلات قد خرجْنَ من الموضع ذاته، فابتلعْنَ البقرات السِّمان، فلم يبقَ منهنَّ شيء، ورأيت أيضاً سبع سُنبلات خُضْر من القمح قد التفت عليهنّ سبعُ سُنبلات يابسات حتى قضت عليها تماماً، فما رأيكم أيها الملأ في رؤياي هذه»[3]؟

(فشل علماء البلاط في تعبير الرؤيا)

فأطرق الجميع برأسه إلى الأرض ولم يدل بالجواب، واحتاروا في تأويله[4]، فجعل كل منهم ينظر إلى الآخر، فبانَ عليهم عدم القدرة على تأويل الرؤيا، فقال بعضهم تغطية لجهله: يا أيها الملك إنَّ هذه الرؤيا أضغاث أحلام فلا تعبير لها[5] وليست لها حقيقة، وقال آخرون ممن هم أكثر واقعية منهم: لا عِلْمَ لنا بتعبير الأحلام وتفسير الرؤيا، ولكن المَلِك لم يقتنع بكلامهم ولم يستأنس لحديثهم، حيث قد أفزعتْهُ الرؤيا، وطرقَ برأسه مفكراً في ذلك، وقد استولى عليه الخوف والقلق، وجعل كل من الحاضرين

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٢ عن مجمع البيان.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٢، ح: ٦ عن تفسير القمي: ٣٢٢.

(٣) إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة يوسف.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٢ ح ٦ عن تفسير القمي: ٣٢٢.

(٥) إشارة إلى الآية ٤٤ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

يفكِّر بالحل، فجأة انتبه أبروها الساقي[1] وتذكَّر يوسف وصِدْق تعبيره للرؤيا[2] حينما عبَّر رؤياه ورؤيا عالب الخباز، فتوجه إلى الملك وقال: إنَّ هناك رجلاً لم يُر مثله حلماً وعلماً وتفسيراً وهو القادر على تعبير رؤياك، ولقد عبَّر رؤياي ورؤيا صاحبي عالب الخباز، فصدقَ القول وتحققت الرؤيا.

(إرجاع أمر تعبير الرؤيا الى يوسف)

فقال الملك: أين هو؟.

قال: إنَّ ذلك الحكيم العارف بتعبير الرؤيا في السجن، وطلبَ من الملك أن يرسله إلى السجن[3] كي يلتقي بيوسف ليعبّر له رؤيا الملك ويخبره بذلك حتى يفرِّج عنه، حيث تذكَّر وصية يوسف له حين خروجه من السجن بعدما أن أذِنَ له الملك.

فعندما التقى بيوسف اعتذر عن نسيانه تذكير الملك بالإفراج عنه، فعرضَ الساقي عليه رؤيا الملك، وقال: عرِّفني تعبيرها، لعلّي أرجع إلى الملك فأُخبره به[4] ويعرف فضلك وعلمك.

فقال يوسف في تعبيره: «أما البقرات السِّمان والسنابل الخُضر، فإنه سوف تزرعون في مصر الغلات والحبوب سبع سنين متواليات بجد واجتهاد، فما حصدتم من الزرع فاجعلوه في سنبله - كي لا يفسد - إلا مقدار ما تحتاجون منه للأكل[5]، أما البقرات العِجاف والسَّنابل اليابسات، فإنه سوف يأتيكم من بعد ذلك سبع سنوات قحط وجدب، حيث لا تحصدون شيئاً من الزرع، فتأكلون فيها ما ادَّخَرْتُم في تلك السنوات السبع

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٢ ج ١٢ ح ٦ عن تفسير القمي: ٣٢٢.
(٢) إشارة إلى الآية ٤٥ من سورة يوسف.
(٣) إشارة إلى الآية ٤٥ من سورة يوسف. بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩١ ح ٧٦ عن قصص الأنبياء.
(٤) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة يوسف.
(٥) إشارة إلى الآية ٤٧ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

الماضية[1] ومِن بعد تلك السنوات الأربع عشرة يأتي عام فيه يُغاث الناس، وفيه تمطر السماء، فيرتفع عنكم القحط والجدب[2].

وعندما انتهى يوسف من تعبير رؤيا الملك، رجع الساقي أبروها فرحاً إلى الملك وأخبره بتعبير الرؤيا، فسَرَّه المَلِك ذلك وسكنَ قلبه وارتاح إلى تعبيره.

وقال: ائتوني به حتى أجعله من خواصّي[3]، فجاء الرسول مُبشراً يوسف بذلك.

(يوسف يطلب صكاً ببراءته)

فقال يوسف: كيف أرجو كرامته وقد عرف من قبل براءتي وحبسني سنين؟[4] فأبى يوسف الخروج من السجن واستجابة طلب الملك قبل ثبوت براءته مِن التهمة التي نُسبت إليه[5]، وقال للرسول: ارجع إلى الملك وذكرّه بأمر جرح النسوة أيديهن[6].

فجاء الرسول إلى الملك ونقل له كلام يوسف.

فأمر الملك بإحضار النسوة وسألهن عن أمر يوسف فاعترفوا بالكيد ليوسف وتدبير السجن له ظُلماً، كما اعترفوا ببراءة ساحته من التهم التي وجهوها إليه[7].

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٨ من سورة يوسف.
(٢) إشارة إلى الآية ٤٩ من سورة يوسف.
(٣) إشارة إلى الآية ٥٠ من سورة يوسف.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٢، ح: ٧٦ عن قصص الأنبياء.
(٥) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٤ عن المجلسي.
(٦) إشارة إلى الآية ٥١ من سورة يوسف.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٢، ح: ٧٦ عن قصص الأنبياء.

Éléments sous droits d'auteur

وقالت زُلَيْخا: الآن تبيَّن الحق، فإني راودتُهُ، وأنه بريء مما نُسب إليه، وإنه لمن الصادقين[1] في دعواه النزاهة[2].

فعندها أرسل الملك إلى يوسف ببراءته وفوَّض أمر عقاب النسوة إليه بعد اعترافهن ببراءة يوسف وخطئهنَّ.

فأرسل يوسف إلى الملك إني مُعرض عن عتابهن فضلاً عن عقابهن وإني لم أطلب منك إحضارهن للعتاب والعقاب بل أردت أنْ أُعلمك بأنّي لم أخنْ عرضك في غيبتك[3] ولم أشأ أن أتَّهِمَ زوجتك، ولا أُبرىء نفسي، فإنَّ النفسَ بطبيعتها أمّارة بالسوء، إلا أنَّ الله عصمني من المعصية، فإنَّ ربي غفور للذنب رحيم بالعباد[4].

فلما جاءه الرسول وأبلغه مقالة يوسف استعظمه وعرف علو شأنه ومقدار علمه وحكمته، وعَلِمَ بنسبِهِ، فاستكبره وعلا مكانه عنده، حيث لم يفضح زُلَيْخا على رغم كل محاولاتها وما ابتُليَ به بسببها، بل صبرَ على المكاره كي لا يسيء إليها، كما لم يسئ لشرفها وشرفه، مضافاً إلى مقامه في تعبير الرؤيا، وعصمته وأخلاقه ونُبله، فما كان منه إلا أنْ يستعجل في الإفراج عنه لشدة شوقهِ للُقْياه.

(وداع يوسف للسجناء)

ولكي يعظم من شأنه ويكافيه على حُسن صنيعه أرسل إليه سبعين من حجّابه على سبعين مركب ليرافقوه إلى القصر، وأرسل معهم ثياباً فاخرة تدل على العظمة، وتاجاً مُرصَّعاً ليُلبسوه إيّاه، فانطلق الوفد نحو السجن،

---

(١) إشارة إلى الآية ٥١ من سورة يوسف.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٤، ح: ٧ عن تفسير القمي: ٣٢٣.
(٣) إشارة إلى الآية ٥٢ من سورة يوسف.
(٤) إشارة إلى الآية ٥٣ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

وعندما عرف يوسف بالأمر، قام وودَّع السُجناء ودعا لهم، وقال: «اللهم اعطف عليهم بقلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار»[1]، ثم خرج من السجن وكتب على باب السجن «هذه قبور الأحياء، وبيت الأحزان، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء»[2]، ثم اغتسل وتنظَّف من درن السجن، ولبس ثياباً جدداً حساناً، وتوجه نحو قصر الملك[3]، وعندما وصل عند باب القصر، قال: «حسبي ربي من دنياي، وحسبي ربي مِن خلقه، عزّ جاره وجل ثناؤهُ، ولا إله غيره» ثم دخل القصر.

وطلب يوسف من الملك أنْ يطلق سراح السجناء، ويذكر أنه جعله شرطاً لاطلاق سراحه فوافقه الملك[4]. وكان ذلك بعد عشرين سنة وقد بلغ من العمر ثلاثاً وأربعين سنة والتي وافقت سنة ألفين وعشرين.

(لقاء يوسف بالملك)

وعندما أراد الدخول على الملك، قال: «اللهم إنّي أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شره وشر غيره»، ثم دخل مجلس الملك، فقام إليه الملك، واستقبله بالبُشرى، وأكرمه غاية الإكرام، فسلَّم عليه يوسف بالعربية - حيث كان يعرف أنَّ الملك يتكلم سبعين لغة -.

فأجابه الملك.

ثم سأله: ما هذا اللسان؟.

قال يوسف: هذا لسان عمّي إسماعيل عليه السلام.

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٣ عن الكلبي. بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٤ عن الثعلبي في العرائس.

(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٢ عن الكلبي. بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٤ عن الثعلبي في العرائس.

(٣) عرائس المجالس: ١٢٦.

(٤) شجرة طوبى: ١/ ٢٤.

Éléments sous droits d'auteur

ثم دعا يوسف بالعبرانية.

فقال له الملك: ما هذا اللسان؟.

قال يوسف: هو لسان آبائي.

فعندما عرف الملك أنه يعرف اللغات جميعاً، تكلم معه بجميع اللغات التي يعرفها، وكان يوسف يُجيبه باللغة نفسها، فأُعجب الملك لما رأى منه من غزارة العلم رغم حداثة سِنّه، وقال له: يا غلام هذا تأويل رؤياي الذي لم تعلمه السحرة والكهنة؟.

قال يوسف: نعم[1].

فقال لمن عنده: إنَّ هذا عَلِمَ تأويلَ رؤياي ولم يعلمه السحرة والكهنة، ثم أجلسه قدامه[2] وقال له: إنّي أحب أنْ أسمع رؤياي منك شفاهاً.

فقال يوسف: نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غِرّ حِسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافهن لبناً، فجعلن يرتعن في روضة هناك[3] فبينا أنت تنظر قعره، فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شُعث غير ملصقات البطون، ليس لهن ضروع وأخلاف، ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم الفيلة، فاختلطن بالسِّمان فافترسنهُنَّ افتراس السبع، فأكلن لحومهن ومَزَّقْنَ جلودهنَّ وحطَّمْنَ عظامهن، وتَمَشْمَشْنَ أمْخاخَهنَّ، فبينا أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهُنَّ وهُنَّ مهازيل، ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن، إذ رأيت سبع سنابل خضر وسبع سنابل أخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء، فبينا أنت تقول في نفسك أنّى هذا وهؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٢ عن الكلبي.

(٢) هامش بحار الأنوار ١٢/ ٢٣٢ عن الكلبي.

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير: ٢١٤.

Éléments sous droits d'auteur

سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الماء، إذ هبّتْ ريح فذرّت الأوراق من السود اليابسات على الخضر المثمرات فأشعلت فيهنَّ النار فأحرقتهنَّ، فصرْنَ سوداً متغيرات، فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا[1] ثم انتبهتَ من نومك مذعوراً.

فقال الملك: والله ما شأن هذه الرؤيا وإنْ كانت عجباً بأعجبَ مما سمعته منك، فما ترى في رؤياي أيها الصديق؟.

فقال يوسف عليه السلام: أرى أنْ تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وتبني الأهرام والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفاً للدواب، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفي الطعام الذي تجمعه عندئذ أهل مصر ومن حولها، ويأتيك الخلق من النواحي المختلفة فيمتارون منك طبقاً لحُكمك، ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد من قبل[2]. فأُعجب الملك من تقديره للأمور وحكمته في التصرف، فعندها قال: صدقتَ وإنك اليوم لدينا مكين أمين[3].

(تقبُّل يوسف مسؤولية الوزارة)

وفي سنة ألفين وعشرين استخلصه الملك لنفسه نجيّا، وقال له: إني أريد أن تخالطني في كل شيء، غير أني آنف أن تأكل معي.

فقال له يوسف: إني أحقُّ أن آنف بذلك منك، لأني أنا ابن يعقوب إسرائيل الله ابن إبراهيم خليل الله، فصار بعد ذلك يأكل معه[4].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٣٩٤ عن الثعلبي في العرائس: ٨٩.
(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٢ روى المجلسي عن وهب.
(٣) إشارة إلى الآية ٥٤ من سورة يوسف.
(٤) عرائس المجالس: ١٢٧.

Éléments sous droits d'auteur

ثم قال ليوسف: ومَن يلي بأمر الزرع وتجميعه وبيعه، ويكفيني الشغل فيه.

فعندئذ قال له يوسف: إجعلني على خزائن مصر فإني خير حفيظ لك عليها، وعليم بتدبير الأمور[١]، فإنَّ الله تعالى أوحى إليّ أني مدبّره والقَيّم به في تلك السنين.

قال: صدقْتَ[٢].

ففرح الملك من تقبّله هذه المسؤولية، وقال: «ومَن لي بتدبير أمور المملكة سواك في السنوات العجاف؟ ومَن أجدر منك بهذه الولاية مع مثل هذه الحكمة التي أظهرتها؟».

فولّاه الملك بلاد مصر، وفوّض إليه أمرها، وعزلَ قطفير[٣]، وأصبح بذلك خازنا للملك، ومهّد يوسف في السنة الأولى من ولايته لإرشاد الملك إلى الإقرار بوحدانية الله - حيث كان مُشركا -[٤] إلى أن آمنَ الملك وحاشيته وكثير من الناس بالله الواحد الأحد، ودعاه الملك يوما بعد مضي سنة[٥] وقال له: دونك خاتمي وسريري وتاجي، وكانت مساحة السرير ثلاثون ذراعا في عشرة أذرع، وعليها ثلاثون فراشاً وستون نمرقة[٦]، فتوَّجَهُ بتاج بديع وختَّمه بخاتَمِه وردّاه بسيفه، وأمر بوضع سرير له من ذهبٍ مرصّع بالدُّر والياقوت، وعليه كُلّة من استبرق[٧].

---

(١) إشارة الى الآية ٥٥ من سورة يوسف.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٢، ح: ٧٦ عن قصص الأنبياء.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٢، ذيل ح: ٦٠ عن الطبرسي.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٧، ح: ٣٧ عن علل الشرائع: ٦٠، وعيون الأخبار: ٢٧٨، وتفسير العياشي.

(٥) عرائس المجالس: ١٢٧.

(٦) عرائس المجالس: ١٢٨.

(٧) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٣٠٥ عن الطبرسي.

Éléments sous droits d'auteur

فقال يوسف: أما السرير فأشد به ملكك، وأما الخاتم فأُدبِّر به أمرك، وأما التاج فليس لباسي ولباس آبائي.

فقال الملك: فقد وضعته إجلالا لك وإقراراً بفضلك.

ثم أمره بأنْ يخرج على الناس مُتوَّجا بتاجه ويجلس على سرير الملك[1] ويحكم البلاد كيفما شاء[2].

فخرج يوسف إلى فلاة من الأرض فصلى ركعات، فلما فرغ من الصلاة رفع يديه إلى السماء فقال: «ربّ قد آتيتني من المُلك، وعلّمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض، أنت وليّي في الدنيا والآخرة».

فهبط عليه جبرئيل فقال له: يا يوسف ما حاجتك؟.

قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/٣٠٥ عن الطبرسي.

(٢) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

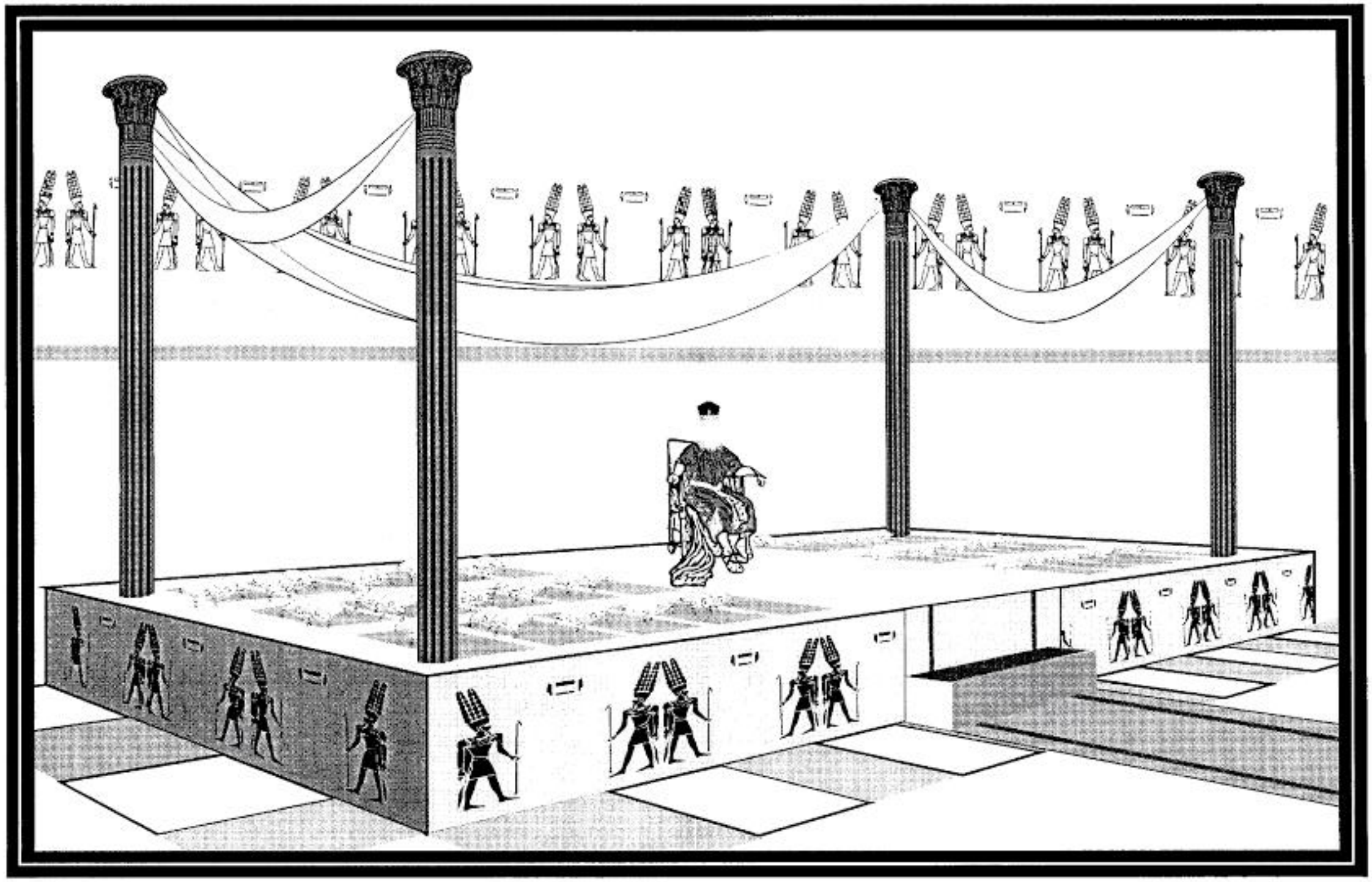

يوسف على عرش مصر

Éléments sous droits d'auteur

(زواج يوسف من أسنات)

ثم إنَّ يوسف في سنة ألفين وتسع عشرة خَطَبَ امرأة جميلة من أهل مصر، فردّت عليه المرأة أنَّ عبد الملك إياي يطلب، فطلبها من أبيها.

فقال له أبوها: إنَّ الأمر أمرها، فتأثر يوسف من ذلك، فطلبها من ربّه وبَكى، فأوحى الله إليه أني قد زوجتكها.

ثم أرسل يوسف إليها إني أريد أنْ أزوركم.

فأرسلت إليه بالموافقة.

فلما دخل عليها أضاء البيت لنوره.

فقالت: ما هذا إلا مَلَكٌ كريم.

ثم إنَّ يوسف طلب الماء، فقامت إلى الإناء لتسقيه، فجعلت تتناول الإناء من يده فتُناوله فاها.

فقال لها يوسف: انتظري ولا تعجلي، ثم إنه تزوجها[١] وكانت تسمى أسنات بنت فوطي فارع، وهو كاهن أور[٢].

واستوثق ليوسف المُلك، فمَلَك مصر وبراريها[٣] ولُقّبَ بالعزيز، فحكمَ بين الناس بالعدل ودانَ له الحُكام، وكانت سيرته من أحسن السِّيَر، حتى أحبّه الحُكام والرعيّة[٤].

(بناء المخازن والاهرامات)

ولما كانت سنة ألفين وعشرين وليوسف من العمر ثلاث وأربعون سنة،

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٣٠١، ح: ٩٨.

(٢) قصص الأنبياء للنجار: ١٣١.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٦، ح: ٢٩ عن الخصال: ١/١١٨.

(٤) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

واستوى على الحكم، بنى مخازن للقمح من الصخر وطيّنها بالكلس، وأمر الرعيّة[1] بأن يهتموا بالزراعة، فلم يَدَعوا مكاناً إلا وزرعوه حتى زرعوا بطون الأودية ورؤوس الجبال، واستمروا على هذا الحال سبع سنين، وكان يشتري خُمس ما يزرعونه، ويحصده ويجعله مع سنبله في الخزائن التي أعدّها لها[2]، إلى أن انتهت السنونُ السبعُ المُخصِبةُ، وكانت السنة ألفين وثلاث عشرة، وليوسف من العمر خمسون سنةً، وابتدأت السنونُ المُجدبة، وذات ليلة كان الملك نائما إذ أصابه الجوع، فنادى: يا يوسف الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أوان القحط والجوع[3].

(بدء القحط في مصر)

وفي هذه السنوات مات قطفير خازن الملك سابقا، وكانت السماء قد امتنعت عن الماء فجفّت الأرض ونباتها، ويذكر أنَّ يوسف أمر طباخ الملك أنْ يجعل غذاء الملك نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلة، كي يُذيقه طعم الجوع، فلا ينسى شعبه الجائع[4]، وكان الناس قد أكلوا كل ما جمعوه عندهم، فاجتمعوا إليه يسألونه أنْ يبيعهم ما احتفظ به في خزائن الدولة، فاستجاب لدعوتهم، وقرر أن لا يبيع لأحد أكثر من حمل بعير، مراعاة لجميع الناس.

(خطة يوسف في بيع ما في المخازن)

فباعهم في السنة الاولى من سنيّ الجدب والقحط بما لديهم من النقود حتى نفد ما لديهم من النقود من ذهب وفضة، ثم باعهم في السنة الثانية بما

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٥، ح: ٧ عن تفسير القمي: ٣٢٣.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٥، ح: ٧ عن تفسير القمي: ٣٢٣.
(٣) عرائس المجالس: ١٢٨.
(٤) عرائس المجالس: ١٢٩.

Éléments sous droits d'auteur

لديهم من الحلي والجواهر حتى نفد ما لديهم منها، وباعهم في السنة الثالثة بما يملكون من الدواب والمواشي، فلم يبق لديهم منها شيء، فباعهم في السنة الرابعة بما يملكونه من العبيد والإماء، فأصبحوا لا يملكون إلا العقار والأنهار، فباعهم في السنة الخامسة بالعقار والدور حتى استملك كل ما يملكونه من الدور والعقار، ثم باعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار، فاستملك كل ما يمكن أن يُمتلك، فما بقي عندهم شيء إلا وأصبح ملكاً للدولة، فلما كانت السنة السابعة جاؤوا عنده يطلبون منه الطعام، فباعهم برقابهم، فأصبح كل ما لديهم من أملاك الدولة، وأصبحوا عبيداً للدولة.

وكان يوسف طوال هذه السنين السبع المجدبة لا يأكل من الأكل إلا أدناه، ولا يُشبع نفسه كي لا ينسى المحرومين من شعبه وضعفاء رعيّته مراعاة لحالهم وما هم فيه من القحط والجدب حتى قيل له تجوع وبيدك خزائن الأرض، فقال: «أخاف أن أشبع فأنسى الجياع».

وكان الناس يتداولون ذِكره وحكمته ويعظمونه على حُسن تدبيره بعدما كانوا ينظرون إليه نظرة العبودية حتى قالوا: ما رأينا ولا سمعنا بملكٍ أعطاه الله من المُلك ما أعطى هذا المَلك حُكما وعلماً وتدبيراً، وقال آخرون: تالله ما رأينا ملكاً أجلّ من هذا وأعظم[1].

(إرجاع يوسف لممتلكات الشعب)

وعندما مَلكَ يوسف رقاب الناس وممتلكاتهم جاء إلى الملك وقال له: ما ترى فيما خوَّلَني ربّي من مُلك مصر وأهلها؟ أشِرْ علينا برأيك، فإني لم أصلحهم لأفسدهم، ولم أُنَجِّهم من البلاء لأكون بلاءً عليهم، ولكن الله سبحانه أنجاهم على يدي.

قال الملك: الرأي رأيك.

---

(١) عرائس المجالس: ١٢٩.

Éléments sous droits d'auteur

فقال يوسف: إني أُشهد الله وأُشهدك أيها الملك أني قد أعتقت أهل مصر كلهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك أيها الملك خاتَمَكَ وسريرك وتاجَكَ، على أن لا تسير إلا بسيرتي ولا تحكم إلا بحُكمي[1].

قال الملك: إنَّ ذلك لِزَيني وفَخري أنْ لا أسير إلا بسيرتك ولا أحكم إلا بحُكمك، ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له، ولقد جعلتَ سلطاني عزيزاً ما يُرام، وأنا أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسوله[2]، فأقِم على ما ولَّيتُكَ، فإنك لدينا مَكينٌ أمينٌ[3].

فعندها هابه كل الناس وانتشر صيته في آفاق البلاد حتى وصل خبره سائر البلدان، وكان قد أحاط بأهل الشامات وغيرها القحط والغلاء، فكانت فلسطين قد أصابها ما أصاب غيرها من البلدان، فجعل الناس يقصدون مصر حيث علموا بأنَّ فيها ملكا حكيما عادلا قد أنقذ شعبه من الهلاك، وتؤمه الناس فلا يخيّبهم.

(يعقوب يطلب حاجته من الملك)

وكان من أمر يعقوب أنه قصد ملكاً في العراق يسأله حاجة، فقال له الملك: أنت إبراهيم؟.

قال: لا.

قال: أنت إسحاق بن ابراهيم؟.

قال: لا قال: فمَن أنت؟.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٢، ح: ٧٦، قصص الأنبياء.

(٢) إشارة الى الآية ٥٧ من سورة يوسف.

(٣) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٣، ح: ٧٦ عن كتاب النبوة للطبرسي، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٣ عن قصص الأنبياء، وهامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٣ عن الطبرسي، نقلا الحديث ولكن باختلاف يسير فيما بينهما.

Éléments sous droits d'auteur

قال: أنا يعقوب بن إسحاق.

قال: فما بلغ بك ما أرى مع حداثة السن؟.

قال: الحُزن على يوسف.

قال: لقد بلغ بك الحُزن يا يعقوب كل مبلغ.

قال: إنّا معاشر الأنبياء أسرع شيء البلاء إلينا، ثم الأمثل فالأمثل من الناس.

ثم إنَّ الملك قضى حاجته.

فلما انصرف وجاوز باب الملك هبط عليه جبرائيل فقال له: يا يعقوب ربك يُقرئك السلام ويقول لك: شكوتني إلى الناس! فَعفِّرْ وجهك في التراب.

فقال: يا ربّ زلّة أقلْنِيها فلا أعود بعد هذا أبدا.

ثم عاد إليه جبرائيل فقال: يا يعقوب ارفع رأسك، ربك يقرئك السلام ويقول لك قد أقلتك، فلا تَعُدْ تشكوني إلى خلقي.

ثم إنه لم يُرَ ناطقا بكلمة مما كان فيه من الغم والهم حتى أنَّ بنيه أتوه فصرف عنهم وجهه إلى الحائط، وقال: إنما أشكو بثّي وحُزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون[1].

(اجتماع يعقوب بأولاده لتأمين معيشتهم)

وعندما سمع يعقوب بنبأ ملك مصر جمع أولاده الأحد عشر ليتداول أمر معيشتهم حيث إنه كان يمتار الطعام كل ستة أشهر للصيف والشتاء[2]

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٨، ح: ٧١ عن قصص الأنبياء، أيضا بحار الأنوار: ١٢/ ٣٠٥، ح: ١١٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٧، ح: ٧١ عن قصص الأنبياء، وبحار الأنوار: ١٢/ ٣٠٥، ح: ١١٤.

Éléments sous droits d'auteur

وكان قد أصابهم ما أصاب سائر الناس من ضيق في الطعام[١] وقال لهم: لقد بلغني أنه يباع بمصر طعام طيب[٢] فاذهبوا إلى مصر وامتاروا الطعام من مليكها واحملوا له ثمنه[٣] مما حصدتموه من أرضكم من المقل[٤] وما لديكم من النعال والأدم.

فقالوا له: كيف يطيب قلبك أن ترسلنا الى الفراعنة وأنت تعلم عداوتهم لنا ولا نأمن أن ينالنا منهم شر؟.

قال: بلغني أنه وليّ أهل مصر ملكٌ عادل[٥] وأنه رجلٌ صالح، لا يحبس الناس، فاذهبوا إليه[٦] واقْرئوهُ عنّي السلام[٧]، واشتروا منه طعاماً فإنه سيُحسن إليكم[٨] ويقضي حاجتكم[٩] إنْ شاء الله[١٠].

فاستجابوا لطلب أبيهم، فجهَّزهم يعقوب للسفر، واستبقى بنيامين أصغر أولاده عنده ليتسلّى به من مِحَن الزمان وما لاقاه من فراق يوسف، وليقومَ بحوائجه.

(وصول أولاد يعقوب الى مصر لطلب الميرة)

وتوجه أولاد يعقوب من فلسطين إلى مصر ليمتاروا الطعام، وكان السير بينهم وبين مصر إثني عشر يوما[١١]. وكان الغلاء يتزايد بشكل سريع ويوسف

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٦، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٦، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(٣) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٦، ح: ٨ عن تفسير القمي: ٣٢٣.
(٥) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٦، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(٧) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٨) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٩) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(١٠) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٦، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(١١) بحار الأنوار: ١٢/٢٧٥، ح: ٤٨ عن علل الشرائع: ٢٨.

Éléments sous droits d'auteur

يكره أن يزيد الأسعار، فكان يأمر بعض وكلائه في بيع الطعام للناس ويحدد لهم الأسعار، ثم إنه ارتفعت الأسعار فلم يحدد لهم ولم يأمرهم برفعها، إلا أنَّ الأسعار عندما ارتفعت كثيراً كان الشُراة عندما يرون أنه اكتال لهم بأكثر من أثمانهم حسب السعر اليومي كانوا يطلبون منه الاكتفاء بتصور أنهم لا يملكون ثمنها، فكانوا هم الذين يدفعون أكثر من اليوم السابق ويأخذون بأقل من اليوم الماضي حتى أصبح كل كيل يعادل وحدة النقد بعدما كانت الوحدة تعادل أضعاف الكيل الحالي[1].

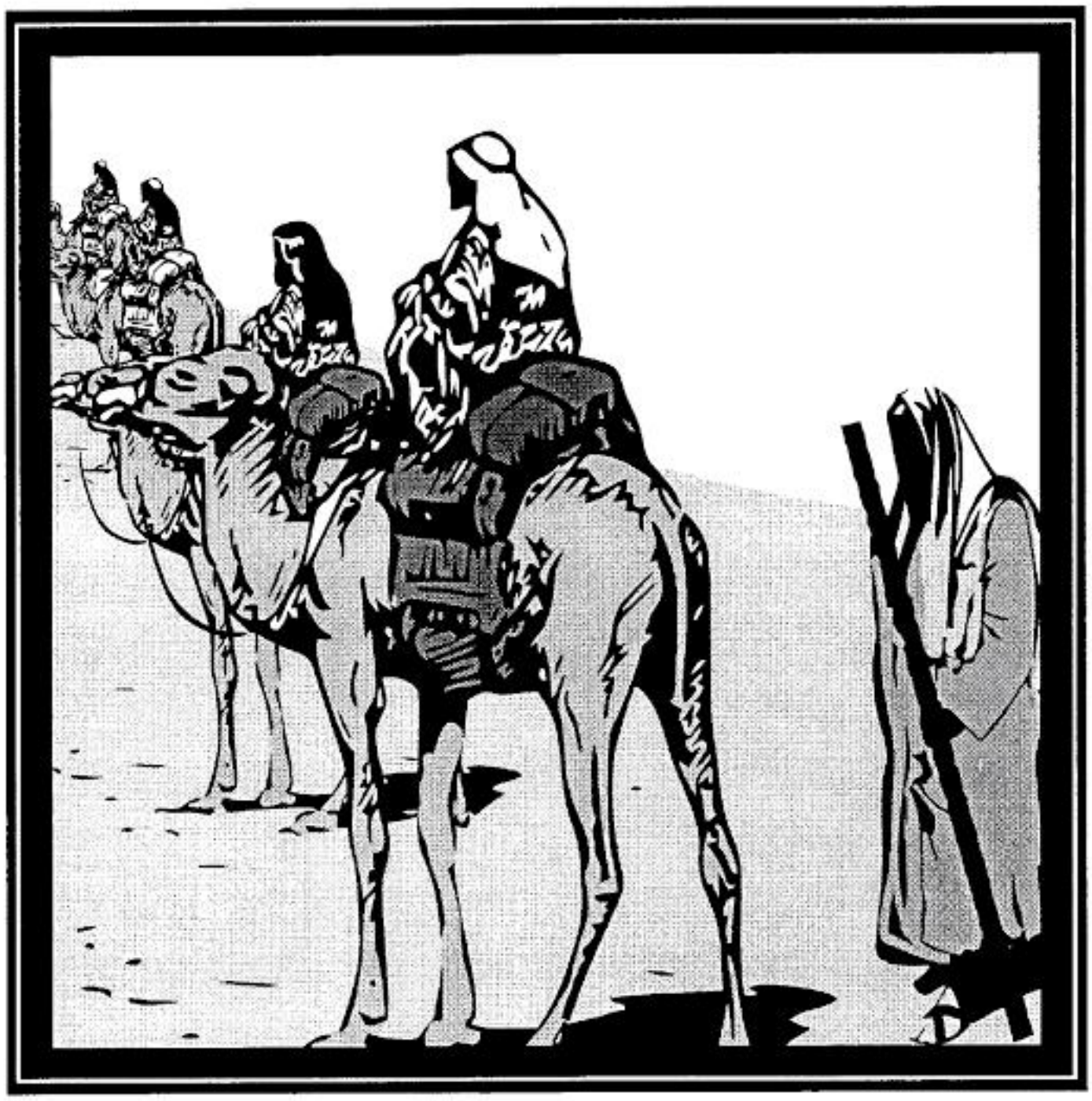

ابناء يعقوب يتوجهون الى مصر لطلب الميرة

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧١، ح: ٤٧ عن فروع الكافي: ١/ ٢٧٤.

Éléments sous droits d'auteur

(التُجّار ويوسف)

وكان من مكانة يوسف أنه لم يزد هو بنفسه الأسعار بل إن التجار الذين قصدوه من سائر البلدان يأتون ويشترون منه الطعام بالسعر الذي يحددونه هم، وعندما يرجعون إلى بلدهم فيسألهم الآخرون عن الأسعار فكانوا يضاعفونها، وكانوا مع ذلك يقصدون يوسف ويسألونه أن يبيعهم، فيقول لهم: اشتروا، كيف تأخذون؟.

فيقولون: بعنا كما بعت كذا بكذا.

فيقول ما هو كما يقولون ولكن خذوا، فأخذوا ثم مضوا حتى دخلوا المدينة فلقيهم آخرون.

فقالوا كيف أخذتم؟.

فقالوا كذا بكذا وضاعفوا الثمن، فعظّم الناس ذلك الغلاء، وقالوا اذهبوا بنا حتى نشتري.

قال: فذهبوا إلى يوسف فقالوا بِعْنا.

فقال: اشتروا.

فقال: بعنا كما بعتَ.

فقال: وكيف بعتُ؟ قالوا كذا بكذا.

فقال: ما هو كذلك، ولكن خذوا.

قالوا: فأخذوا ورجعوا الى المدينة، فأخرجوا الناس.

فقالوا فيما بينهم: تعالوا حتى نكذب في الرخص كما كذبنا في الغلاء، وذهبوا الى يوسف.

فقالوا له: بعنا.

فقال: اشتروا.

Éléments sous droits d'auteur

فقالوا: بعنا كما بعتَ.

قال: وكيف بعتُ.

قالوا: كذا بكذا بالحطّ من السعر الأول.

فقال: ما هو هكذا ولكن خذوا.

فأخذوا، وذهبوا الى المدينة فلقيهُم الناس فسألوهم بِكَمْ اشتريتم؟ قالوا كذا بكذا بنصف الحط الأول.

فقال الآخرون: اذهبوا بنا حتى نشتري، فذهبوا إلى يوسف فقالوا بعنا.

فقال: اشتروا.

فقالوا: بعنا كما بعتَ.

فقال: وكيف بعتُ؟.

قالوا: بكذا وكذا - بالحط من النصف-.

فقال: ما هو كما يقولون ولكن خذوا.

فلم يزالوا يتكاذبون حتى رجع السعر إلى الأمر الأول كما أراد الله[1].

(مناقشة يوسف مع إخوته)

وعندما وصل أولاد يعقوب إلى مصر كان ليوسف من العمر أربع وخمسون سنة وكانت السنة ألفين وتسعاً وذلك في السنة الرابعة من سنوات القحط وقصدوا المكان الذي يُباع فيه الطعام، وقد أخذوا معهم أحد عشر بعيرا محمّلا بالمقل والبضائع ودخلوا على يوسف[2] مع رفقة لهم في القافلة[3].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٣٠٣، ح: ١٠٨ عن تفسير العياشي.

(٢) إشارة الى الآية ٥٧ من سورة يوسف.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٣٠٥، ح: ١١٤ عن تفسير العياشي.

Éléments sous droits d'auteur

فقال لهم يوسف: هلموا بضاعتكم حتى أبدأ بكم قبل الرفاق، وقال لفتيانه عجّلوا لهؤلاء بالكيل وأقروهم - أي زيدوا لهم الحمل- واجعلوا بضاعتهم في رحالهم[١]، وكان يوسف قد عرفهم وهم لم يعرفوه[٢] لانقضاء أربعين عاماً على فراقهم[٣].

وسألهم بالعبرانية: مَن أنتم وما أمركم؟ فإني أنكر شأنكم.

فقالوا: نحن قوم رُعاة من أرض الشام أصابنا الجهد والضيق فجئنا نمتار.

فقال يوسف: لعلكم عيون وجواسيس[٤] لبعض الملوك[٥] جئتم تنظرون عورة بلادي.

فقالوا: أيها الملك لا والله ما نحن بجواسيس[٦] ولا أصحاب الحرب[٧] وإنما نحن إخوة بني أب واحد[٨] نحن أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن[٩] الذي ألقاه نمرود في النار فلم يحترق وجعلها الله بردا وسلاما[١٠] ونحن من جبل كنعان[١١].

قال يوسف: فما فِعْلُ أبيكم؟.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٧، ح: ٧١ عن قصص الأنبياء.
(٢) إشارة الى الآية ٥٨ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٦، ح: ٨ عن تفسير القمي: ٣٢٣.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٨، ذيل ح: ١٤٣ عن مفاتيح الغيب للرازي: ٥/ ١٧٣.
(٤) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٧، ح: ١٢ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(٦) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(٨) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٩) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(١٠) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٦ عن تفسير القمي: ٣٢٣.
(١١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.

Éléments sous droits d'auteur

قالوا: شيخ ضعيف[1] ولو تعلم بأبينا إذاً لكرمنا عليك، فإنّه شيخ صدّيق وهو نبيُّ الله وابن نبيّه، وإنَّه لمحزون[2].

قال يوسف: وَلدَكم إذاً ثلاثة أنبياء، وما أنتم بحُلماء ولا فيكم وقار ولا خشوع[3]، فما حزنه وهو نبي الله وابن أنبيائه والجنة مأواه وهو ينظر إليكم في مثل عددكم وقوّتكم؟ فلَعلَّ حُزنه إنما هو من قبل سفهكم وجهلكم وكذبكم وكيدكم ومكركم!.

قالوا: أيها الملك لسنا بسُفهاء ولا جُهّال ولا أتاه الحزن من قبلنا، ولكن كان له إبنٌ كان أصغرنا سنّاً يُقال له يوسف، فخرج معنا إلى الصيد فأكله الذئب، فلم يزل أبونا كئيبا حزينا[4] باكيا.

فقال لهم يوسف: كم أنتم هٰهنا؟.

فقالوا: عشرة.

قال يوسف: كلكم من أب وأم؟[5].

قالوا: أبونا واحد وأُمهاتنا شتى[6].

قال يوسف: فكم أخ غيركم؟.

قالوا: لنا أخ من أبينا لا مِن أُمّنا[7].

قال يوسف: فأين الآخر الحادي عشر؟.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٦ عن تفسير القمي: ٣٢٣.
(٢) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٤٩.
(٥) تواريخ الأنبياء: ١٤٠.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٠.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٦، ح: ٢٣ عن تفسير القمي: ٣٢٣.

Éléments sous droits d'auteur

قالوا: عند أبيه، حبَسَه ليأنسَ به[1] ويستريح إليه.

قال يوسف: فما حملَ أباكم على أنْ سرّحكم كلكم وحبس منكم واحداً يأنس به ويستريح إليه؟.

قالوا: حبس منا واحدا وهو أصغرنا سنّاً[2] وهو أخو الذي هلكَ، فأبونا يتسلى به[3].

قال يوسف: ولِمَ اختاره لنفسه دونكم؟.

قالوا: لأنه أحبُّ أولاده إليه بعد يوسف[4].

قال يوسف: فمَن يشهد لكم أنَّ الذي تقولونه حق وأنكم لستم بعيون؟.

قالوا: أيها الملك نحن من بلاد بعيدة لا يعرفنا هنا أحد.

قال يوسف: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين[5] وأنا أرضى بذلك.

قالوا: أبونا يحزن على فراقه، وسنراوده عنه.

(إبقاء شمعون في مصر كرهينة)

قال: فدَعُوا عندي رهينة حتى تأتوني به[6] فإني أحبس منكم واحدا يكون عندي، وارجعوا الى أبيكم واقرِئوهُ منّي السلام وقولوا له: يرسل إليّ بابنه الذي زعمتم أنه حبسه عنده ليخبرني عن حُزنه ما الذي أحزنه؟ وعن سرعة الشيب الذي ابتدرَ إليه قبل أوان مشيبه، وعن بكائه وذهاب بصره.

---

(١) تواريخ الأنبياء: ١٤١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٠.

(٣) تواريخ الأنبياء: ١٤١.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٠.

(٥) إشارة الى الآية ٥٩ من سورة يوسف، تواريخ الأنبياء: ١٤١.

(٦) تواريخ الأنبياء: ١٤١.

Éléments sous droits d'auteur

فلما قال هذا، اقترعوا بينهم، فخرجت القرعة على شمعون، فأمر به فحُبس[1].

فسألوه حملا آخر لأخيهم بنيامين، فأعطاهم، وشرطَ عليهم أنْ يأتوا به، وبذلَ لهم كل ما يحتاجون إليه من الزاد ومؤونة السفر، وقال لهم: إنْ لم تأتوني بأخيكم فلا غِلّة لكم عندي بعد اليوم ولا تدخلوا بلادي ثانية[2].

فقالوا له: سَنُراود أباه وإنا لفاعلون[3].

ثم أمر يوسف غلمانه بأنْ يضعوا بضاعتهم -التي أتوا بها من بلادهم لتكون ثمنا- في رحالهم[4] سراً، توسماً وتفضُّلاً منه عليهم، وخوفا من أنْ لا يكون عند أبيه ما يرجعون به[5] وحثّاً لهم على الرجوع إليه[6] لإرجاع ثمنها.

فلما ودّعوا شمعون قال لهم: يا إخوتاه انظروا ماذا وقعتُ فيه، فاقرِئوا والدي عنّي السلام، فودّعوه، وساروا[7] إلى فلسطين.

(رجوع أولاد يعقوب الى فلسطين)

وعندما دخلوا على أبيهم يعقوب وسلّموا عليه سلاما ضعيفا.

فقال لهم: يا بنيّ ما لكم تسلمون سلاما ضعيفا؟ وما لي لا أسمع فيكم صوت خليلي شمعون - حيث كان أحسنهم رأيا-.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٠.
(٢) إشارة الى الآية ٦٠ من سورة يوسف، تواريخ الأنبياء: ١٤١.
(٣) إشارة الى الآية ٦١ من سورة يوسف، تواريخ الأنبياء: ١٤١.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٦، ح: ٢٣ عن تفسير القمي: ٣٢٣.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٧، ذيل ح: ٨ عن تفسير البيضاوي.
(٦) إشارة الى الآية ٦٢ من سورة يوسف، تواريخ الأنبياء: ١٤١.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٧، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٠.

Éléments sous droits d'auteur

قالوا: يا أبانا جئناك من عند أعظم الناس مُلكاً، مَلِكٌ لم يرَ الناس مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينة ووقارا، ولئن كان لك شبيه فانه لَشَبيهكَ، ولكنا أهل بيت خُلقنا للبلاء، فإنّه شكّ فينا وتخوّف مِنّا التجسس، واتهَمَنا، وزعم أنّه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بنيامين برسالة منك[1].

(حوار يعقوب وأولاده)

قال يعقوب: ولِمَ أخبرتموه بذلك؟.

فقالوا له: إنه أخذنا وقال: إنكم جواسيس، حيث كلّمناه بالعبرانية، فلما سمع يعقوب مقالتهم ازداد كرباً وحُزناً على ما لاقَوهُ من الشك والتهمة وحبس ابنه شمعون كرهينة لإرسال بنيامين[2]، فظن يعقوب أن ذلك مكرٌ منهم.

فقال لهم: يا بنيَّ بئس العادة عادتكم، كلما خرجتم في وجهٍ نقصَ منكم واحد، لا أرسله معكم[3].

فأخذوا يُصرّون عليه ويقولون له: يا أبانا مُنع الكيل مِنّا إن لم ترسله معنا، وإنا سوف نحافظ عليه[4].

قال: هل آمنكم عليه إلا مثلما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل، فالله سبحانه آمل أن يكون خيرَ حافظ له، وأرجوه أن يرحمني بِرَدّه إليَّ فهو أرحم الراحمين[5].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٧، ذيل ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٠.
(٢) تواريخ الأنبياء: ١٤٢.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٨، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥١.
(٤) إشارة الى الآية ٦٣ من سورة يوسف.
(٥) إشارة الى الآية ٦٤ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

فعندها قال الله سبحانه وتعالى: وعزّتي وجلالي لأرُدَنَّ عليك كليهما بعدما توكلتَ عليَّ[1].

(الميرة بين يدي يعقوب)

ثم قال لهم: يا بَنيَّ قدّموا أحمالكم لأدعو لكم فيها بالبركة، ولما أتوا بها إليه وفتحوا متاعهم[2] وجدوا بضاعتهم التي جعلوها ثمناً للطعام قد رُدّت إليهم بغير علمٍ منهم، فقالوا لأبيهم فرحين: يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته[3]، وما رأى الناس مثل هذا الملك أشد اتقاءً للإثم منه، ردّ علينا بضاعتنا مخافة الإثم[4]، فأرسل معنا بنيامين لنمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كَيل بعير، ذلك عليه كَيلٌ يسير[5].

فعندها استجاب يعقوب لطلبهم، حيث تأكد عنده صدق مقالتهم.

وقال: لقد علمتم أنَّ بنيامين أحبُّ إليّ بعد أخيكم يوسف، وبه أُنسي، وإليه سُكوني من بين جماعتكم، فلن أرسله حتى تؤتونِي مَوثقاً من الله لَتأتُنَّني به إلا أن يُحاط بكم.

فَضَمِنَهُ يهوذا[6].

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٠.
(٢) تواريخ الأنبياء: ١٤٢.
(٣) عرائس المجالس: ١٣٠.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٨، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥١.
(٥) إشارة الى الآية ٦٥ من سورة يوسف.
(٦) إشارة الى الآية ٦٦ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/٢٥٨، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٠.

Éléments sous droits d'auteur

وقد طلب منهم أنْ يحلفوا بحق محمد خاتم النبيين ﷺ بأنْ لا يغدروا بأخيهم، ففعلوا ذلك.

فقال يعقوب: الله على ما نقول وكيل[1].

(توجه أولاد يعقوب إلى مصر ثانية)

وعندما احتاجوا إلى الميرة[2] تجهزوا بعد ستة أشهر[3] للمسير الى مصر، ورأى كثرة عددهم مع ما عليهم من الحُسن والجمال والرشاقة خاف عليهم يعقوب من الحسد والسعاية لدى الملك، فأمرهم بأن يتفرقوا حين دخولهم مصر، وأن تدخل كل جماعة منهم من أحد الأبواب الأربعة للمدينة[4]، ثم قال: وإنَّ هذا لا يغني عنكم إذا أراد الله شيئا[5]، وكانت السنة ألفين وثماني وليوسف خمس وخمسون سنة، فعندما دخلوا مصر طبّقوا أوامر أبيهم كي يُخففوا من قلقه عليهم، فتفرقوا عند دخول المدينة[6]، وكان بنيامين في طريقهم إلى مصر لم يؤاكلهم ولم يجالسهم ولم يتكلم معهم كعادته، حيث عاهد ربّه أنْ لا يجالسهم بعدما غدروا بأخيه يوسف[7].

(لقاء أولاد يعقوب بيوسف للمرة الثانية)

ثم إنهم اجتمعوا ثانية بعد دخول المدينة وانطلقوا إلى قصر الملك مجتمعين، فأُذن لهم بالدخول، فدخلوا ويوسف جالس متوّجٌ على سرير الملك، فقال لهم: مَن أنتم؟.

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/٣٠٦، ح: ١١٤ عن تفسير العياشي.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٨٧، ح: ٧١ عن قصص الأنبياء.

(٤) تواريخ الأنبياء: ١٤٢.

(٥) إشارة الى الآية ٦٧ من سورة يوسف.

(٦) تواريخ الأنبياء: ١٤٢.

(٧) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.

Éléments sous droits d'auteur

قالوا: نحن الكنعانيون الذين أمرتنا أن نأتي بأخينا من أبينا، فامتثلنا أمرك وأتينا به.

قال: أحسنتم وأصبتم، وستُحمدون على ذلك عندي[1]، وستجدون جزاءكم، فأجلسهم على بساطٍ وأكرمهم، وكان بنيامين قد جلس بعيداً عن إخوته[2].

(رسالة يعقوب الأولى إلى يوسف)

ثم قال لهم يوسف: هل بلّغتم رسالتي؟.

قالوا: نعم، وقد جئناك بجوابها مع هذا الغلام، فاسأله عمّا بَدا لك.

ثم وجّه يوسف كلامه نحوه وقال: بما أرسلك أبوك إليّ يا غلام؟.

قال: أرسلني إليك يقرئك السلام ويقول: إنك أرسلت إليّ تسألني عن حُزني وعن سرعة الشيب إليّ قبل أوان المشيب وعن بكائي وذهاب بصري، فإن أشد الناس حزنا وخوفا أذكرهم للمعاد، وإنما أسرع الشيب إليّ قبل أوان المشيب لذكر يوم القيامة وبُكائي، وبيَّض عيني الحُزن على حبيبي يوسف، وقد بلغني حزنك لحزني واهتمامك بأمري، فكان الله لك جازيا ومثيبا، وإنك لن تصلني بشيء أنا أشد فرحا به من أن تعجل عليّ بولدي بنيامين فإنّه أحبّ أولادي إليّ بعد يوسف، فأُوْنِسَ به وحشتي وأَصِل به وحدتي، تعجّل عليّ بما أستعين به على عيالي.

فلما قال هذا خنقتْ يوسفُ العبرةُ ولم يصبر حتى قام فدخل البيت وبكى ساعة.

(حوار يوسف مع إخوته)

ثم عندما صار وقت الغداء خرج إليهم وأمر لهم بطعام، وقال: يجلس

---

(١) عرائس المجالس: ١٣١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣٨/١٢، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.

Éléments sous droits d'auteur

كل بني أم على مائدة واحدة، فجلس كل منهم مع أخيه أبا وأما على مائدة، وبقي بنيامين قائما[١] وحده[٢].

فقال له يوسف: أنت أخوهم؟.

قال: نعم.

قال يوسف: مالكَ لم تجلس معهم؟[٣].

فقال له بنيامين: ليس لي فيهم ابن أم.

فقال له يوسف: أفما كان لك ابن أم؟[٤].

فأخذ بنيامين يبكي بكاءً شديدا حتى أُغمي عليه، فأمر يوسف برشّ ماء الورد على وجهه إلى أنْ أفاق، فسأله عن سبب بكائه؟[٥].

فقال بنيامين: كان لي أخ من أبي وأمي يُقال له يوسف، فأخرجه هؤلاء من لدن أبي، ثم رجعوا ولم يردّوه، وزعموا أن الذئب أكله[٦]، وقد مضى على فقده سنونٌ متمادية، وأثّر فراقه على أبي فأضعفه وأوهنه وأعمى عينيه بكاؤه عليه، فلما أمرتَ بجلوس كل بني أم على مائدة ذكرته فتغيّر حالي لوحدتي ولافتقاده.

قال يوسف: أترضى أنْ أكون أخاك وآكل معك بدل أخيك الهالك؟.

قال بنيامين: ومَن يجد أخاً مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل.

فبكى يوسف عليه السلام وهو يقول في نفسه: «إلهي وسيدي هذا أخي أراه بهذا الحزن، فكيف يكون حال الشيخ يعقوب؟ اللهم اجمع بيني وبينه قبل

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥١.
(٢) تواريخ الأنبياء: ١٤٣.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥١.
(٥) تواريخ الأنبياء: ١٤٣.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.

Éléments sous droits d'auteur

فراق الدنيا»، فأخذ يُلاطف أخاه بنيامين[1] ويسلّيه، وأجلسه معه على السرير، وأمر بمائدة خاصة له، وبنيامين وراء ستار بينهما وبين إخوتهما، فغلب الحسد على الإخوة وتركوا الأكل غضبا وهُم يقولون: إنما نريد أمراً ويأبى الله إلا أنْ يرفع ولد راحيل علينا[2]، ولقد فضّل يوسف أولا، وهذا أخوه أجلسه الملك اليوم معه على مائدته[3]، فلما كان وقت العشاء أمر لهم يوسف بمثل ذلك[4].

وسأله يوسف: فلِمَ لا تجلس معهم؟.

قال بنيامين: لأنهم أخرجوا أخي من أبي وأمي ورجعوا ولم يردّوه، وزعموا أن الذئب أكله، فآليت على نفسي أنْ لا أجتمع معهم على أمرٍ ما دُمت حيّاً[5].

(معرفة بنيامين لأخيه يوسف)

ولما مدّ يوسف يده الى الطعام نظر بنيامين الى يده ثم اختنق بعبرته وجعل يغصّ بأكله ويُطيل النظر إلى يوسف.

فقال له يوسف: أراك تُطيل النظر إليّ؟.

قال: أيها الملك ما أشبه يدك بيد أخي يوسف؟

فعند ذلك لم يتمالك يوسف إلا أنْ يُظهر لبنيامين أنه أخوه يوسف[6]، فقام وعانقه.

فدُهش بنيامين من رؤية أخيه، فأُغمي عليه فرحاً وسروراً.

---

(١) إشارة الى الآية ٦٩ من سورة يوسف، تواريخ الأنبياء: ١٤٣.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٣٠٧، ح: ١١٥ عن تفسير العياشي.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٣٠٧، ح: ١١٦ عن تفسير العياشي.
(٤) عرائس المجالس: ١٣٦.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ١١٥ عن تفسير القمي: ٣٢٥.
(٦) إشارة الى الآية ٦٩ من سورة يوسف، تواريخ الأنبياء: ١٤٤.

Éléments sous droits d'auteur

وقال له: لا تحزن بما فعل إخوتنا[1] فيما مضى، فإن الله أحسن إلينا وجمعنا بالخير، وأمره بكتمان الأمر، ثم سأله عن حال أبيه[2]، ثم قال له: هل تزوجتَ؟.

قال بنيامين: نعم.

قال يوسف: فما بلغ من حزنك عليّ؟.

قال بنيامين: وُلد لي إثنا عشر إبناً[3] كلهم أشتقُّ له إسماً منك[4]، فسمّيت أحدهم بالذئب والآخر بالقميص والدم.

قال يوسف: كيف أخذت هذه الأسماء؟ قال: لئلا أنسى أخي، إذ كلما دعوتُ أحدهم ذكرتُ أخي[5].

قال بنيامين: أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعد أخيك؟.

قال: إنّ أبي[6] قال لي تزوج لعل الله أن يخرج منك ذرية تُثقل الأرض بالتسبيح[7] وشهادة لا إله إلا الله[8].

---

(١) إشارة الى الآية ٦٩ من سورة يوسف، تواريخ الأنبياء: ١٤٤.

(٢) تواريخ الأنبياء: ١٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٨، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥١.

(٤) قيل سمى بكل أسمائهم بالعبرية، فكان كل منهما يدل على شيء مما أُصيب به يوسف، عرائس المجالس: ١٣١، وقيل سمى أكبرهم يوسفاً كما في عرائس المجالس: ١٣٧، والثاني سمي بالذئب، والثالث بالدم، ولكن بالعبرية، فإنَّ جُلّ الأسماء بالعبرية كالتالي: ١- بالعا، ٢- أخير، ٣- أشكل، ٤- أحبا، ٥- خير، ٦- نعمان، ٧- ورد، ٨- رأس، ٩- حيثم، ١٠- دُعيم، والحاصل مجموعهم اثنا عشر ولداً.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.

(٦) تواريخ الأنبياء: ١٤٤.

(٧) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٩، ح: ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٠ وتواريخ الأنبياء: ١٤٤. وفي بحار الأنوار: ١٢/٢٦٦ ح ٣٣ عن فروع الكافي: ٢/٤٧٧ قال يعقوب لبنيامين: «إن استطعت أنْ تكون لك ذرية تُثقل الأرض بالتسبيح، فافعَلْ».

(٨) بحار الأنوار: ١٢/٣٠٧، ح: ١١٥ عن تفسير العياشي.

Éléments sous droits d'auteur

(التخطيط لإبقاء بنيامين عند يوسف)

قيل: ثم إن يوسف أمر لهم بفراش لأن يبيتوا عنده، وقال: ليبيت كل اثنين منكم على فراش واحد، فلما بقي بنيامين وحده، قال يوسف: وهذا ينام معي على فراشي، فباتَ معه، فجعل يوسف يضمّه إليه ويشمّ ريحه حتى أصبح الصباح.

وجعل روبيل يقول: ما رأينا مثل هذا.

وقال يوسف عند الصباح لإخوته: إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه، فإنْ تشاؤوا أضمّه إليّ ليكون منزله معي، وزاد في إكرامهم وإطعامهم، إذ جعل لأخيه منزلا، وأنزل بنيامين معه[١].

فعندما خلا بأخيه بنيامين، قال له: أنا لا أُفارقكَ[٢]، فقال: يوسف: وإنني أُحب أنْ تكون عندي[٣]، ولكن قد علمتَ باغتمام الوالد بي، فإذا حبسْتُكَ ازداد غمّه[٤].

قال بنيامين: ولا يدعوني إخوتي، فإن أبي قد أخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن يردّوني إليه[٥] ولكني لا أستطيع مفارقتَكَ، فاعمل جهدك.

فقال يوسف: لا يمكنني ذلك إلا بعد أن أُشهرك بأمر فظيع.

قال بنيامين: لا أُبالي، فافعل ما بَدا لك، فإني لا أُفارقك[٦].

قال يوسف: أنا سوف أحتال بحيلة فلا تنكر إذا رأيت شيئا ولا

---

(١) عرائس المجالس: ١٣١.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٠، ح: ٧١ عن العرائس للثعلبي: ٨٣.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٠، ح: ٧١ عن العرائس للثعلبي: ٨٣.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٠، ح: ٧١ عن العرائس للثعلبي: ٨٣.

Éléments sous droits d'auteur

تُخبرهُمْ[1]، ولا تبتئس بما تراني أعمل، واكْتُم ما أخبرتُك ولا تخَفْ[2]، وإني سوف أدسُّ بِصَاعِي في رَحْلِكَ ثم أُنادي عليكَ بأنك سَرَقْتَ، ليتهيّأ لي ردُّكَ بعد تسريحك معهم.

قال بنيامين: إفعل ما بَدَا لكَ[3].

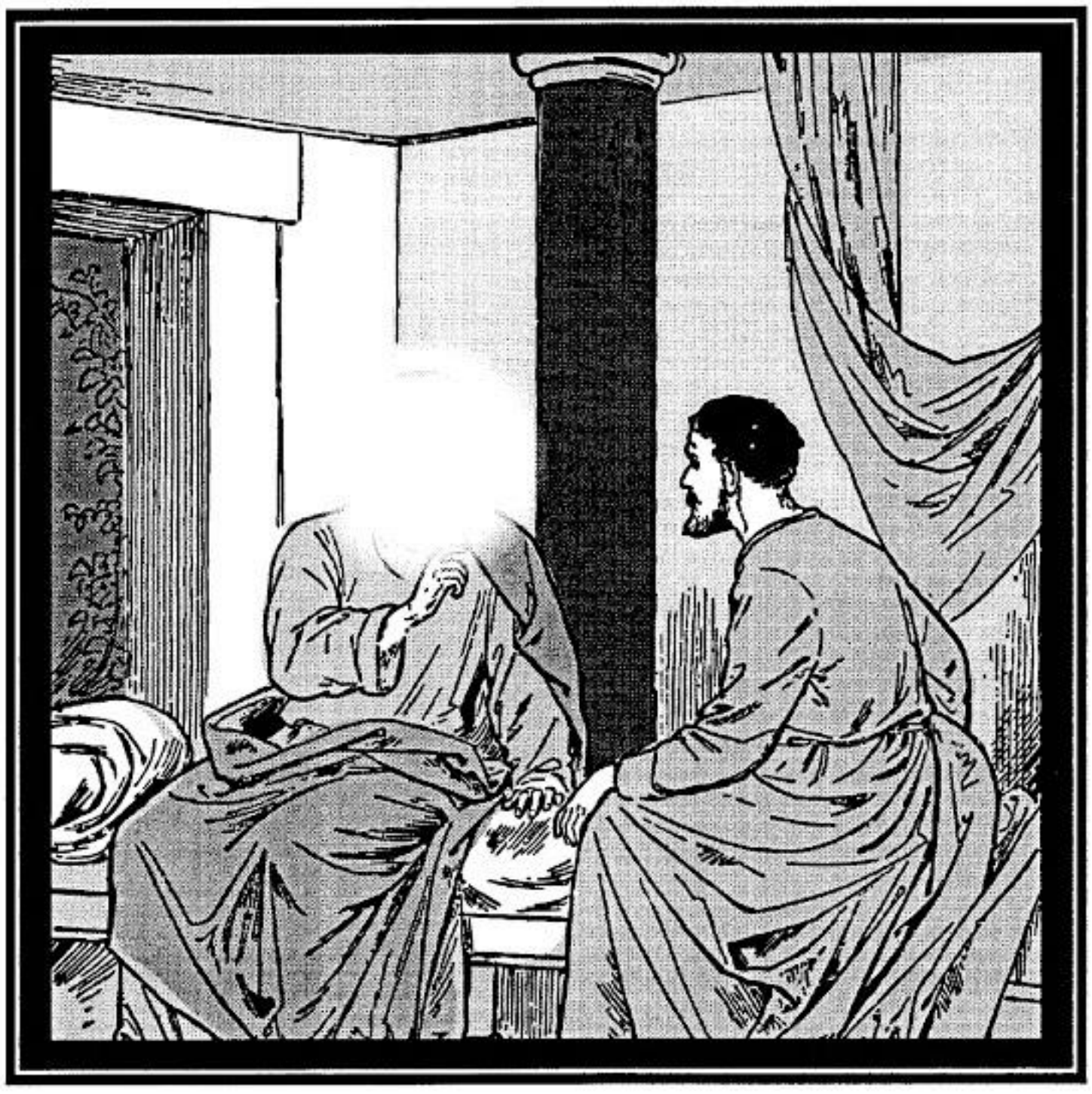

يوسف يلتقي بشقيقه بنيامين على انفراد

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٥.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٠، ح: ٧١ عن العرائس للثعلبي: ٨٣.

Éléments sous droits d'auteur

(توجيه الاتهام لإخوة يوسف بالسرقة)

ثم إنه خرجَ من عند أخيه بنيامين على إخوته وقال لهم: أتحبون سرعة العودة إلى أبيكم؟.

قالوا: نعم، فأمر بكيل الطعام وزوّد كُلاً منهم بحمل بعير، وجهّزهم جهازهم[١] وقال لبعض خواصّه: إجعلوا هذا الصاع في رحل هذا[٢] -أراد بذلك رحل بنيامين-[٣]، وكان الصاع[٤] الذي يكيلون به هي مشربة الملك، وكانت مصنوعة من الذهب[٥] مرصّعة بزمرّدة خضراء وياقوتة حمراء تبلغ قيمتها مائتي دينار من ذهب[٦] فجعلها الملك صاعاً يُكال به الطعام في السنين الشداد القحاط[٧].

(وجود الصاع في رحل بنيامين)

ثم إن إخوة يوسف انصرفوا من عنده ليتوجهوا نحو فلسطين، فافتقد فِتية يوسف السقاية التي كانوا يكيلون بها فلم يجدوها، وأخبروا يوسف بذلك، فأمر بأنْ يُلقى القبض على مَن فارقَ المكان، فلحقوا بأبناء يعقوب ومنعوهم من السير، ونادى أفراهيم منادي الملك: أيها العِير إنكم لَسارقون[٨] -قاصداً بذلك أنهم سرقوا يوسف من أبيه من قبل-[٩].

---

(١) تواريخ الأنبياء: ١٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٣٨، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٦.

(٣) إشارة الى الآية ٧٠ من سورة يوسف.

(٤) وقيل إن «صاع يوسف كان يصوت بصوت حسن: واحد وإثنان» كما في بحار الأنوار: ١٢/ ٣٢١ عن كتاب الفهرست لأبي غالب الرازي.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٤١، ذيل ح: ٩ عن مجمع البيان: ٥/٢٥٢.

(٦) تواريخ الأنبياء: ١٤٤.

(٧) بحار الأنوار: ١٢/٢٤١، ذيل ح: ٩ عن مجمع البيان: ٥/٢٥٢.

(٨) إشارة الى الآية ٧٠ من سورة يوسف.

(٩) بحار الأنوار: ١٢/٢٧٩، ح: ٣ عن علل الشرائع: ٢٩، معاني الأخبار: ٦٤.

Éléments sous droits d'auteur

فعندها انزعج أولاد يعقوب من هذه التهمة وغضبوا لذلك بعدما عرفهم الملك وأكرمهم ظناً منهم أنْ لا عِلْمَ ليوسف بذلك.

فلما قرُب منهم أفراهيم قال لهم: ألَمْ نُحسن منزلتكم ونُكرم ضيافتكم ونوفِ كيلكم؟ وفعلنا لكم ما لم نفعل لغيركم[١].

فَردّوا على فتية يوسف: بلى، وماذا تفقدون؟[٢].

قالوا: نفقد صواع الملك، فقدناه ولم نتهم به غيركم، إنّه صاع الملك الأكبر الذي يتكهن فيه، وأنّه ائتمنني عليه، فإنْ لم أجده تخوفت أنْ تسقط منزلتي عنده وأفتضح في مصر[٣].

ثم قال أفراهيم: فمَن ردّه فله حمل بعير من الطعام وأنا كفيل بإعطائه الجائزة وعدم مجازاته[٤].

فقالوا: تالله لقد علمتم أنّا ما جئنا لنُفسد في الأرض ونخون الملك، حيث كانوا عند دخولهم مصر قد شدّوا أفواه دوابّهم كيلا تتناول الحرث والزرع[٥].

وقالوا: ما كنّا من قبل سارقين كي نسرق الآن[٦] وإنا منذ قطعنا هذه الطُرق لم نرد أحداً بسوء، واسألوا عنّا مَن مَررنا به، هل أضررنا أحداً أو أفسدنا شيئا؟ وإنا قد رددنا الدراهم لمّا وجدناها في رِحالنا، فلو كنّا سارقين لما رددناها[٧].

فقال فتية يوسف: فما عقوبة السارق عندكم إن كنتم سارقين؟ قالوا:

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٢.
(٢) إشارة الى الآية ٧١ من سورة يوسف.
(٣) عرائس المجالس: ١٣٢.
(٤) إشارة الى الآية ٧٢ من سورة يوسف.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٣٩ عن مجمع البيان.
(٦) إشارة الى الآية ٧٣ من سورة يوسف.
(٧) عرائس المجالس: ١٣٢.

Éléments sous droits d'auteur

جزاؤه استرقاق مَن وُجد عنده الكيل[1]، وكان قد أوعز يوسف إلى فتيته بأن يؤخذ بقوانين بلدهم حيث إنَّ قانون مجازاة السارق عند أهل مصر كان أن يُضرب السارق ويُغرّم ضعف ما سرقْ، بينما كان قانون المجازاة هذا عند أهل فلسطين أنْ يسترق السارقُ ليصبح عبداً.

(إسترقاق بنيامين عقوبة للسرقة)

فعندها أصدرت الأوامر بالتفتيش، فقيل لهم: أنيخوا جِمالكم حتى نفتّش رِحالكم، فأناخوها، فبدأ المفتش بأمر من يوسف بتفتيش رحل الأكبر فالأصغر من إخوته[2] فلم يجدوا كيل الملك، وكان يوسف كلما كان يفتح متاعا أو ينظر فيه إلا استغفر ربّه، لقذفهم بهذه التُهمة.

فعندما أرادوا تفتيش رحل بنيامين قال يوسف: ما أظن هذا أخذ شيئا، فقال إخوته: والله ما نتركك حتى تنظر في رحله، فإنّه أطيب لنفسك ولأنفسنا[3].

(يوسف والصاع)

قيل إنَّ يوسف عندما اسْتُخْرِجَ الصاع من رحل أخيه دعا بالصاع فنقره، ثم أدناه من أذنه، ثم قال: إنَّ صاعي هذا ليخبرني أنكم اثنا عشر رجلاً وإنكم انطلقتم بأخٍ فبعتموه.

فلما سمع بنيامين ذلك قام فسجد ليوسف وقال: أيها الملك سل صواعك هذا عن أخي أحيٌّ؟.

فَنَقَرَهُ يوسف، ثم قال له: حيٌّ وسوف تراه.

فقال بنيامين: إصنع بي ما شئت فإنّه إنْ علمَ بي سوف يستنقذني.

---

(١) إشارة الى الآية ٧٤ من سورة يوسف.

(٢) إشارة الى الآية ٧٦ من سورة يوسف.

(٣) تواريخ الأنبياء: ١٤٥، عرائس المجالس: ١٣٢.

Éléments sous droits d'auteur

فدخل يوسف إلى منزله ثم إنه بكى وتوضأ.

فقال بنيامين: أيها الملك إني أُريد أنْ تقرع صواعك هذا فيخبرك بالحق مَنْ الذي سرقه فجعله في رحله.

فنقره يوسف ثم قال: إنَّ صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني، وقد رأيت مع من كنت؟[1].

(مناقشة أولاد يعقوب ليوسف حول بنيامين)

وفتشوا رحل بنيامين فوجدوا الكيل في رحله[2]، وعندما رأى إخوة بنيامين أن الكيل وُجدَ في رحله نكّسوا رؤوسهم من الحياء[3] ثم هجموا عليه مُغضبين، وأخذوا يشتمونه بالعبرانية ويقولون له: يا لَعين ما الذي صنعْتَ بنا وفضحتنا وسوّدْتَ وجوهنا، متى أخذت هذا الصاع؟ وما حملكَ على سرقة صواع الملك، ولا يزال ينالنا منك يابن راحيل البلاء كما لقينا من أخيك يوسف، فوقف بنيامين في وجوههم مُغضبا وقال: بل ما لقي ابن راحيل البلاء إلا منكم، أما يوسف فقد فعلتم به ما فعلتم، وأما أنا فنسبتموني إلى السرقة.

قالوا: فمن جعل الإناء في متاعك؟.

قال: إنْ كنتم سرقتم بضاعتكم الأولى وجعلتموها في رحالكم فأنا جعلت الصواع في رحلي، فصدّقه روبيل[4].

(تخلّف يهوذا مع بنيامين في مصر)

ثم هَمَّ بنيامين أن يعرّفهم بخبر يوسف إلا أنه تذكّر وصيته بالكتمان،

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٣.

(٢) إشارة الى الآية ٧٦ من سورة يوسف.

(٣) عرائس المجالس: ١٣٢.

(٤) تواريخ الأنبياء: ١٤٩.

Éléments sous droits d'auteur

فَسَكَتْ[1]، فأُخذ بنيامين حسب نظام بلدهم ولم يجازه الملك حسب نظام بلده، وبذلك نجحت خطة يوسف مع أخيه بنيامين، بإلهامٍ من الله سبحانه وتعالى[2].

وقال إخوة يوسف: يا أيها الملك إن يسرق بنيامين فلا عجب في ذلك فإنه قد سرقَ من قبله أخ له من أمه[3] - عَنوا بذلك سرقة الصنم من جده لأمه والمنطقة من عمّته، وقيل إنَّ يوسف عندما كان في بيت أبيه يخبىء من طعام المائدة ليعطيه للفقراء، وكلما كان يأتيه سائل على باب الدار يأخذ بيضة أو دجاجة فيعطيها له، فكانوا ينسبون إليه السرقة[4] فعندما سمع يوسف ذلك تأثر تأثرا شديدا وغضِبَ، لكنه أسرَّها في نفسه ولم يتظاهر بذلك[5] وقال لهم: أنتم يا أولاد يعقوب شرٌّ مكانا، والله أعلم بما تصفون[6] -إذ لم يشأ يصرّح بأكثر من هذا-.

ثم قال لهم يوسف: ارتحلوا عن بلادنا[7].

ثم أخذوا يتضرّعون إليه ويلتمسونه إخلاء سبيل بنيامين وإطلاق سراحه، فقالوا: يا أيها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً لا يستطيع مفارقته من شدّة حُبّه له وهو السلوة بعد فقدِ أخيه يوسف، فخُذ أحدنا مكانه واتركه لأبيه، إنّا نراك من المحسنين[8].

---

(١) تواريخ الأنبياء: ١٤٩.
(٢) إشارة الى الآية ٧٦ من سورة يوسف.
(٣) إشارة الى الآية ٧٧ من سورة يوسف.
(٤) عرائس المجالس: ١٣٣.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠، ح: ١٥ عن تفسير القمي: ٣٣٢، علل الشرائع: ٢٨، عيون الأخبار: ٢٣٢.
(٦) إشارة الى الآية ٧٧ من سورة يوسف.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/٣٠٦، ح: ١١٤ عن تفسير العياشي.
(٨) إشارة الى الآية ٧٨ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

(مناقشة يهوذا مع يوسف)

قال يوسف: معاذ الله أن نأخذ إلا مَن وجدنا متاعنا عنده وما نحن بظالمين كي نأخذ غيره[1] ونتركَ مَن وجدنا عنده متاعنا، وأخذوا يجادلون يوسف حول سجن أخيهم بنيامين إلى أن غضبوا من يوسف، وكانوا إذا غضبوا لم يتمالكوا أنفسهم، وكانت تظهر عليهم آثار الغضب والغيظ ويتنافر الشعر في أجسادهم، فاشتدَّ غضب يهوذا أكثر من الآخرين، وكان شجاعا قويا يهابه الناس، له صيحة كزئير الأسد، فقال لإخوته: إكفوني أهل مصر وأنا أكفيكم الملك، وكاد أن يبطش بيوسف.

فضرب يوسف برجله الأرض غضباً وهجمَ عليه وأخذ بتلابيبه وجذبه، فسقط يهوذا على الأرض، وقال له يوسف: أنتم معشر العبرانيين تظنون أنْ لا أحد أشدّ منكم[2] فعندها عرفوا أنْ لا خلاصَ لبنيامين ولم يفلحوا به لا بالاستعطاف ولا بالقوة، فعندها يئسوا، واجتمعوا فيما بينهم يتشاورون في ذلك - حيث قد أعطوا المواثيق بإرجاع بنيامين، وكان من قبل قد طعن بهم وقال: بئس العادة عادتكم، ترجعون إليَّ بنقص أحدكم[3] - وكان لا يمكنهم تأخير السفر والرجوع إلى فلسطين إذ إنَّ يعقوب في أشد الانتظار لهم[4].

فقال يهوذا وهو أعقلهم- أمّا أنا فلا أبرح من مكاني هذا بعدما قطعنا على أنفسنا لأبينا عهداً من إرجاع بنيامين- حيث ضَمِنَ إرجاع بنيامين بنفسه- إلى أنْ أرجع مع بنيامين أو يأذن لي أبي بمغادرة مصر أو أموت[5] فارجعوا أنتم إلى أبيكم وقولوا له: إنَّ ابنك بنيامين قد سرقَ صواع الملك

---

(١) إشارة الى الآية ٧٩ من سورة يوسف.
(٢) تواريخ الأنبياء: ١٤٦- ١٤٧.
(٣) إشارة الى الآية ٨٠ من سورة يوسف.
(٤) تواريخ الأنبياء: ١٤٧.
(٥) إشارة إلى الآية ٨٠ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

ولا نقول إلّا ما شاهدناه، وما نعلم الغيب[1] لعل بعضاً دسّ في رحله صواع الملك حسداً، وما كنّا نعلم أنه سيؤول الأمر إلى هذا، وإلا لما كنا اصطحبناه معنا، وإنْ كنت لا تصدقنا فاسأل القافلة التي كانت معنا أو اسأل أهل مصر فإنهم يعلمون ذلك، حتى تعلم صدق مقالتنا[2]، فوافقوه القول.

(وصول إخوة يوسف الى فلسطين)

ورجع الإخوة التسعة إلى فلسطين وبقي يهوذا في مصر منتظراً إطلاق سراح أخيه بنيامين[3]، فدخل يهوذا يوما على يوسف وأخذ يجادله في أمر أخيه بنيامين حتى ارتفع الكلام بينهما وغضب، وكان يهوذا إذا غضب تنافر شعر جسمه وخرجت من ثيابه واحمرّت بشرته حتى وكأنها تكاد تقطر دماً، فكان لا يسكنه شيء إلا إذا مسّه من آل يعقوب فيسكن غضبه، وكان ليوسف ابن في المجلس يلاعبه بكُرةٍ ذهبيةٍ تشبه الرمانة، فأخذ يوسف الكُرة من ابنه ودحرجها نحو يهوذا وتبعها الصبي ليأخذها فوقعت يده على يد يهوذا فسكنَ غضبه، فارتاب يهوذا ورجع الصبي بالكُرة إلى يوسف.

ثم ارتفع الكلام بينهما ثانية وغضب يهوذا أيضا واشتدّ، فأخذ يوسف الكرة ثانية من الصبي ودحرجها نحو يهوذا، وحبا الصبي نحو يهوذا فمسّ يهوذا فذهب غضبه، فازداد شكّه.

ثم اشتدّ الكلام بينهما وغضب ثالثة، فألقى يوسف بالكُرة إلى يهوذا، فابتغى الصبي الكُرة فلامست يده بَشَرَة يهوذا فزال غضبه وسكن من ثورته.

فقال عندها يهوذا: إنَّ في البيت معنا لمن وُلد يعقوب حتى صنع ذلك ثلاثاً[4].

---

(١) إشارة إلى الآية ٨٤ من سورة يوسف.

(٢) إشارة إلى الآية ٨٥ من سورة يوسف.

(٣) عرائس المجالس: ١٣٤.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٠، ح: ٩ عن تفسير القمي: ٣٢٧، أيضا بحار الأنوار: ١٢/ ٣٠٩، ح: ٢٢ عن تفسير العياشي،

Éléments sous droits d'auteur

فقال يوسف: مَن يعقوب؟.

فغضب أخوه يهوذا وقال: أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنّه اسرائيل الله ابن إسحاق -أخو- ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله.

قال يوسف: أنت إذا كنتَ صادقاً صادِقْ[1].

(إخبار يعقوب بتخلّف بنيامين ويهوذا)

ثم إنَّ أولاد يعقوب التسعة دخلوا إلى مدينة رملة بفلسطين حيث مقر الكنعانيين ومسكن يعقوب، وعندما دخلوا على أبيهم وأخبروه بالأمر الذي حدث لبنيامين ظن يعقوب بهم سوءاً وقال لهم: هب أنه سرقَ، ولكن مَن عرّف الملك بأنَّ السارق يُسْتَرَقّ في شَرْعِنا؟[2] بل سوّلت أنفسكم أمراً عظيماً، ثم أجهشَ بالبكاء وقال: يا بَنيَّ مالكم كلما خرجتم من عندي نقصَ بعضكم، فصبرٌ جميلٌ لله عسى الله أنْ يأتي بأبنائي جميعا إنّه سبحانه عليمٌ بحالي[3].

واشتدّ به الحُزن، فأعرض عن أولاده التسعة واختلى بنفسه في بيت الأحزان وأخذ يبكي بكاءً شديدا إلى أنْ افتقد بصره وانحنى ظهره[4] ولكنه مع ذلك كظمَ غيظه حتى انهارت قواه وكاد أنْ يموت.

(أسباب ابتلاء يعقوب ومناجاته)

ومضَتْ على كفاف بصره ست سنين، فجاءه رجل وقال له: ما الذي أذهب بصركَ؟.

قال: حُزني على يوسف.

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٣، ذيل ح: ١٠ عن أنوار التنزيل: ١٠/ ٢٣٥.

(٣) إشارة الى الآية ٨٣ من سورة يوسف.

(٤) إشارة الى الآية ٨٣ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

قال: فما الذي قوّس ظهركَ؟.

قال: حُزني على أخيه.

فأوحى الله إليه: «يا يعقوب أتشكوني؟ وعِزّتي وجلالي لا أكشف ما بكَ حتى تدعوني»[١].

فنزل عليه جبرائيل وقال: «يا يعقوب الله يُقرِئك السلام ويقول لك أبْشِر ليفرح قلبك، فوعزتي لو كانا ميِّتَين لنشرتهما لك ولأحييتهما حتى أجمع بينك وبينهما[٢]، أفَتَدْري لِمَ أذْهَبْتُ بصرَكَ وقوَّسْتُ ظَهْرَكَ؟ لأنكم ذبحتم شاةً وأتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا، وإن أحبّ الناس إليَّ من خلقي الأسخياء ثم المساكين[٣]، فاصنع طعاما للمساكين، فإنَّ أحبّ عبادي إليّ المساكين»، فصنع طعاما وقال: مَن كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب[٤]، وأصبح يتضرّع إلى الله أكثر من ذي قبل، واشتد بكاؤه وهو يقول: واأسفاه على يوسف.

(عتب أقارب وجيران يعقوب لكثرة البكاء)

وعندما رآه بنوه وأقاربه على تلك الحالة وهو يذكر يوسف لامُوهُ على فعلته وقالوا له: لازلت تذكر يوسف وتبكي عليه حتى أصبحت على هذا الحال من المرض والعلّة وما نراك إلا من الهالكين[٥].

هاجَ به الحُزن وأخذته العبرة وقال لهم: إنما أشكو حُزني وغمّي إلى الله وحده وإني أعلم من الله ما لا تعلمون[٦].

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٤، ح: ٢٨ عن المحاسن: ٣٩٩.

(٣) عرائس المجالس: ١٣٥.

(٤) إشارة الى الآية ٨٤ من سورة يوسف.

(٥) إشارة الى الآية ٨٥ من سورة يوسف.

(٦) إشارة الى الآية ٨٦ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

وقيل إنَّ يعقوب كَبُرَ وضَعُفَ حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة، فقال له بعض جيرانه: قد تهشّمتَ وفَنيتَ ولم تبلغ من السن ما بلغ أخوك، فما بلغَ بكَ ما أرى؟.

فقال: طول الزمان وكثرة الأحزان، فأوحى الله تعالى إليه: «أتشكوني إلى خلقي؟».

فقال: «يا ربِّ خطيئة أخطأتها فاغفرها».

قال: «قد غفرتُ لكَ»[1].

(ملك الموت ويعقوب)

ثم إنه دعا ربه في السَّحَر أن يهبط عليه ملك الموت، فهبط عليه ملك الموت بأطيب رائحة وأحسن صورة، فقال له: السلام عليك أيها الكظيم، فاقشعرَّ جلده وارتعدت فرائصه.

وردّ عليه السلام، ثم قال له: «مَن أنتَ، ومَن أدخلك هذا البيت وقد أغلقتُ على نفسي بابِي كي لا يدخل عليَّ أحد، وأشكو بثّي وحُزني إلى الله.

فقال له: يا نبي الله أنا الذي أُيتّم الأولاد، وأُرمّل الأزواج، وأُفرّق بين الجماعات.

قال: فأنت إذن ملك الموت»[2].

قال: نعم أنا ملك الموت، أليس سألت الله أنْ ينزلني عليك؟.

قال: نعم، قال: ما حاجتكَ يا يعقوب؟.

قال له: يا ملك الموت أُنشدك الله إلا أخبرتني هل تقبض روحَ مَن تأكله السباع؟.

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٥.

(٢) عرائس المجالس: ١٣٦.

Éléments sous droits d'auteur

قال: نعم.

قال: أخبرني عن الأرواح تقبض جملة واحدة أو تفاريقا.

قال: تقبضها أعواني متفرقة روحا روحا[1] وتُعرض عليّ مجتمعة.

قال يعقوب: فأسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هل عُرض عليك في الأرواح روح يوسف؟.

فقال: لا.

فقال له: «فجئتني زائراً أم داعياً؟.

فقال: يا نبي الله ما جئتك إلا مُسلّماً فإنَّ الله تعالى لا يُميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف، ولو كان في الصخرة التي عليها قرار الأرضين، وما أذِنَ الله في زيارتك إلا لأُبشِّرَكَ وأُجيبك عما تسألني عنه، وإنْ شئتَ أعلمتك لماذا ابتُليت بفقد ولدك، قال له: أعلِمني يا عزرائيل.

فقال: يا إسرائيل، هل تتذكر الجارية التي اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرّقت بينها وبين أبويها؟.

قال: نعم يا ملك الموت كأنه كان بالأمس.

فقال له ملك الموت: فلأجل ذلك ابتُليت بفقد الولد، وهل تعلم لماذا ابتُليت بفقد البصر؟.

قال: لا.

قال: أمرتَ يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها في يوم كذا في شهر كذا، فمرّ تميم العابد الصالح بك وهو صائم ما أفطر منذ أُسبوع فاشتمَّ قُتار الشوي فلم تطعمه شيئاً».

فعند ذاك أعتق يعقوب مَن كان بحضرته من العبيد والإماء، وأمر أن

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٧٨، ح: ٥٠ عن علل الشرائع: ٢٩.

Éléments sous droits d'auteur

يُذبح كل يوم من أغنامِه كبشان ويفرّق لحمهما على الفقراء والمساكين، فقبل الله ذلك منه وشكَرَهُ عليه[1]، فازداد يعقوب شوقا إلى يوسف، فأكثرَ من التضرّع لله، وما ساء ظنّه بالله ساعة طول مدة بلائه[2].

(رسول يوسف إلى يعقوب)

وفي سنة ألفين وثلاث ويوسف قد بلغ ستين سنة، وقد مضى على اطلاق سراحه عشرون سنة[3] كان قد أتاه أعرابي ليشتري منه الطعام، فباعه، فلما فرغ، قال له يوسف: أين منزلك؟.

قال له بموضع كذا وكذا.

فقال له: إذا مررت بوادي كنعان في محل كذا وكذا فقف ونادِ يا يعقوب، فانه سيخرج اليك رجل شيخ عظيم جميل وسيم، فقل له: لقيتُ رجلا بمصر وهو يُقرِئك السلام ويقول لك إن وديعتك عند الله عزّ وجلّ لن تضيع.

فمضى الأعرابي حتى انتهى إلى الموضع، فقال لغلمانه: احفظوا عليّ الإبل، ثم نادى: يا يعقوب يا يعقوب، فخرج إليه رجل أعمى طويل جسيم جميل يتّقي الحائط بيده حتى أقبل، فقال له الرجل: أنت يعقوب؟.

قال: نعم.

فأبلغَهُ الأعرابي مَقالة يوسف، فسقط يعقوب مغشياً عليه ثم أفاق.

وقال يعقوب: أَلَكَ حاجة إلى الله تعالى؟.

قال الأعرابي: نعم، إني رجل كثير المال ولي ابنة عم وهي زوجتي لم

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٦.

(٢) كما عن قتادة في عرائس المجالس: ١٣٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٧٧، ح: ٥٠ عن علل الشرائع: ٢٩، وجاء في البحار أنَّ عُمر يوسف كان عشرين سنة، ولعله تصحيف وربما اراد اطلاق سراحه.

Éléments sous droits d'auteur

يولد لي منها وأُحب أن تدعو الله أن يرزقني ولداً، فتطهّر يعقوب وصلى لله ركعات ثم دعا الله عزّ وجلّ، فرزقه ستة بطون في كل بطن إثنان[1].

الأعرابي رسول يوسف إلى أبيه

(إجتماع يعقوب بأولاده وقراره برجوعهم إلى مصر)

ثم إنَّ يعقوب جمع أولاده التسعة وأمرهم بالرجوع إلى مصر حيث

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٥، ح: ٦٩ عن إكمال الدين: ٨٤.

Éléments sous droits d'auteur

احتاجوا حاجة شديدة وفنيت مِيَرُهُم[١] إذ مضى من سفرتهم الماضية ستة أشهر، وقال لهم: تفحصوا[٢] عن أمر يوسف وبنيامين ولا تيأسوا من ذلك[٣]، وجهّزهم بالصوف والسمن والصنوبر والحبّة الخضراء والأقط وسويق المقل[٤] ليهدوها الى الملك، ودفع إليهم بعض ما كان لديه من الدراهم الرديئة لتكون ثمنا للطعام الذي يريدون أنْ يَمتاروه[٥] وكتبَ الى ملك مصر كتابا جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الرحمن صاحب نمرود الى عزيز مصر ومُظهر العدل ومُوفي الكَيل[٦]:

(رسالة يعقوب الثانية إلى يوسف)

أما بعد: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو[٧] فأُخبرك أيها العزيز إنّا أهل بيت قديم لم يزل البلاء سريعا إلينا من الله ليبلوَنا بذلك عند السرّاء والضرّاء[٨]، أما جدّي إبراهيم فإنّه ابتُلي بنار نمرود فشُدّت يداه ورِجلاه[٩] فأُلقيَ فيها في طاعة ربّه[١٠] وصبرَ فجعلها

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٢، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٥، ح: ١٣٢ عن تفسير العياشي.
(٣) إشارة الى الآية ٨٧ من سورة يوسف.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٥، ذيل ح: ١٣١ عن أنوار التنزيل: ١/ ٢٣٦.
(٥) تواريخ الأنبياء: ١٤٩.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٢، ح: ١٣٩.
(٧) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٩، ح: ٤٢ عن أمالي الطوسي: ٢٩٢.
(٨) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٣، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي، والظاهر أنه أراد من أبي اسحاق كنية النبي إبراهيم عليه السلام لا أنه أراد ذبح إسحاق بل أراد ذبح إسماعيل، والمراد بأبي هو عمي حيث يطلق الأب على العم، وذلك تطبيقاً مع ما ورد في كتاب الله.
(٩) عرائس المجالس: ١٣٧.
(١٠) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٩، ح: ٤٢ عن أمالي الطوسي: ٢٩٢.

Éléments sous droits d'auteur

الله عزّ وجلّ عليه بردا وسلاما[1] ثم ابتلى - إبراهيم - أبي إسحاق بالذبح[2] فأمر الله جدي - إبراهيم - أن يذبح أبي - إسماعيل -، فشُدت يداه ورجلاه ووُضع السكين على قفاه ليُذبح[3] ففداه الله بما فدا به[4] وأما أنا فإن المصائب تتابعت عليَّ أولها أنه كان لي ابن من أعزّ الناس عليَّ[5] وقد سمّيته يوسف، وكان سروري من بين وُلدي وقرّة عيني وثمرة فؤادي، وإنَّ إخوته من غير أُمِّه سألوني أنْ أبعثه معهم يرتع ويلعب، فبعثته معهم بكرة وأنهم جاؤوني عشاءً يبكون وجاؤوني على قميصه بدمٍ كذب، فزعموا أنَّ الذئب أكله، فاشتد لفقده حُزني وكثر على فراقه بكائي حتى ابيضّت عيناي من الحُزن، وأنّه كان له أخ وكنت به معجباً وعليه رفيقا، وكان لي أنيسا، وكنت إذا ذكرتُ يوسف ضممته إلى صدري فيسكن بعض ما أجد في صدري، وأن إخوته ذكروا لي إنك أيها العزيز سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به وإنْ لم يأتوك به منعتهم من الميرة لنا من القمح، فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً، فرجعوا إليّ فليس هو معهم، وذكروا أنه سرقَ مكيال الملك[6] وإني أُشهدك نحن أهل بيت لم نسرق قط[7] ولا نعرف بالسرق ولا نلد سارقا[8] وقد حبسته وفجَعْتني به، وقد اشتد لفراقه حُزني

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٩، ح: ٤٢ عن أمالي الطوسي: ٢٩٢.

(٢) وإنما قال تفحصوا من أمر يوسف لأن يوسف لم يُعرف عند الناس بهذا الاسم حيث إن الملك عندما قرّبه من عنده وأعطاه الخزانة بعدما أفرج عنه من السجن سمّاه صفنات فعنيح. قصص الأنبياء للنجار: ١٣١.

(٣) عرائس المجالس: ١٣٧.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٩، ح: ٤٢ عن أمالي الطوسي: ٢٩٢.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/٣١٣، ح: ١٢٩. وفيه منذ عشرين سنة ولعله تصحيف على القول بانه فراقه كان عشرين سنة.

(٦) بحار الأنوار: ١٢/٣١٣، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.

(٧) بحار الأنوار: ١٢/٣١٥، ح: ١٣٢ عن تفسير العياشي.

(٨) بحار الأنوار: ١٢/٣٦٩، ح: ٤٢ عن أمالي الطوسي: ٢٩١.

Éléments sous droits d'auteur

حتى تقوّس لذلك ظَهري وعظُمت به مصيبتي مع مصائب تتابعت عليَّ، فمُنَّ عليَّ بتخلية سبيله وإطلاقه من حبسك[١] فإن رأيت أن تَمُنَّ عليَّ به فعلت، وإلا دَعَوتُ عليك دعوة تدرك السابع مِن وُلدك[٢] وطيّب لنا القمح واسمح لنا في السعر والكيل، وعجّل سراح آل يعقوب[٣] والسلام[٤].

(توصية يعقوب لأولاده حين توجههم إلى مصر)

ودفعها لأولاده وأوصاهم أنْ يبدأوا بدفع الكتاب إليه أولا قبل البضاعة[٥] كما أوصاهم أنْ يسألوا عن اسم الملك ودِينه، وقال لهم: قد أُلقي في روعي أنَّ الذي حبس بنيامين هو يوسف، وإنما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالا لحبس أخيه لديه، ولكن أبناءه لم يُعيروا اهتماما لظن أبيهم، وجعلوا ينسبون إليه السّفه والهجر لكبر عمره وهرمه[٦].

(معاتبة جبرائيل ليعقوب)

وتوجه أبناء يعقوب نحو مصر فنزل جبرائيل على يعقوب وأوحى إليه وقال: «يا يعقوب إنّ ربك يقول لك: مَن ابتلاك بمصائبك التي كتبت بها الى عزيز مصر؟.

قال يعقوب: أنتَ بَلَوْتَني بها عقوبة منك وأدباً لي.

قال الله: فهل كان يقدر على صرفها عنك غيري؟.

قال يعقوب: اللهم لا.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٣١٣، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.
(٢) تواريخ الأنبياء: ١٤٩ وعرائس المجالس: ١٣٧.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٣١٣، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.
(٤) تواريخ الأنبياء: ١٤٩.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/٣١٢، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.
(٦) تواريخ الأنبياء: ١٤٩.

Éléments sous droits d'auteur

قال: أفما استحييت منّي حين شكوتَ مصائبك الى غيري ولم تستغث بي وتشكو ما بك إليّ؟.

فقال يعقوب: أستغفرك يا إلهي وأتوب إليك، وأشكو بثّي وحزني إليك.

فقال الله تبارك وتعالى: قد بلغت بك يا يعقوب وبولدك الخاطئين الغاية في أدبي، ولو كنت يا يعقوب شكوتَ مصائبك إليّ عند نزولها بك واستغفرتَ وتُبْتَ إليّ من ذنبك لصرفتها عنك بعد تقديري إياها عليك، ولكن الشيطان أنساك ذِكري فصرت إلى القنوط من رحمتي، وأنا الله الجواد الكريم، أُحب عبادي المستغفرين التائبين الراغبين إليّ فيما عندي، يا يعقوب أنا رادّ إليك يوسف وأخاه، ومُعيد إليك ما ذهب من مالك ولحمك ودمك ورادّ إليك بصرك وَنُقُوَّمُ لك ظهرك، فَطِب نفساً وقرّ عيناً، وإنَّ الذي فعلته بك كان أدبا منّي لك، فاقبل أدبي[1].

(رسالة يوسف الثانية إلى يعقوب ورسوله)

وكان يوسف - ملك مصر - قد أرسل برسالة إلى يعقوب يقول فيها: أما بعد، فهذا ابنك فقد اشتريته بثمن بخس دراهم وهو يوسف واتخذته عبدا وهذا ابنك بنيامين قد سرق وأخذته فقد وجدت متاعي عنده واتخذته عبدا[2].

وأرسله مع رسوله إلى يعقوب، فلما ورد الكتاب على يعقوب قرأه فصعب عليه ذلك، وقال للرسول: مكانك حتى أُجيبه[3] فكتب:

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٣١٣، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٤٤، ح: ١١ عن تفسير القمي: ٣٢٧، أيضا بحار الأنوار: ١٢/٣١٦، ح: ١٣٨ عن تفسير العياشي.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/٣١٦، ح: ١٣٨ عن تفسير العياشي.

Éléments sous droits d'auteur

(جواب يعقوب ليوسف وإرساله مع الرسول)

«بسم الله الرحمن الرحيم: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله. أما بعد: فقد فهمت كتابك تذكر فيه أنك اشتريت ابني[1] بثمنٍ بخس واتخذته عبدا، وإنك اتخذت ابني بنيامين وقد سرقَ فاتخذته عبداً، فإنا أهل بيت لا نسرق، وإنا أهل بيت نُبتلى[2] فإنَّ البلاء موكّل ببني آدم، إنّ جدّي إبراهيم ألقاه نمرود ملك الدنيا في النار فوقاه الله فلم يحترق وجعلها الله عليه بردا وسلاما، وإنَّ - أخ - أبي إسحاق أمر الله جدي أنْ يذبحه بيده، فلما أراد أنْ يذبحه[3] فوقاه الله[4] إذ فداه بكبش عظيم، وإنّه كان لي ولد لم يكن في الدنيا أحد أحب إليّ وزعموا أن الذئب أكله، فاحدودب لذلك ظهري وذهب من كثرة البكاء عليه بصري، وكان له أخ من أُمه كنت آنس به فخرج مع إخوته إلى ما قبلك ليمتاروا لنا طعاما، فرجعوا إليّ وذكروا أنّه سرقَ صواع الملك وقد حبستَهُ، وإنّا أهل بيت لا يليق بنا السرق ولا الفاحشة، وأنا أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا مننت عليّ به وتقرّبت الى الله ورددته إليّ»[5]، وأرسله مع الرسول.

(الرسالة الثالثة من يوسف إلى يعقوب)

فلما وصل الكتاب وقرأه يوسف بكى[6] وكتب في جوابه: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبد الله يعقوب من عزيز مصر، أما بعد أيها الشيخ فقد بلغني كتابك وقرأته وأحطت علما بما ذكرت فيه عن آبائك الصالحين

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٤، ح: ١١ عن تفسير القمي.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٦، ح: ١٣٨ عن تفسير العياشي.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٤، ح: ١١ عن تفسير القمي.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٦، ح: ١٣٨ عن تفسير العياشي.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٥، ح: ١١ عن تفسير القمي: ٣٢٨.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٩، ح: ٤٣ عن مهج الدعوات للراوندي.

Éléments sous droits d'auteur

وذكرت أنهم أصحاب البلايا وأنهم ابتلوا وصبروا وظفروا، فاصبر كما صبروا تظفر بما ظفروا، والسلام[1].

فلما انتهى الكتاب إلى يعقوب، قال: والله ما هذا بكلام الملوك والفراعنة بل هو كلام الأنبياء وأولاد الأنبياء[2] ولعل صاحب الكتاب هو يوسف.

(وصول أولاد يعقوب إلى مصر للمرة الثالثة)

ووصل أولاد يعقوب الى مصر واجتمعوا بأخيهم يهوذا وأخبروه بفعل أبيهم وكتابه وهداياه الى الملك وأمرهم أن يتفقّدوا يوسف وأنه يظن أن الذي حبس بنيامين هو يوسف، ولذلك أمرهم بأن يسألوا عن اسم الملك ودِينه ويحققوا عنه، فعندها أطلعهم يهوذا على ما جرى بينه وبين الملك وارتيابه بوجود يوسف في بيت الملك، فذهبوا بأجمعهم الى قصر الملك والشك ملأ قلبهم أن يحظوا بيوسف.

(استمالة الإخوة ليوسف لإطلاق سراح بنيامين)

وعندما وصلوا إلى قصر الملك استأذنوه ودخلوا على يوسف وخضعوا له غاية الخضوع وجعلوا يتوسلون به في قبول هديتهم القليلة والتعويض عليهم بالميرة من جديد رغم الدراهم الرديئة التي جاؤوا بها ثمنا، ثم المَنّ عليهم بإطلاق سراح بنيامين، وذكروا له حال أبيهم وما ضربهم من الفقر والضر[3]، فاغرورقَت عَيْنَا يوسف بالدمع لكثرة تضرعهم وما سمعه من أخبارهم وحال أبيه، فسلّموه رسالة أبيهم وقالوا له: هذا كتاب أبينا يعقوب أرسله إليك في أمره وهو يسألك أنْ تَمُنَّ به عليه[4].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٩، ح: ٤٣ عن مهج الدعوات للراوندي.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٩، ح: ٤٣ عن مهج الدعوات للراوندي.
(٣) إشارة الى الآية ٨٨ من سورة يوسف.
(٤) هامش بحار الأنوار: ١٢/٣١٢، بنقل المجلسي عن الطبرسي.

Éléments sous droits d'auteur

(يوسف يقرأ كتاب أبيه بحضور إخوته)

فلما فتحه وقرأه ارتعدت فرائصه واقشعرَّ جلده وَعيلَ صبره وسالتْ دموعه على قميصه[١] وصاح صيحة فقام ودخل منزله، فقرأ الكتاب ثانية وبكى وغسل وجهه ثم خرج الى إخوته وأخذ بالكتاب ووضعه على وجهه وبصره وقلبه[٢]، ثم قرأه وبكى بكاءً مُراً حتى بلّت دموعه القميص الذي كان عليه، وصاح صيحة ودخل منزله وغسل وجهه ثانية[٣] وخرج الى إخوته وجعل ينظر إليهم ويقول: لا صبرَ على ضُرّ يعقوب.

ثم قال لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه[٤] إذ أنتم جاهلون[٥]، وقيل إنه حكى لهم تلميحا قصته عن لسان مالك بن ذعر إلى أنْ وصل الى قوله فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما.

فقالوا له: أيها الملك بعنا هذا الغلام.

فاغتاظ يوسف من ذلك، ولمَّح لهم مُهدّداً على فعلتهم.

فولّى يهوذا وهو يقول: كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحدٍ منّا حتى كفَّ بصره، فكيف إذا أتاه خبر فقد بنيه كلهم؟.

ثم إنهم قالوا له: إنْ فعلْتَ بنا ذلك فابعث بأمتعتنا إلى أبينا فإنّه بمكان كذا وكذا، فأظهرَ لهم العفو[٦].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٤، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٥، ح: ١١ عن تفسير القمي: ٣٢٨.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٥، ح: ١٣٢ عن تفسير العياشي.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢١٤، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٣٠٤، ح: ١٣٠ عن تفسير العياشي، إشارة الى الآية ٨٩ من سورة يوسف.
(٦) عرائس المجالس: ١٣٧.

Éléments sous droits d'auteur

(إخوة يوسف يتعرفون إلى أخيهم)

ثم ألقى التاج من على رأسه وتبسّم لهم، فلما أبصروا ثناياه والتاج مُلقى من على رأسه[1] وقد بانت الشامة التي كانت في فرقه وكانت مثلها عند أبيه وإخوته[2] وكلمهم بلُغتهم[3].

فوجئوا بمعرفته ودُهشوا من أمره وقالوا له: أئنك لأنت يوسف؟.

قال: نعم أنا أخوكم يوسف وهذا أخي بنيامين، وقد مَنَّ الله علينا بالعزّ والاجتماع بعد هذا الفراق المرير، إنه مَن يتّق الله ويصبر فإنَّ الله لا يُضيع أجْرَ المُحسنين[4].

(خجل الإخوة وملاطفة يوسف لهم)

واستغربوا أمر يوسف فنكّسوا بطرفهم نحو الأرض خجلا من صنيعهم واستعظاماً لما على أخيهم يوسف من نُبل وكرم وعظمة، واعتذروا منه وقالوا: تالله لقد آثركَ الله علينا وإن كُنّا لخاطئين[5] فلا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم، واغفر لنا.

فقال لهم يوسف: لا تثريب عليكم اليومَ، وأطلب من الله أن يغفر لكم[6] وهو أرحم الراحمين[7].

وجعل يُلاطف إخوته ولم يزل يدعوهم إلى الطعام غداةً وعشاءً حتى أصبحوا يخجلون منه ويستحون من حُسن معاملته لهم وسوء معاملتهم له من

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٥ عن المجلسي.
(٢) عرائس المجالس: ١٣٨.
(٣) قصص الأنبياء للنجار: ١٣٦.
(٤) إشارة الى الآية ٩٠ من سورة يوسف.
(٥) إشارة الى الآية ٩١ من سورة يوسف.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٤، ح: ١٢٩ عن تفسير العياشي.
(٧) إشارة الى الآية ٩٢ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

قبل، فأرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بُكرة وعشيّاً ونحن نستحي منك بتفريطنا فيك.

فأجابهم يوسف قائلا: إن أهل مصر وإن كنت ملكت فيهم فإنهم كانوا ينظرون إليّ أولاً نظرتهم إلى عبدٍ ويقولون سبحان مَنْ بَلَّغَ عبدا بيع بعشرين درهماً ما بَلَغَ، ولقد شَرُفْتُ بكم اليومَ وعَظُمْتُ في العيون إذ علم الناسُ أنكم إخوتي ولست عبدا وإنّي من حفدة إبراهيم.

(رجوع الإخوة من مصر إلى فلسطين)

ثم إنَّ يوسف أذن لإخوته بالانصراف إلى أبيهم يعقوب بعدما سألهم عن كل ما جرى لهم ولأبيهم، فرقَّ قلبه على أبيه وازداد كرباً واشتياقا إلى لقائه، فحثّهم على السفر إلى فلسطين وإخبار أبيه بوجوده بعدما أذنَ الله له بإبراز الأمر لإخوته ومن ثم لأبيه.

وأمرهم بالعودة مع أبيه وخالته لايا إلى مصر، وقال لهم: خُذوا بقميصي إلى الذي بَلَّتْهُ دموع عينيّ فألقوه على وجه أبي يرتدّ بصيرا[1] لو قد شمَّ ريحي، وآتوني بأهلكم أجمعين[2] من النساء والذراري والعبيد والإماء، وجهّزهم برواحل كثيرة قيل بلغت مائتين[3] وبكل ما يحتاجونه لحمل جميع أهاليهم وما لديهم والعودة إلى مصر[4].

(استباق يهوذا لإيصال خبر يوسف إلى أبيه)

وعندما همّوا بالرحيل قال يوسف: إنما يذهب بقميصي مَن ذهبَ به أولاً[5]، فأخذ يهوذا القميص الذي كان قد ورثه يوسف من جده إبراهيم

---

(١) إشارة الى الآية ٩٣ من سورة يوسف.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٣١٧، ح: ١٤١ عن تفسير العياشي.
(٣) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٥٠ عن مجمع البيان.
(٤) إشارة الى الآية ٩٣ من سورة يوسف.
(٥) قصص الأنبياء للجزائري: ١٩٦ عن الطبرسي.

Éléments sous droits d'auteur

ليسبق إخوته في إيصاله إلى أبيه، وقال: أنا الذي أحزنت أبي بحمل القميص الملطّخ بالدم إليه، فأُفرحه كما أحزنته.

وخرج يهوذا من مصر حافيا حاسرا رأسه ومعه سبعة أرغفة من الخبز لم يستوف أكلها وكان همّه أن يسرع وصولاً الى أبيه فكان يجدّ ليله ونهاره قاصداً فلسطين حتى وصلها خلال تسعة أيام رغم أنها كانت تبعد عن مصر ثمانين فرسخا - ٤٤٠ كيلومتراً - .

وعندما خرجت القافلة من مصر وأخذ يهوذا القميص سخّر اللهُ الريح فأوصلتْ رائحة القميص إلى مَشامِّ يعقوب - حيث كان القميص من الجنة-[١].

فقال لمن عنده: إني لأجدُ ريح يوسف لولا أنْ تكذّبون[٢].

قالوا له: تالله إنّك بعد لفي ضلالك القديم بزعمك أنَّ يوسف حيٌّ[٣].

(مُناجاة يعقوب ومناقشة جبرائيل له)

وكان يعقوب قد اشتاق الى رؤية حبيبه يوسف بعدما استأنس ببعض البراهين على وجوده، وواعده جبرائيل وفي ليلة بعدما أنْ جاءه الرسول بكتاب عزيز مصر (يوسف) وأجاب عليه، رفع يعقوب يده الى السماء وقال: «يا حسن الصحبة، يا كريم المعونة، يا خير إله[٤] ائتني بروح منك وفرج من عندك».

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٩، ح: ٥٦ عن علل الشرائع: ٢٩ والعياشي.

(٢) إشارة الى الآية ٩٤ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٢٧٩، ح: ٥٥ عن علل الشرائع: ٢٩ والعياشي.

(٣) إشارة الى الآية ٩٥ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٧ عن العياشي.

(٤) في نسخة «يا خيراً كلّه» بدلا من «يا خير إله» بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٧ عن تفسير العياشي.

Éléments sous droits d'auteur

فهبط عليه جبرائيل وقال له: يا يعقوب ألا أُعلِّمك دعوات يردّ الله عليك بها بصرك وابنيك؟[1].

فقال: بلى، قال: قُل ما قاله أبوك آدم فتاب الله عليه، وما قاله نوح فاستوت له سفينته على الجوديّ وَنُجِّيَ مِنَ الغَرَقِ، وما قاله أبوك إبراهيم خليل الرحمن حين أُلقي في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

فقال يعقوب: وما ذاك يا جبرائيل، فقال قُل: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أنْ تأتيني بيوسف وبنيامين وتردّ عليّ عينيّ[2].

ثم قُل: «يا مَن لا يعلم أحد كيف هو إلا هو وحيث هو وقدرته إلا هو، يا مَن سَدَّ السماء بالهواء وكبسَ الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، ائتني بروح منك وفرج من عندك»[3].

(إلقاء القميص على يعقوب ومعافاته)

وقد نزل عليه ملك الموت في تلك الليلة التي أُلقي القميص في صبيحتها على وجهه، فقال له: ألا أعلّمك كلمات؟.

قال: بلى.

قال: قُل: «يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك»[4] فدعا بها، فما انفجر عمود الصبح حتى أُتي بالقميص وطُرح على وجهه فردَّ الله عليه بصره[5] فحمد الله وسجدَ لربّه سجدة الشُكر ورجع إليه

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٥، ح: ١١ عن تفسير القمي: ٣٢٩.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦٠ عن تفسير القمي: ٣٢٩.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٣١٧ ح ١٣٨ عن تفسير العياشي، و ح ١٣٩ عن دعوات الراوندي.
(٤) عرائس المجالس: ١٣٩.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٤٦ ح ١١ عن تفسير القمي: ٣٢٩.

Éléments sous droits d'auteur

بصره وتقوّمَ له ظهره[1] وقال لِمَنْ حوله ممَّن كذّبوه قبل قليل وفنّدوا رأيه، ألم أقل لكم إنّي أعلم من الله ما لا تعلمون[2] وقلتُ لكم إني لأجد ريحَ يوسف.

وقال ليهوذا: كيف يوسف؟ قال: إنه ملك بمصر.

فقال يعقوب: ما يصنع بالملك، وعلى أي دين تركته؟.

فأجابه.

فعندما عرف أنّه لازال مؤمنا وموحدا على دين آبائه، قال: «الآن تمّت النعمة»[3] ثم قدِمَ بقية أولاده في اليوم التاسع من خروجهم من مصر، وسألهم عما جرى لهم في مصر، وسألهم عن بنيامين.

فقالوا: خلفناه عند أخيه سالما صالحا، فحمد الله وأثنى عليه وشكرَ الله على ذلك[4].

(إستغفار يعقوب لأبنائه)

وأقبل أبناؤه يطلبون منه أنْ يغفر لهم عما ارتكبوه بحقّه وحق يوسف وبنيامين، فقال لهم: سوف أستغفر لكم ربّي في السَّحر[5] من ليلة الجمعة[6] إنّه هو الغفور الرحيم[7]، فوافق ذلك ليلة عاشوراء، فلما كان السحر قام إلى الصلاة، وعندما فرغ منه رفع يديه إلى الله عزّ وجلّ وقال:

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٣١٧ ح ١٤٠ عن تفسير العياشي.

(٢) إشارة الى الآية ٩٦ من سورة يوسف، بحار الأنوار: ١٢/٢٥٠ ح ١٦ عن تفسير القمي: ٣٣٢.

(٣) عرائس المجالس: ١٣٩.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٨٨ ح ٧١ عن قصص الأنبياء، أيضا بحار الأنوار: ١٢/٣١٧ ح ١٤٠ عن تفسير العياشي.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/٣٥٠ ح ١٦ عن تفسير القمي: ٢٣٢.

(٦) عرائس المجالس: ١٣٩.

(٧) إشارة الى الآية ٩٨ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

«اللهم اغفر لي جزعي على يوسف، وقلّة صبري عليه، واغفر لِوُلدي ما جَنَوا على أخيهم يوسف» فأوحى الله اليه: «أني قد غفرت لك ولهم أجمعين»[1].

ويذكر أنّه عندما جمع الله شملهم، واجتمع أولاده.

وقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب وبيوسف؟.

قالوا: بلى.

قال: فإنْ عفا عنكم فكيف لكم بربكم؟ فاستقام أمرهم على أن يأتوا الشيخ، فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد، فقالوا: يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط، والأنبياء أرحم البرية.

فقال: ما بكم يا بنيَّ؟.

فقالوا: ألستَ تعلم ما كان مِنّا إليك وإلى أخينا يوسف؟.

قال: بلى قد علمتُ.

قالوا: أفَلَسْتُما قد عَفَوْتما عنّا؟.

قال: بلى.

قالوا: فإنَّ عَفْوَكُما لا يغني شيئا إذا كان الله تعالى لم يعف عنّا.

قال: فما تريدون يا بنيَّ؟.

قالوا: نريد أن تدعو الله لنا، فإذا جاءك الوحي من عند الله سَلْهُ هلْ عفا الله عنّا، فإنْ أجابكَ بأنَّه قد عفا عنّا جميعا قَرَّتْ أعيننا واطمأنت قلوبنا، وإلا فلا قَرَّتْ لنا عين في الدنيا أبدا.

---

(١) عرائس المجالس: ١٣٩.

Éléments sous droits d'auteur

فقام الشيخ واستقبل القبلة، وقام يوسف خلفه، وقاموا كلهم خلفهما أذلّةً خاشعين، فَدَعَا يعقوبُ وأمَّنَ يوسفُ[١].

وقال فيما قاله في نجواه مع الله: يا رب إنما ذنبهم فيما بيني وبينهم[٢] وكان يجمع أولاده في سحر كل ليلة جمعة ويجعلهم خلفه ويدعو لهم ويطلب لهم من الله المغفرة وهم يقولون آمين، وذلك أكثر من ثلاثين سنة حتى نزل قبول توبتهم، فأوحى الله إليه أنّي قد غفرتُ لهم[٣] أجمعين[٤].

ثم إنَّ جبرائيل نزل عليه وقال: إنّ الله بعثني إليك أُبشّركَ بأنه قد أجابَ دعوتك في وُلْدِكَ وأنَّه قد عفا عمّا صنعوا[٥].

(التهيؤ للسفر الى مصر)

ثم إنَّ يعقوب أمر بنيه أنْ يجهّزوا رحلهم للخروج من رملة بفلسطين إلى مصر من يومهم هذا[٦] وجعل يحثّهم على السرعة، وجمعَ أهله وعياله حتى خرجوا في اثنين وسبعين نفراً[٧] ووصلوا إلى مصر خلال تسعة أيام[٨] شوقا إلى يوسف وبنيامين، رغم ما كان بينهما من مسافة ثمانين فرسخا[٩]، أي أربعمائة وأربعين كيلومترا، وكانت السنة ألفين وثلاثاً، وليوسف من العمر ستين سنة.

---

(١) عرائس المجالس: ١٤٠.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/٣١٨، ح: ١٤١ عن تفسير العياشي.
(٣) نقل المجلسي عن الطبرسي في مجمع البيان في هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠، أيضا بحار الأنوار: ١٢/٣١٨، ح: ١٤١ عن تفسير العياشي، وجاء في البحار: عشرين سنة ولعله للخلاف في فترة الفراق بين الأربعين والعشرين.
(٤) عرائس المجالس: ١٤١.
(٥) عرائس المجالس: ١٤١.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/٣١٧، ح: ١٤٠ عن تفسير العياشي.
(٧) وبقوا هناك الى عصر موسى عليه السلام وتناسلوا حتى بلغ عددهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين نفراً، وهم الذين خرجوا مع يوسف من مصر، كما في هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠ بنقل المجلسي عن الطبرسي في مجمع البيان.
(٨) بحار الأنوار: ١٢/٢٨٣، ح: ٦١ عن إكمال الدين: ٨٦ وعلل الشرائع: ٩٢.
(٩) تواريخ الأنبياء: ١٥٢.

Éléments sous droits d'auteur

(إستقبال يوسف لأبيه يعقوب)

ولمّا عرف يوسفُ بوصولهم تجهَّز بالجُند[١] والعساكر، وأخبر الملك الأكبر، فخرج معه[٢]، فعندما خرج لاستقبالهم وإذا به قد مرّ في طريقه على امرأة العزيز زُلَيْخا وهي تعبد في غرفة لها، فلما رأته عرفته، فنادته بصوت حزين: أيها الذاهب طالما أحزنْتَني، ما أحسن التقوى، كيف حرر العبيد وأقبح الخطيئة، كيف عبّدت الأحرار[٣] ولكنه لم ينتبه إليها، ثم إنّه خرج مسافة طويلة خارج البلد وذلك مقدار مسيرة يوم[٤] وخرج معه مضافا إلى آلاف الفُرسان، عُظماء البلد وأشراف مصر، وخرج الناس بأحسن زينتهم وأجمل هيئتهم، وكانت الفوارس قد أخذت جنة وراية من ذهب، وانتظموا صفوفا وعليهم ثياب فاخرة مزيّنة بألوان شتّى ومُزخرفة بالزخارف والحُلي، إلى أنْ وصل الصحراء، فتقدم الموكبان، موكب فلسطين وموكب مصر إلى أن اقتربا، فارتقى موكب فلسطين تلّاً كان هناك، فصعد يعقوب على أعلى التل ونظر إلى الصحراء فإذا هي مليئة بالألوية والجنود والفرسان، فدُهش من ذلك وهالَهُ عددهم واستغرب كثرة زينتهم وكان متكئا على ابنه يهوذا[٥] فقال له: هذا فرعون مصر؟ قال له: كلا[٦]، وكان جبرائيل معه، فسأله عن يوسف هل هو فيهم؟ فقال جبرائيل: هو ذاك الذي فوق رأسه الظلة، فلما نظر اليه من بعيد لم يتمالك إلا أنْ نزل من فرسه وأخذ يهرول نحو حبيبه يوسف متكئاً على ابنه يهوذا، وحين عرف يوسف أنْ أباه نزل من على فرسه نزلَ هو أيضا من على فرسه، وجعل يشقُّ طريقه نحو أبيه إلى أنْ التقيا، فعندها طلبت

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠ بنقل المجلسي عن الطبرسي.
(٢) عرائس المجالس: ١٣٩.
(٣) أمالي الطوسي: ٢٩٢، والبحار: ١٢/ ٢٧٠، ح: ٤٦.
(٤) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠ عن مجمع البيان عن الكلبي.
(٥) عرائس المجالس: ١٤٠.
(٦) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠ عن مجمع البيان.

Éléments sous droits d'auteur

الملائكة وسكان السماوات من الله أنْ ينظروا الى تلاقي الحَبيبَين يوسف ويعقوب، ومُدّت أعناق الناس لترى ذلك المنظر البديع والمُفرح حين يلتقي الحبيبان بعد هذا الفراق الطويل المرير، وشخصت الأبصار إلى أنْ مدَّ الحَبيبَين أيديهما وتعانقا، فعندها ارتفعت الأصوات من كل مكان بالبكاء فرحاً وسروراً، وصهلت الخيولُ وماجَتِ الفُرسان، وفجأةً خفَّتِ الأصواتُ وسكنت الأنفاسُ ليستمعوا إلى كلام الحَبيبَين حين التلاقي، فإذا بيعقوب يبتدئ ابنه يوسف بأمر الله[1] ويقول له: «السلام عليك يا مُذهبَ الأحزان»[2] فأجاب حبيبه بمثل ذلك، وقال: السلام عليك يا مُذهبَ الأحزان.. وبَكَيا بكاءً عالياً من شدّة الفرح والسرور، وبَكَى معهما الناس.

ثم دعا يعقوبُ بهذه الكلمات مخاطبا رَبَّهُ تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا مَن خلقَ الخلق بغير مثال، ويا مَن بسطَ الأرضَ بغير أعوان، ويا مَن دَبَّرَ الأمور بغير وزير، ويا مَن يرزق الخلقَ بغير مُشير، ويا مَن يُخَرِّبُ الدنيا بغير استثمار»[3].

وكانت لايا زوجة يعقوب خالة يوسف ما زالت حيّة، وكانوا ينادونها بالأُم، فهيأ يوسف للوفد قصرا جميلا كان له في خارج مصر ليذهب عنهم عناء السفر ويرتاحوا مما أصابهم من المِحَنْ، ثم بعد مدة طلب منهم أن يدخلوا مصر، وقال لهم: ادخلوا مصرَ إنْ شاء الله آمنين[4] من المكاره والمصائب، ولمّا أنْ دخل الوفد مصر انصرف يوسف لأنْ يهيىء نفسه وقصره لاستقبال الوفد، فلبس ثياب المُلك وتزيّن بأحسن الزينة، فلبس أقبية الديباج مُزوَّدةً بالذهب[5] وأدهن بأحسن العطور - إذ إنه لم يستعمل الدهن

---

(١) عرائس المجالس: ١٤٠
(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠ عن مجمع البيان عن الكلبي.
(٣) هامش بحار الأنوار: ٩٢/ ١٧٢ عن مهج الدعوات: ٣٨٤.
(٤) إشارة إلى الآية ٩٩ من سورة يوسف.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٧، ح: ٨٣ عن فروع الكافي: ٢/ ٢٠٦.

Éléments sous droits d'auteur

والعطور منذ أنْ فارقَ أباه - [1] وجلسَ على سرير رفيع مُجلَّل والذي كان سرير المُلك والسلطنة، وضع تاج المُلك على رأسه وتهيأ لاستقبال أبيه كي يُريه نِعَمَ الله ويُزيل الحُزن عن قلبه ويتدارك عن الماضي، وأَذِنَ لأبيه وخالته أنْ يدخلا عليه فلم يَـقُم لهما [2] بل أجلسهما معه على العرش [3].

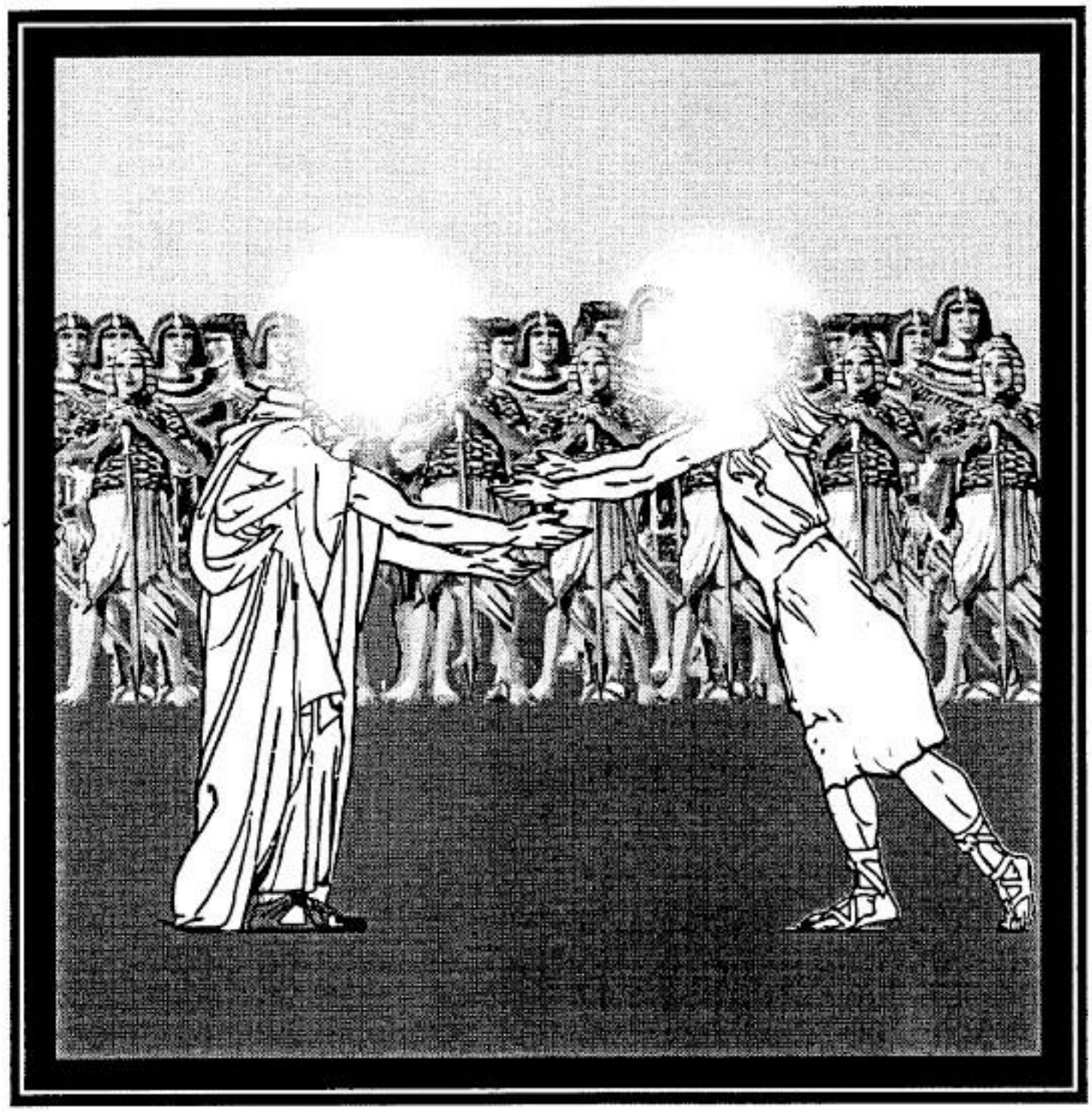

لقاء يوسف بأبيه يعقوب

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٩، ح: ٧١ عن قصص الأنبياء.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٠، ح: ١٦ عن تفسير القمي: ٣٣٢.
(٣) إشارة إلى الآية ١٠٠ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

(سجود يعقوب وزوجته وأولاده ليوسف)

ثم أَذِنَ لإخوته بالدخول عليه، فدخلوا جميعا، فلما رأوه على تلك الحال من العظمة والهيبة تواضعوا له أكثر من ذي قبل وسجدوا جميعا، فسجد أبواه «أبوه وخالته»[١]، وكان سجودهم تعظيما واحتراماً له وشُكرا لله وحده[٢] على ما أعطاه من النِّعَم ولاجتماع شملهم[٣]، فعندما رأى يوسف أنَّ أبويه وإخوته سجدوا له احتراما وتعظيما هالَهُ المنظر واقشعرَّ جلده[٤]وقال على الفور: يا أبَتِ هذا تأويل رؤياي التي رأيتها من قبل، فقد جعلها اللهُ رَبّي حقاً وصدقاً، والله سبحانه قد أحسنَ بي من البدء وحتى خروجي من السجن ثم جاء بكم من بادية الشام من أرض فلسطين أرض كنعان وجَمَعَني وإياكم بعدما أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي، إنَّ ربّي لطيفٌ لما يشاء إنه سبحانه هو العليم بالأمور والحكيم في الفعال[٥].

---

(١) اشارة الى الآية ١٠٠ من سورة يوسف.

(٢) بحار الأنوار: ٢١٧/١٢، ذيل ح: ١ عن تفسير القمي: ٣١٦.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥١/١٢، ح: ١٦ عن تفسير القمي: ٣٣٣، وتحف العقول: ٤٧٧ وتفسير العياشي.

(٤) بحار الأنوار: ٣٣٨/١٢ عن ابن عباس.

(٥) إشارة إلى الآية ١٠٠ من سورة يوسف.

Éléments sous droits d'auteur

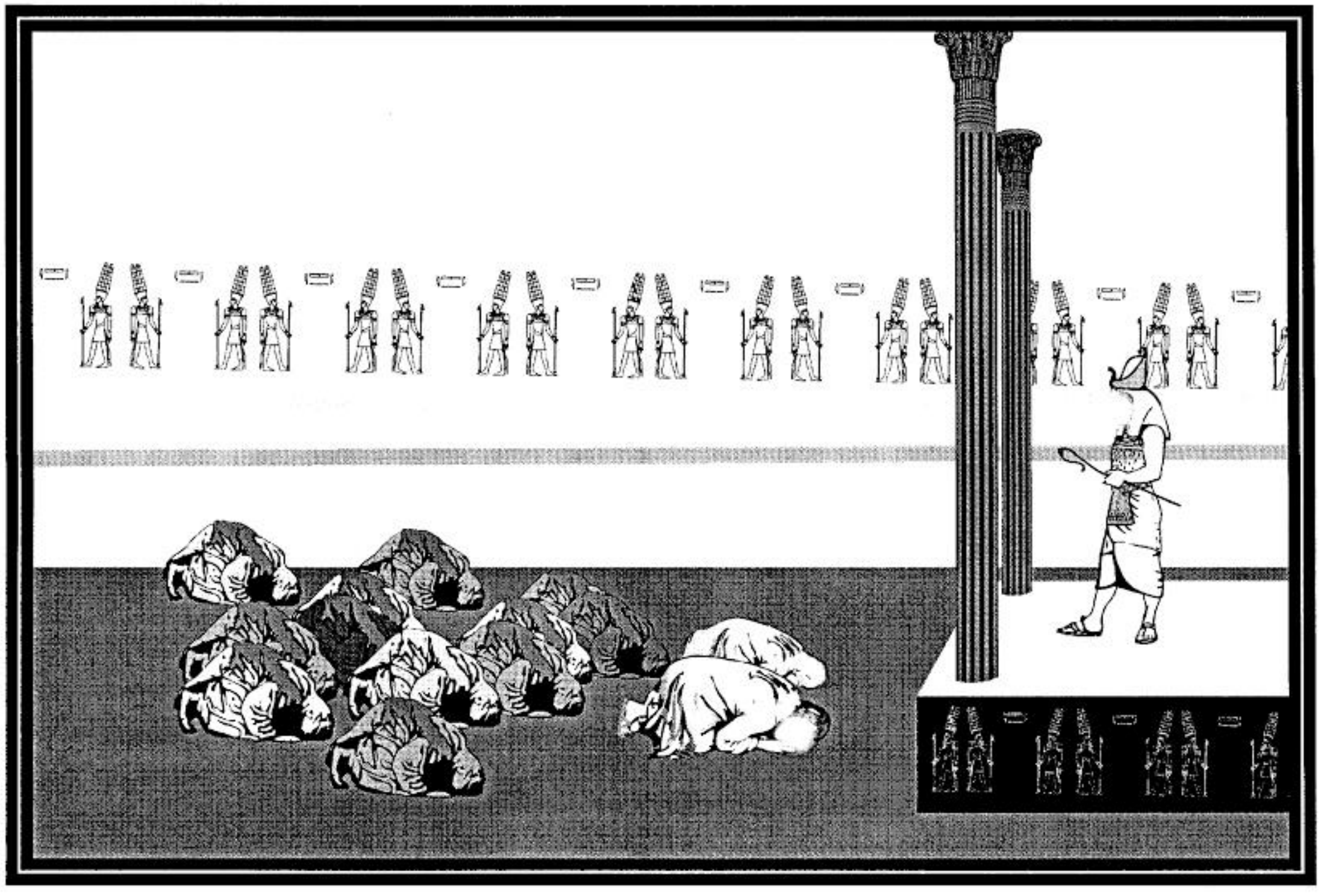

سجود يعقوب وبنيه وزوجته لايا لله بلقاء يوسف

Éléments sous droits d'auteur

(معاتبة جبرائيل ليوسف)

ويذكر أنَّ جبرائيل نزل على يوسف وقال له: يا يوسفُ إنَّ الله عزّ وجلّ يقول لك: ما منعَكَ أنْ تنزل إلى عبدي الصالح ما أنت[1] فيه؟ أبسِطْ يدكَ، فبَسَطَها، فخرج من بين أصابعه نور.

فقال: ما هذا يا جبرائيل؟

فقال: هذا أنّه لا يخرج من صُلبك نبيٌّ أبداً، عقوبةً بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه[2] وجعلها في صُلب لاوي فقد شكره الله على صنيعه حين أرادوا قتل يوسف فقال: لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجُب، فكانت النبوة - اولي العزمية - في ولده بموسى بن عمران[3].

(إخبار يوسف والده عما عمله إخوته به)

ثم عندما استقرّ الأمر بيعقوب، سأل يوسف قائلا: يا بُني أخبرني بما فعل بك إخوتك حين أخرجوك من عندي، قال: يا أبَه إعْفِني من ذلك، فألحَّ عليه يعقوبُ وقال أخبرني ببعضه[4] وأُقسِم عليك إلّا أخبرْتَني[5] قال: إنطلق بي فأُقعدتُ على رأس الجُب، فقيل: إنزع القميص، فقلت لهم: اتقوا الله وإني أسألكم بوجه أبي الصدّيق يعقوب أن لا تبدوا عَورَتي ولا تسلبوني قميصي، فأخرج عليَّ فلان السكين[6] وهدَّدني بالذبح إنْ لم أخلعْهُ فخلعْته، فألقوني في الجُب عُريانا، فعندما سمع يعقوب ذلك شهق شهقة وخرَّ مغشياً عليه.

---

(١) في نسخة أمالي الصدوق «ما كنتَ» بدلا من «ما أنت».
(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٥٢ عن الطبرسي.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٢، ح: ١٧ عن تفسير القمي: ٣٣٣.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٢، ح: ١٧ عن تفسير القمي: ٣٣٣.
(٥) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٥٢ عن الطبرسي.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/٣١٩، ح: ١٤٦ عن تفسير العياشي.

Éléments sous droits d'auteur

فلما أفاق يعقوبُ من غيبوبته قال: يا بُني حدثني كيف صنع بك؟.

فقال له يوسف: يا أبَه أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا عَفَيْتني عن ذلك، ولا تسألني عن صنيع إخوتي، واسألني عن صنيع الله بي[1].

(معاتبة يعقوب ليوسف في عدم إخباره بوجوده)

ثم أخذ بيد أبيه وطاف به القصر وأراه خزائن مصر التي جعلها الملك بتصرفه، فأراه خزائن الورق والقرطاس.

فقال له يعقوب: يا بُني ما أعَقَّكَ، لقد تغيَّرْتَ![2] عندك هذه القراطيس ولم تكتب إليَّ عن حالك على بُعد ثماني مراحل؟ قال: يمنعني عن ذلك جبرائيل.

قال: أوَلَم تسأله عن سبب ذلك.

قال: أنت نبيٌّ فاسأله.

وعندما نزل عليه جبرائيل سأله يعقوب عن السبب.

قال: إن الله أمرني بذلك.

فسأل الله عن ذلك، فأوحى اليه[3] لقولكَ إنّي أخاف أنْ يأكله الذئبُ، كأن لا أمل لك بلُطف الله ورحمته، فهلّا خِفْتَهُ هو وأمَّلْتَ فيه.

(مناقشة يعقوب والعادي أمام الملك)

وكان هناك رجلٌ كبير العُمر من قوم عاد كان الناس يرمونه بالحجارة فالتجأ إلى الملك سنان، وقال: أجِرْني عن الناس وأُحدّثكَ بأعاجيب رأيتها ولا أحدّثكَ إلا بالحق، فأجاره الملك سنان وجالسه وحدّثه فأعجبه وأكرمه،

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٢ بنقل المجلسي عن الطبرسي.

(٢) عرائس المجالس: ١٤٠.

(٣) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٢ بنقل المجلسي عن الطبرسي.

Éléments sous droits d'auteur

وكان الملك سنان لم يجد على يوسف كذبة ولا على هذا الرجل الذي كان من قوم عاد، ففي يوم قال الملك ليوسف: هل تعلم أحداً خيراً منك؟.

قال نعم: أبي يعقوب.

فصدّقه الملك ووقع يعقوب في قلبه وأكبره من غير أن يراه، إلى أن قَدِمَ يعقوب مصر والتقى بالملك سنان فحيّاه بتحية الملوك، فأكرمه وقرّبه وزاده إكراماً ليوسف.

وفي يوم من الأيام قال الملك سنان ليعقوب: يا شيخ كم أتى عليك؟.

قال: مائة وعشرون سنة[1].

وكان الرجل الذي هو من قوم عاد حاضراً في المجلس.

فقام وقال: كذب.

فسكت يعقوب عنه، وشقَّ ذلك على الملك حين كذّبه.

فقال الملك سنان مرة ثانية ليعقوب: كم أتى عليك؟.

قال: مائة وعشرون سنة.

قال الرجل ثانية: كذب.

فقال يعقوب: «اللهم إنْ كان كذباً فاطرح لحيته على صدره، فسقطتْ لحيتُه على صدره.

فهالَ ذلك الملك سناناً.

وقال ليعقوب: عمدتَ إلى رجلٍ أجرته فدَعَوْتَ عليه، أحبُّ أنْ تدعو إلهكَ بردّه، فدعا له، فردَّ الله إليه لحيته.

فقال الرجل: إني رأيت هذا مع إبراهيم خليل الرحمان في زمن كذا وكذا، قال يعقوب: ليس أنا الذي رأيته إنما رأيت إسحاق.

---

(١) أي أنّه أكمل المائة والعشرين سنة، وكان هو قد دخل السنة الحادية والعشرين بعد المائة.

Éléments sous droits d'auteur

فقال له: فمَن أنت؟ قال: أنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان.

فقال الرجل: صدقْتَ ذلك الذي رأيته.

فقال: صدقَ وصدّقت»[1].

(تنازل المَلِك عن المُلك ليوسف)

ثم إنَّ الملك سناناً تنازل عن المُلك كلياً ليوسف في سنة ألفين وليوسف ثلاثٌ وستون سنة، فلبس يوسف ثوبَين جديدَين وخرج إلى الفلاة وصلّى لله ركعات، فلما فرغ من الصلاة رفع يده إلى السماء وقال: «ربِّ آتيتني من المُلك وعلّمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض أنت وليِّي في الدنيا والآخرة».

فهبط عليه جبرائيل وقال له: يا يوسف ما حاجتك؟.

فقال: «ربِّ توفَّني مُسلماً وألحقني بالصالحين»[2] حيث خشيَ الفتنة[3] عندما أنعم الله عليه بكل هذه النِّعم من العلم والحكمة والمُلك والثروة.

ثم إنَّ الملك سناناً عاش فترةً غير طويلة إلى أنْ توفّاه الله سنة ألف وتسعمائة واحدى وتسعين.

(سؤال زُليخا ليوسف)

عندها أصبحت زُلَيْخا أرملة ولعبَ بها الدهر حتى رأت الذل والحاجة وقامت بالسؤال من الناس.

فقيل لها: لو تعرضتِ للعزيز يوسف.

فقالت: أستحي منه.

---

(١) هامش بحار الأنوار: ١٢/٢٩٧، ح: ٨٤ عن قصص الأنبياء.

(٢) إشاره إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٣٢٠ عن تفسير العياشي.

Éléments sous droits d'auteur

فلم يزالوا بها حتى قعدت له على الطريق، ومرّ يوسف في موكبه[1] وهي جالسة على مزبلة[2].

فقامت له وقالت: «الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيدا، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكا»[3] أصابتنا فاقة فتصدَّق علينا[4].

فقال لها: مَن أنتِ؟ فقالت: أنا تيكم.

فقال لها: انصرفي، فإني سأُغنيكِ، وبعث اليها مائة ألف درهم[5].

وقال لها يوسف: غموط النِّعَم سقمُ دوامها، فراجعي ما يمحِّص عنكِ دنس الخطيئة، فإن محل الاستجابة قُدس القلوب وطهارة الأعمال.

فقالت: ما اشتملت بعدُ على هيئة تأثم، وإني لأستحي أنْ يرى الله لي موقف استعطاف ولها تهريق العين عبرتها ويؤدي الحسد ندامة.

فقال لها يوسف: فجدِّي، فالسبيل هدف الإمكان قبل مزاحمة العدة ونفاذ المدة.

فقالت: هو عقيدتي، وسيبلغك إن بقيتَ بعدي.

فأمر لها يوسف بقنطار من ذهب ولكنها ردّته وقالت: القوت بتة، ما كنت لأرجع إلى الخفض وأنا مأسورة في السخط.

فقال بعض وُلد يوسف له: يا أبة مَن هذه التي قد تفتَّت لها كبدي ورقَّ لها قلبي.

قال: هذه دابّة الترح في حبال الانتقام[6].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٣، ح: ١٧ عن تفسير القمي: ٣٣٣.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٤، ح: ١٨ عن أمالي الصدوق: ٤.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٣، ح: ١٧ عن تفسير القمي: ٣٣٣.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٤، ح: ١٨ عن أمالي الصدوق: ٤.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٦، ح: ٨٧ عن قصص الأنبياء.
(٦) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٤ ح ١٨ عن أمالي الصدوق: ٤.

Éléments sous droits d'auteur

(دخول زُليخا على يوسف)

وفي يوم آخر استأذنت زُلَيْخا على يوسف، فقيل لها: يا زُلَيْخا إنّا نكره أن نقدم بكِ عليه لما كان منك اليه.

قالت: لا أخافُ مَنْ يخافُ الله.

فلما دخلت قال لها يوسف: يا زُلَيْخا مالي أراكِ قد تغيّر لونكِ؟.

قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيدا، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكا.

قال لها: يا زُلَيْخا ما الذي دعاكِ إلى ما كان منك؟.

قالت: حُسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبياً يُقال له محمد يكون في آخر الزمان، أحسن منّي وجهاً وأحسن منّي خلقاً واسمح منّي كَفّاً؟.

قالت: صدقتَ، قال: وكيف علمتِ أنّي صدقتُ؟.

قال: لأنك حين ذكرته وقعَ حُبّه في قلبي.

(زواج يوسف من زُليخا)

فأوحى الله عزّ وجلّ الى يوسف: إنها قد صدقَتْ، وإني أُحبّها لحُبّها محمداً، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها[1].

ثم إنَّ يوسف أمر بها فحوّلت إلى منزله، وكانت هرمة، فقال لها يوسف: ألستِ فعلتِ بي كذا وكذا.

فقالت: يا نبي الله لا تلُمني فإني بُليت بثلاثة لم يُبْلَ بها أحد.

قال يوسف: وما هي؟.

قالت: بُليت بحُبّك ولم يخلق الله في الدنيا لك نظيراً، وبُليتُ بأنه لم

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٢ ح ٦٠ عن علل الشرائع: ٣٠.

Éléments sous droits d'auteur

يكن بمصر امرأة أجمل منّي ولا أكثر مالا منّي فنُزع عنّي[١]، وبُليتُ بزوجٍ عِنّين[٢].

فقال لها يوسف: فما حاجتك؟.

قالت: تسأل الله أن يردَّ عليَّ شبابي.

فسأل الله، فردَّ عليها شبابها[٣] وذلك في سنة ألف وتسعمائة وتسعين.

فعند ذلك تزوجها يوسف[٤]عطفاً عليها، فوجدها بِكْراً[٥].

فقال لها: أنّى .. وقد كان لكِ بعل؟.

فقالت: كان محصورا بفقد الحركة وصرد المجاري[٦].

ثم قال لها: أليس هذا أحسن؟ أليس هذا أجمل[٧]؟ -قاصداً زواجه منها بالحلال- أوليس هذا خيرا ممّا كنتِ تريدين؟[٨].

وعاش يوسف معها حتّى قلَّبَ الله عطفه عليها حُبّاً إلى أنْ افتُتِنَ بها أكثر ممّا افتُتِنَتْ هي به، وأصبح يحبّها حباً شديداً بشكل لا يطيق على فراقها، وكانت قد أصبحت امرأةً صالحةً تقيّةً، وكانت متواصلة العبادة لله والتضرع إليه كي يغفر لها ما تقدَّمَ لها من الذنوب، فكانت تقوم ليلها وتصوم نهارها وتختلي بنفسها لتُناجي ربَّها، وحدث في يوم من الأيام أنَّ يوسفَ راودها فامتنعت عنه، فأصرَّ عليها فهربت منه، فلحقها وأخذ بثوبها، فقُدَّ ثوبُها من خلفها كما قُدَّ من ذي قبل ثوبه بسببها.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٣، ح: ١٧ عن تفسير القمي: ٣٣٣.

(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/٣٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٣، ح: ١٧ عن تفسير القمي: ٣٣٣.

(٤) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٣، ح: ١٧ عن تفسير القمي: ٣٣٣.

(٥) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٣، ح: ١٧ عن تفسير القمي: ٣٣٣.

(٦) بحار الأنوار: ١٢/٢٥٤، ح: ١٨ عن أمالي الصدوق: ٤، حيث كان عنيناً لا حركة لآلته لبرد مجاريه.

(٧) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٩، ح: ٤٢ عن أمالي الطوسي: ٢٩٢.

(٨) بحار الأنوار: ١٢/٢٨٢، ذيل ح: ٦٠ عن الطبرسي.

Éléments sous droits d'auteur

وولدت له في السنة الأولى من زواجه لها صبيين توأمين وهما أفراتيم وميشا[١]، وفي السنة الثانية رزقها الله بنتاً سماها رحمة، وقد باركهم يعقوب له، ورحمة هذه قد تزوجت فيما بعد نبيّ الله أيوب[٢].

(وصية يعقوب لأولاده)

وعاش يعقوب في مصر بعد لقاء حبيبه يوسف سبعاً وعشرين سنة، وعندما علم بقرب أجله، جمع أولاده وجعل يُلقي عليهم بنصحه ومواعظه ويثبت لهم معالم دينهم وعقيدتهم ويوصيهم، وقال لهم: ما تعبدون من بعدي؟.

قالوا: نعبدُ إلهكَ وإله آبائك إبراهيم وإسحاق، فقال: «يا بنيَّ إنَّ الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون»[٣].

(وفاة يعقوب وتجهيزه)

ثم إنَّ يعقوب ودّع نجله يوسف ودائع النبوة وأسرارها وطلب منه أن يدفنه عند أبيه إسحاق وجدّه إبراهيم بفلسطين، وما أنْ كانت السنة ألفاً وتسعمائة وستاً وسبعين وقد اكتمل مائة وسبعاً وأربعين سنة[٤] إلا وفارقتْ روح يعقوب الدنيا والتحقت بالرفيق الأعلى بعدما أنعم الله عليه بلقاء حبيبه وجمع شمله مع أبنائه، فلبّى يوسفُ طلبَ أبيه فجهّزه ونقله في تابوت مصنوع من الساج[٥]في موكب جليل حافل بالمشيّعين من الأهل والعسكر وعظماء مصر[٦]إلى مدفن أجداده إسحاق وإبراهيم في فلسطين.

وعندما وصل هناك صادف أن رأى عمّه عيصاً قد توفي في يوم وفاة

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٢، ذيل ح: ٦٠ عن الطبرسي.
(٢) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٨٣.
(٣) عرائس المجالس: ١٤١.
(٤) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٢ بنقل المجلسي عن أبي حمزة.
(٥) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٢ بنقل المجلسي عن أبي حمزة.
(٦) عرائس المجالس: ١٤١.

Éléments sous droits d'auteur

والده، فدفنهما معاً في قبر واحد، فكانت ولادتهما ووفاتهما في يوم واحد، كما كانا في رَحِم واحد وولدا في وقت واحد[1].

ومن ثم رجع يوسف إلى مصر وحكم البلاد وعاش بعد أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة إلى أنْ اشتاق إلى لقاء ربه بعدما آتاه من المُلك والنعيم وعَلِمَ أنّ ذلك لا يبقى ولا يدوم، فطلب من الله عزّ وجلّ نعيماً لا يفنى وحياة لا تبلى، وتاقت نفسه إلى الجنة، فتمنَّى الموت، ولا تمنّى الموتَ نبيٌّ غيره لا من قبلُ ولا من بعدُ[2].

يعقوب إلى مثواه الأخير

(١) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٥٢ بنقل المجلسي عن أبي حمزة.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٣٢٠ في هامش تفسير العياشي عن الطوسي.

Éléments sous droits d'auteur

(وفاة زُليخا ورؤيا يوسف)

وعندما عرفت زُلَيْخا أنّه دعا ربَّهُ لنفسه بالموت وأيقنت بالفِراق دَعَت هي بدورها ربّها ليُعجّل لها الوفاة، فماتت قبل يوسف، ولم تُبتل بمرارة الفِراق كما ذاقه يوسف مرّتين فأكملتها بالثلاثة، فحزن لفراقها حُزناً كثيراً، وكان ذلك سنة ألف وتسعمائة وثلاثٍ وأربعين.

(وصية يوسف لإخوته وأولاده)

ثم إنَّ يوسف رأى أباه في المنام ثلاث مرات، فقال له: يا يوسف إني مُشتاق إليك فأسرِع إليّ، فعندها علمَ أنه مُقبل إلى لقاء ربّه، فجمع إخوته وأولاده وهُم ثمانون رجلاً من بني إسرائيل[1] وألقى عليهم تعاليمه ووصاياه، فأوصى إليهم أنْ ينقلوا جثمانه إلى مدفن آبائه وأجداده في فلسطين، فلبّى دعوة ربّه بعد ثلاثة أيام من رؤياه الأخيرة لوالده، وكانت السنة ألفاً وتسعمائة وثلاثاً وأربعين قبل الهجرة، وقد عاش مائة وعشرين سنة[2].

وسألوه عن حالهم، إذ قالوا: يا نبيّ الله نُحب أن تعرِّفنا كيف تتصرّف بنا الأحوال بعد خروجك من بين أظهُرنا والى ما يؤول اليه أمرنا وديننا وملّتنا؟.

فقال لهم: إنّ أمركم يستقيم على ما أنتم عليه، وتستقيمون على دينكم إلى أن يُبعث رجلٌ جبّار عاتٍ من القبط يدّعي الربوبية، فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب، فتمتد أيامه مدة مديدة، ثم يخرج من بني إسرائيل من وُلد لاوي بن يعقوب رجلٌ اسمه موسى بن

---

(١) عرائس المجالس: ١٤١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٢٦١ ح ٢٣ عن أمالي الصدوق: ١٥٢، وبحار الأنوار: ١٢/ ٢٩٧ ح ٨٢ عن قصص الأنبياء.

Éléments sous droits d'auteur

عمران[1] رجلٌ طوال، جعد الشعر، أدم اللون، فينجيكم الله من أيدي القبط على يده، -وكان بين يدي يوسف ديك له من العُمر خمسمائة سنة- فقال: «إنه يستقيم أمركم مادام يصرخ فيكم هذا الديك، فإذا وُلد هذا الجبار يسكن ولا يصرخ مدّة ولايته، حتى إذا انقضت مدّة ولايته وأَذِنَ الله تعالى بمولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود إلى صراخه، ويكون ذلك علامة انقضاءِ مُلك الجبارِ وظهور نبيّ الله في الأرض»[2]، وكان يوسف قد استخلف أخاه يهوذا على بني إسرائيل[3].

(وفاة يوسف وتجهيزه)

وعندما توفي يوسف وأراد إخوته وأولاده نقل جثمانه إلى فلسطين منعهمْ أهلُ مِصْرَ عن ذلك وتجمهروا على ذوي الفقيد كل يطلب منهم أن يُدفن في منطقته ووصل بهم الخلاف والنزاع حتى كاد أن يقع بينهم القتل حُباً له ولأخلاقه وعدله وسيرته الحسنة، فتوصل ذوو العقول السليمة إلى أنْ يدفنوه في نهر النيل حتى يمرَّ الماء على مدفنه فتصلهم بركاته[4] ولا يُحرم أحد منها، فقبل الجميع بذلك واقتنعوا بالفكرة، فصنعوا صندوقا من الرخام ووضعوا جسد نبيهم ومليكهم يوسف فيه، ووضع الصندوق في صندوق آخر من حديد وسُدَّ بالرصاص[5] وجعلوه وسط النيل وأثبتوه بسلاسل من حديد في قعر النيل مقابل مدينة منف[6] وما أنْ وُلد موسى بن عمران بعد أربعمائة

---

(١) قيل فجعل كل من بني إسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى، عرائس المجالس: ١٤١.

(٢) عرائس المجالس: ١٤١.

(٣) عرائس المجالس: ١٤٢.

(٤) هامش بحار الأنوار: ١٢/ ٣٢٠ عن الطبرسي بنقل المجلسي.

(٥) الأنبياء حياتهم وقصصهم: ١٧٩.

(٦) الأنبياء حياتهم وقصصهم: ١٧٩، حيث يوجد هناك مسجد باسمه، ويطلق عليها اليوم ميت رهينة والتي تقع على بعد ١٩ كيلومتر جنوب القاهرة.

Éléments sous droits d'auteur

سنة، وبالتحديد سنة ألف وخمسمائة وثلاث وأربعين، ثم بُعث سنة ألف وخمسمائة وثمانٍ وعشرين قبل الهجرة، أمرَ باستخراج الصندوق ونقلِهِ إلى أرض كنعان بأرض فلسطين ليُدفن عند أجداده وأبيه تنفيذا لوصيَّتهِ، حيث قبرُهُ الآن في مدينة الخليل[1].

(نقل رُفات يوسف إلى فلسطين على يد موسى عليه السلام)

وقيل إنَّ بني إسرائيل عندما أرادوا الخروج من مصر ضلّوا الطريق وأظلمَ عليهم الليل، فقالوا ما هذا؟

فقال علماؤهم: إنّ يوسف لمّا حضرته الوفاة أخذ علينا مَوثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا.

قال موسى بن عمران: فمَن يعلم موضع قبره؟.

قالوا: عجوز لبني إسرائيل، فبعث إليها موسى فأتته.

فقال: دلّيني على قبر يوسف.

فقالت له: وتعطيني حكمي؟.

قال: وما حكمك؟.

قالت: أنْ أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها حكمها، فأوحى الله إليه أنْ أعطها حكمها، ففعل[2].

---

(١) ولا يخفى أنَّ قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف في مدينة الخليل، وكذلك سارة زوجة إبراهيم، ورفقة زوجة إسحاق عليهما السلام، وأما قبر بنيامين فإنّه في جبل عامل على رأس ربوة غربي قبر يوشع عليه السلام بمسافة نصف فرسخ، والناس يسمّونه مُحَيْبيب، كما في مفتاح الجنات: ٢/٢٤٦، وذكرَ ليوسف زيارة في ٢/ ٢٥١ أيضا، وكذلك لبنيامين في ٢٥٧ منه.

(٢) عرائس المجالس: ١٤٢.

Éléments sous droits d'auteur

(كلمات من نور)

إنَّ فلسفة سرد القصص والحكايات هي أخذ العِظة والعِبرة[١] دون الاكتفاء بالتسلية، فكم من قصة حوّلت مسيرة إنسان إلى الأفضل أو إلى الأسوأ، حسب التوجيه المركّز من خلالها[٢].

وبعد الانتهاء من قصة الصِدِّيق يوسف حاولنا قدر الإمكان استنتاج هذه الكلمات التي هي من نور -من وحي القصة- لتُضيء لنا الدرب في أحلك الأوقات:

١-التُهمة سلاح الضعيف[٣].

٢-الحسد داء القلوب[٤].

٣-مَن خالفَ عَزّتْ نَفْسه[٥].

٤-العِزّة في طاعة الله[٦].

٥-قوّة الرجل في صالح أولاده[٧].

---

(١) إشارة إلى الآية ١١١ من سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

(٢) كما هو مُشاهد في الأفلام البوليسية، وعكسها الأفلام التربوية.

(٣) مستفاد من التُهَم التي وُجّهت إلى يوسف من السرقة والخيانة بزوجة الملك.

(٤) مأخوذة من حسد إخوة يوسف له.

(٥) مستفاد من مخالفة يوسف هواه تجاه زُلَيْخا.

(٦) مستنتج مما وصل إليه يوسف حين أطاع ربه ولم يخالف له أمرا.

(٧) مستنتج من رجعة يعقوب إلى فلسطين عندما أصبح له من الأولاد ما يمكن رفع طيش أخيه عيص.

Éléments sous droits d'auteur

٦-أفضل الأعمال في المِحَن العِبَر[١].

٧- الغفلة عن الله ذُلٌّ[٢].

٨- مَن صلُحَتْ سريرته نهى عن المُنكر[٣].

٩- الجَمالُ نعمةٌ مفتونة[٤].

١٠- مَن اتَّكَلَ على الله اطمأنَّ قلبه[٥].

١١- صلاح الأمة بالأمر بالمعروف[٦].

١٢- مِن سعادة المرء الهجرة عند الضِّيق[٧].

١٣- مِن راحة النفس توطينها على البلاء حين نزوله[٨].

١٤- وقت استجابة الدعاء سحر يوم الجمعة[٩].

١٥- مَن تواضع لأبويه، سَمَا وارتفع[١٠].

١٦- كاد الحلمُ أن يكون وحياً[١١].

١٧- لا يأبى الله من أن يشكرَ عبده على حُسن صنيعه[١٢].

---

(١) مستفاد من صبر يعقوب على الفِراق والبلاء.

(٢) مأخوذ من كلام الله عندما التجأ يوسف إلى الناجي من السجن لأن يذكره عند الملك، فبقي بضع سنين.

(٣) مستفاد من عمل يوسف في نهيه عن عبادة الأصنام والشرك بالله وغيرها في أحلك ظروفه.

(٤) يستنتج مما ابتُلي به يوسف من حُب زُلَيْخا له والنسوة.

(٥) مأخوذ من كلام يوسف الذي وجهه لإخوته عند لقائه بهم، إذ قال لهم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

(٦) مستفاد مما أمر يوسف الملك في كيفية تدبير أمور الدولة ثم إعفاء الناس من ديونهم لخزينة الدولة.

(٧) مستفاد من هجرة يعقوب الى بادية الشام ومن ثم الى مصر.

(٨) مستنتج من توطيد يعقوب نفسه على البلاء حينما أوحى الله له بذلك.

(٩) مستنتج من تأخير يعقوب طلب المغفرة لأولاده إلى سحر يوم الجمعة.

(١٠) مستفاد من وحي الله ليوسف حين عاتبه على عدم تواضعه لأبيه.

(١١) مستنتج من أحلام يعقوب ويوسف والفتى المسجون مع يوسف والملك.

(١٢) مستفاد من أن الله تعالى جعلَ النبوة في وُلد لاوي، شكراً له على ممانعته في قتل يوسف، واكتُفي بإلقائه في الجُب.

Éléments sous droits d'auteur

١٨- مَن كتمَ سرَّه أمِنَ من عدوِّه[١].

١٩- ودائع النبوة من مواريث الأنبياء[٢].

٢٠- لا حُرمة للصنم وإن كان في ملك غيرك[٣].

٢١- من المعروف مُداراة اليتيم[٤].

٢٢- تصدَّق على السائل ولو بالقليل[٥].

٢٣ - إستخدم التورية عند الضرورة ولا تكذب[٦].

٢٤ - الأنبياء يعاتبون على الصغائر[٧].

---

(١) مأخوذ من كلام يعقوب لابنه يوسف حين وصّاه أن لا يخبر إخوته بما رآه في المنام وبما أنعم الله عليه.

(٢) مستفاد من ميراث يعقوب المنطقة وقميص إبراهيم وغيرها من آبائه واختصاص الميراث بيوسف دون غيره من وُلده.

(٣) مستنتج من عمل يوسف حينما كسَّر صنم خاله أو جدّه بأمر خالته.

(٤) مستفاد من عمل يعقوب ليوسف وبنيامين حين ماتت أمهما راحيل.

(٥) مأخوذ من وحي الله ليعقوب وتأنيبه على ردّ السائل ذميان، ومن بعده كان يتصدّق على كل سائل.

(٦) مأخوذ من إعلان أبناء يعقوب سُرّاقاً حيث قصد أنهم سرقوا يوسف وليس صواع الملك.

(٧) يلاحظ من عتاب جبرائيل ليعقوب ويوسف في كل مراحل حياتهما.

Éléments sous droits d'auteur

(قصار الكلم ليوسف)

هناك كلمات حكيمة صدرت من النبي يوسف عليه السلام أو أبيه يعقوب عليه السلام لا بأس بتسليط الضوء عليها، وهي:

١- قال يوسف: «إصبِر كما صبروا، تظفَرْ كما ظفروا».

٢- قال يعقوب: «لا تَزْنِ، فإنَّ الطير لو زَنَى لتناثرَ ريشه»[١].

٣- قال يوسف: إذا كنتَ صادقاً فكُنْ صادِق.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢/٢٦٦ ح ٣٢ عن مَن لا يحضره الفقيه: ٤٧١.

Éléments sous droits d'auteur

شخصيات القصة

أبروها : مسؤول السقي.

أسنات بنت فوطي فارغ : زوجة يوسف.

أشر بن يعقوب : الأخ.

الأعرابي الكنعاني : الرسول.

أفراهيم بن يوسف : الابن.

أفراهيم : مناد ملك مصر (وزير الاعلام).

بفتال بن يعقوب : الأخ.

بُلهة : جارية راحيل.

بنيامين بن يعقوب : شقيق يوسف ـ الأخ الشقيق ـ .

تميم العابد : المسكين.

جاد بن يعقوب : الأخ.

جلموس : ملك المغرب.

دان بن يعقوب : الأخ.

دينة بنت يعقوب : الأخت.

ذميال : المسكين.

راحيل بنت لابِن : الأم.

Éléments sous droits d'auteur

رحمة بنت يوسف: الأخت.

روبيل بن يعقوب: الأخ.

ريالون بن يعقوب: الأخ.

زُلفة: جارية لايا.

زُليخا راعيل بنت جلموس: ابنة ملك المغرب وزوجة ملك مصر.

سارة بنت إسحاق: العمة.

سنان بن الأشل: ملك مصر.

شمعون بن يعقوب: الأخ.

عالب: مسؤول الطبخ.

عزرائيل: ملك الموت.

عيص بن إسحاق: العم.

قطفير بن رحيب: وزير الخزانة (المالية).

لابِن بن توئيل: الجد الأُمّي

لاوي بن يعقوب: الأخ.

لايا بنت لابِن: الخالة.

مالك بن ذعر: التاجر الذي التقط يوسف.

ميشا بن يوسف: الابن.

يسحر بن يعقوب: الأخ.

يعقوب بن إسحاق: الأب.

يهوذا بن يعقوب: الأخ.

Éléments sous droits d'auteur

المصادر

١- إثبات الوصية

٢- إقبال الأعمال

٣- إكمال الدين

٤- أمالي الصدوق

٥- أمالي الطوسي

٦- الأنبياء حياتهم وقصصهم

٧- أنوار التنزيل

٨- بحار الأنوار

٩- بصائر الدرجات

١٠- تاريخ الأمم والملوك

١١- تاريخ اليعقوبي

١٢- تحف العقول

١٣- تفسير التبيان

١٤- تفسير الثعلبي

١٥- تفسير العياشي

Éléments sous droits d'auteur

١٦- تفسير القمي
١٧- تقريب القرآن
١٨- تنزيه الأنبياء
١٩- التوراة
٢٠- تواريخ الأنبياء
٢١- الخرائج والجرائح
٢٢- الخِصال
٢٣- دعوات الراوندي
٢٤- سعد السعود
٢٥- شجرة طوبى
٢٦- صحيفة الرضا
٢٧- عرائس المجالس
٢٨- علل الشرائع
٢٩- عيون الأخبار
٣٠- فلاح السائل
٣١- الفهرست
٣٢- القاموس المحيط
٣٣- القرآن الكريم
٣٤- قصص الأنبياء
٣٥- قصص الأنبياء (مخطوط)
٣٦- قصص الأنبياء، ابن كثير

Éléments sous droits d'auteur

٣٧- قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار

٣٨- الكافي

٣٩- الكشّاف

٤٠- مجمع البحرين

٤١- مجمع البيان

٤٢- المحاسِن

٤٣- المحبر

٤٤- مروج الذهب

٤٥- مصباح المُتَهَجِّد

٤٦- معاني الأخبار

٤٧- مفاتيح الغيب

٤٨- مفتاح الجنّات

٤٩- مُهج الدعوات

Éléments sous droits d'auteur

الفهرس

مقدمة الناشر ٥
مقدمة الدكتور زيدان ٧
المقدمة ٢٩
تمهيد ٣١
يوسف في سطور ٣٣
بلد الاغتراب ٣٩
ترقب الوليد ٣٩
بدء اليُتم ٤٠
زيارة يوسف لبيت خاله وجدّه ٤١
إنتقال يعقوب الى فلسطين ٤١
ملامح يوسف ومميزاته ٤١
رؤيا يوسف الأولى ٤٢
الشجرة التي في بيت يعقوب ٤٣
يوسف عند عمَّته ٤٣
السائل خلف الباب ٤٥
تأنيب يعقوب على ردّ السائل ٤٦
رؤيا يوسف الثانية ٤٧
تعبير الرؤيا ومعرفة إخوة يوسف ٤٩

Éléments sous droits d'auteur

إجتماع الإخوة لاغتيال يوسف ٥٠
طرح فكرة إخراج يوسف للعب ٥٠
رؤيا يعقوب في حق يوسف ٥١
وداع يوسف ويعقوب ٥٢
يوسف في الصحراء مع إخوته ٥٣
البدء بتنفيذ المخطط ٥٤
إلقاء يوسف في الجُب ٥٥
مناجاة يوسف في الجُب ٥٧
نزول الوحي على يوسف ٥٨
الاجتماع الثاني لإخوة يوسف ٥٩
لقاء الإخوة بأبيهم يعقوب ٦١
مناقشة يعقوب مع أبنائه ٦١
بدء حزن يعقوب على يوسف ٦٢
محاولة اغتيال يوسف وهو في الجُب ٦٣
الملائكة تؤنس يوسف ٦٤
إخراج يوسف من الجُب ٦٥
مجاذبة إخوة يوسف والقافلة ٦٥
بيع يوسف لمالك بن ذعر ٦٦
مرور يوسف على قبر أمّه ٦٧
ظهور كرامات ليوسف ٦٨
مصر وانتشار خبر جمال يوسف ٦٩
إنتقال يوسف الى بيت قطفير ٧٠
زُلَيْخا في بيت أبيها وحُلُمها الأول ٧٠
خطبة ملك مصر لزُليخا ٧١
إنتقال يوسف إلى بيت الملك ٧٢
مراودة زُليخا ليوسف ٧٤
اللقاء الأول بين يوسف وزُليخا ٧٤

Éléments sous droits d'auteur

بناء قصر السرور ٧٦
مغازلة زُليخا ليوسف ٧٦
هروب يوسف ولحوق زُليخا ٧٨
زُلَيْخا تتهم يوسف بحضور الملك ٧٩
تكلّم الصبي في المهد ٨٠
براءة يوسف من التهمة ٨١
تسرّب الخبر إلى خارج القصر الملكي ٨١
دعوة النسوة إلى قصر زُلَيْخا ٨٢
وقوع النسوة في حُب يوسف ٨٢
إجتماع النسوة للنَّيل من يوسف ٨٣
المكيدة في إدخال يوسف السجن ٨٤
دخول يوسف السجن ٨٥
السجن الانفرادي ٨٦
يوسف وعلم تعبير الرؤيا ٨٧
المؤامرة لاغتيال الملك ٨٧
نَدَم زُلَيْخا من سجن يوسف ٨٨
يوسف يهدي السجناء ٨٩
حُلُم الساقي والخباز ٩١
الإفراج عن الساقي وقتل الخباز ٩٣
عتب جبرائيل على يوسف ٩٤
أدعية يوسف في السجن ٩٧
منام الملك وفزعه ١٠١
فشل علماء البلاط في تعبير الرؤيا ١٠١
إرجاع أمر تعبير الرؤيا إلى يوسف ١٠٢
يوسف يطلب صكّاً ببراءته ١٠٣
وداع يوسف للسجناء ١٠٤
لقاء يوسف بالملك ١٠٥

Éléments sous droits d'auteur

تقبُّل يوسف مسؤولية الوزارة ١٠٧
زواج يوسف من أسنات ١١١
بناء المخازن والأهرامات ١١١
بدء القحط في مصر ١١٢
خطة يوسف في بيع ما في المخازن ١١٢
إرجاع يوسف لممتلكات الشعب ١١٣
يعقوب يطلب حاجته من الملك ١١٤
إجتماع يعقوب بأولاده لتأمين معيشتهم ١١٥
وصول أولاد يعقوب إلى مصر لطلب الميرة ١١٦
التُجّار ويوسف ١١٨
مناقشة يوسف مع إخوته ١١٩
إبقاء شمعون في مصر كرهينة ١٢٢
رجوع أولاد يعقوب إلى فلسطين ١٢٣
حوار يعقوب وأولاده ١٢٤
الميرة بين يدي يعقوب ١٢٥
توجه أولاد يعقوب إلى مصر ثانية ١٢٦
لقاء أولاد يعقوب بيوسف للمرة الثانية ١٢٦
رسالة يعقوب الأولى إلى يوسف ١٢٧
حوار يوسف مع إخوته ١٢٧
معرفة بنيامين لأخيه يوسف ١٢٩
التخطيط لإبقاء بنيامين عند يوسف ١٣١
توجيه الإتهام لإخوة يوسف بالسرقة ١٣٣
وجود الصاع في رحل بنيامين ١٣٣
إسترقاق بنيامين عقوبة للسرقة ١٣٥
يوسف والصاع ١٣٥
مناقشة أولاد يعقوب ليوسف حول بنيامين ١٣٦
تخلّف يهوذا مع بنيامين في مصر ١٣٦

Éléments sous droits d'auteur

مناقشة يهوذا مع يوسف ١٣٨
وصول إخوة يوسف إلى فلسطين ١٣٩
إخبار يعقوب بتخلّف بنيامين ويهوذا ١٤٠
أسباب ابتلاء يعقوب ومناجاته ١٤٠
عتب أقارب وجيران يعقوب لكثرة البكاء ١٤١
ملك الموت ويعقوب ١٤٢
رسول يوسف إلى يعقوب ١٤٤
إجتماع يعقوب بأولاده وقراره برجوعهم إلى مصر ١٤٥
رسالة يعقوب الثانية إلى يوسف ١٤٦
توصية يعقوب لأولاده حين توجههم إلى مصر ١٤٨
معاتبة جبرائيل ليعقوب ١٤٨
رسالة يوسف الثانية إلى يعقوب ورسوله ١٤٩
جواب يعقوب ليوسف وإرساله مع الرسول ١٥٠
الرسالة الثالثة من يوسف إلى يعقوب ١٥٠
وصول أولاد يعقوب إلى مصر للمرة الثالثة ١٥١
إستمالة الإخوة ليوسف لإطلاق سراح بنيامين ١٥١
يوسف يقرأ رسالة أبيه بحضور إخوته ١٥٢
إخوة يوسف يتعرَّفون إلى أخيهم ١٥٣
خجل الإخوة وملاطفة يوسف لهم ١٥٣
رجوع الإخوة من مصر إلى فلسطين ١٥٤
استباق يهوذا لإيصال خبر يوسف إلى أبيه ١٥٤
مناجاة يعقوب ومناقشة جبرائيل له ١٥٥
إلقاء القميص على يعقوب ومُعافاته ١٥٦
إستغفار يعقوب لأبنائه ١٥٧
التهيؤ للسفر إلى مصر ١٥٩
إستقبال يوسف لأبيه يعقوب ١٦٠
سجود يعقوب وزوجته وأولاده ليوسف ١٦٣

Éléments sous droits d'auteur

معاتبة جبرائيل ليوسف ١٦٥
إخبار يوسف والده عمّا عمله إخوته به ١٦٥
معاتبة يعقوب ليوسف في عدم إخباره بوجوده ١٦٦
مناقشة يعقوب والعادي أمام الملك ١٦٦
تنازل الملك عن المُلك ليوسف ١٦٨
سؤال زُلَيْخا ليوسف ١٦٨
دخول زُلَيْخا على يوسف ١٧٠
زواج يوسف من زُلَيْخا ١٧٠
وصية يعقوب لأولاده ١٧٢
وفاة يعقوب وتجهيزه ١٧٢
وفاة زُلَيْخا ورؤيا يوسف ١٧٤
وصية يوسف لإخوته وأولاده ١٧٤
وفاة يوسف وتجهيزه ١٧٥
نقل رُفات يوسف إلى فلسطين على يد موسى عليه السلام ١٧٦
كلمات من نور ١٧٧
قصار الكلم ليوسف ١٨٠
شخصيات القصة ١٨١
المصادر ١٨٣
الفهرس ١٨٦

Éléments sous droits d'auteur

بسمه تعالى

طبع عن روح الفقيد المغفور له

السيد محمد شُبَّر بن عدنان العدناني البحراني الغريفي

تغمّده الله برحمته الواسعة.

لندن - المملكة المتحدة

مرتضى بن محمّد شُبَّر العدناني

Éléments sous droits d'auteur